

مركز الاستشراف للدراسات والاستشارات
التربوية والتعليمية والإدارية
المدينة المنورة

الموجز في السيرة النبوية

إعداد
أ.د. خالد بن حامد بن مبارك الحازمي

خالد حامد الحازمي ، ١٤٣٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحازمي، خالد حامد
الموجز في السيرة النبوية. / خالد حامد الحازمي
المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ
ص ١، سم
ردمك ٤ – ٣١١٧ – ٠١ – ٦٠٣ – ٩٧٨
السيرة النبوية أ – العنوان
ديوي ٢٣٩ ٨٨٢٨/ ١٤٣٤
رقم الإيداع: ١٤٣٤/٨٨٢٨
ردمك ٤ – ٣١١٧ – ٠١ – ٦٠٣ – ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ ٢٠١٣م

البريد الالكتروني للمؤلف: khalid1157@hotmail.com



قال تعالى:

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ الأحزاب: آية رقم (٢١)

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام وعلى نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

تعتبر السيرة النبوية الرافد العملي لشريعة الإسلام؛ فقد تَمَثَّلَ بها نبينا محمد ﷺ في جميع الشؤون والأحوال، وكانت تطبيقاً عملياً لمراد الله تعالى.

وإن حاجة أبناء المسلمين في نشأتهم الطفولية لهذه السيرة حاجة قائمة ما عاشت البشرية وبقية الحياة على الأرض. مما يتطلب تقديمها بصورة وكيفية تتناسب مع مرحلتهم العمرية وطريقة تفكيرهم واستيعابهم المعرفي.

كما أن حاجتهم إلى الصياغة التربوية التي تشحذ هممهم لمحبته والاقتداء به ﷺ. أمر ضروري وأساس في ذلك. كما أن التأثر بمضامين السيرة النبوية أمر وهدف تربوي من دراسة السيرة وتدريسها لهم.

ومن هذا المنطلق فإن هذا الكتاب يسعى من خلال طريقة عرض وسرد السيرة إلى تحقيق الهدف المعرفي والهدف السلوكي الذي يؤسس في عقول الناشئة صحيح الاعتقاد والتأسي في أداء العبادات، ويرسخ في قلوبهم محبة الله تعالى ومحبة رسولهم الكريم ﷺ، والتعلق بمكارم الأخلاق فهماً وعملا.

وقد أتيحت للمعلم والمربي من الوالدين أو غيرهم في منهجية هذا الكتاب المشاركة في تعزيز القيم وتطبيقها تربوياً، كما هو موضح في حواشي الكتاب.

فاللهم أعني على كتابة هذه السيرة العطرة لنبيك محمد ﷺ وعرضها بما يحقق أحسن المراد وخيرٌ منه، واجعله عملاً خالصاً لك وحدك يا رب العالمين؛ وانفع به عبادك؛ واجعله صدقة جارية إلى يوم الدين، وتقبله كرماً وجوداً منك يا كريم يا عظيم.

٥/٩/١٤٣٣هـ

الفصل الأول:

من المولد إلى البعثة

مولده ﷺ

أولاً: مكان مولده ﷺ

الأستاذ: ولد نبينا محمد ﷺ في مكة المكرمة؛ كما يولد غيره من الأطفال؛ وعاش كما عاش غيره، إلا أن الله تعالى تولاه برعاية خاصة كما ستعرفون ذلك في هذه السيرة الجميلة الرائعة لأفضل وأجمل طفل مشى على الأرض.

الطالب: لقد اشتقت لسيرته يا أستاذ، فعجل لنا بالتفاصيل.

الأستاذ: يا أبنائي: حتى أنا اشتقت لأعلمكم طفولة نبينا محمد ﷺ..... لأنها رائعة في تفاصيلها. ولكن قبل ذلك نود أن نتعرف على مكة المكرمة التي ولد فيها ﷺ

لقد كانت مكة المكرمة قرية صغيرة؛ ليست ذات زرع. كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [1] ولكن يأتيها رزقها من كل مكان بفضل الله تعالى. حيث يشتغل أهلها بالتجارة، فيذهبون إلى الشام في الصيف ويأتون منها بالبضائع المختلفة، ثم يذهب تجارها إلى اليمن في الشتاء فيأتون منها بمختلف البضائع. وهكذا يعيش أهل مكة في ذلك الوقت. [2]

الطالب: يا أستاذ! وماذا عن (الحرم) هل كان موجوداً في ذلك الوقت.

الأستاذ: نعم. لقد كانت الكعبة موجودة في ذلك الوقت، لأن الذي بناها نبي الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام. كما قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ

---

(١) سورة إبراهيم: آية رقم (٣٧)

(٢) جميل أن يقوم المعلم بإثراء هذا الموضوع عن رحلة الشتاء والصيف، ويبين ذكرها في القرآن الكريم (سورة قريش)

وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾﴾ (٢)

الطالب: وهل كان الناس يحجون إليها مثل ما يحج الناس اليوم.

الأستاذ: أحسنتم يا ابنائي، لقد كان الناس يحجون البيت ويطوفون بالكعبة. لأن الله تعالى أمر النبي إبراهيم عليه السلام بأن يؤذن في الناس بالحج. كما قال تعالى﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾﴾ (١)، ومعنى يأتوك رجالاً أي يأتوا للحج مشياً على أرجلهم من شوقهم للحج. وعلى كل ضامر، أي يركبون الإبل. ومن كل فج عميق أي من كل مكان بعيد.

الطالب: استفدنا كثيراً بمعرفة مكة وماضيها وعلاقة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بمكة والحج. فجزاك الله خيراً يا أستاذ. ولكن ماذا عن طفولة نبينا محمد ﷺ فقد اشتقنا لسماعها. (٢)

الأستاذ: حسناً يا أبنائي: لقد بينت لكم فيما سبق شيئاً عن مكة المكرمة حتى تتخيلوا المكان الذي ولد فيه نبينا وقدوتنا محمد ﷺ.

ثانياً: تاريخ مولد النبي ﷺ:

الأستاذ: ولد نبينا محمد ﷺ يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل.

الطالب: حبذا يا أستاذنا الفاضل لو علمتنا المقصود (بربيع الأول)

الأستاذ: أحسنتم أيها الطلاب، هذا السؤال يدل على اهتمامكم وتدقيقكم فيما أقول، وهو علامة الانتباه والحرص على التعلم، أحسنتم جميعاً. (٣)

السنة عبارة عن اثني عشر شهراً، يُسمى الأول منها محرم، ثم صفر، ثم ربيع الأول الذي ولد فيه النبي ﷺ ثم ربيع الثاني، ثم جماد الأول، ثم جماد الثاني، ثم رجب، ثم شعبان، ثم رمضان،

---

(١) سورة الحج: آية رقم (٢٧)

(٢) يحتاج المعلم أو المربي أن يحضر لهذا الدرس ويبين للطلاب ما يحتاجونه من معلومات. ويزودهم بصور قديمة للحرم المكي، تحكي ماضيه.

(٣) مسلم (٢/٨٢٠) برقم (١١٦٢-١١٩٨) أكرم ضياء العمري، لسيرة النبوية الصحيحة (١/٩٦-٩٨)

وهو شهر الصيام، ثم شهر شوال، ثم شهر ذي القعدة، ثم شهر ذي الحجة، الذي يحج فيه الناس، ويأتون إلى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة: منى وعرفة ومزدلفة، وهو آخر شهور السنة.

وكل شهر عبارة عن ثلاثين يوماً[١]

الطالب: جميل جداً يا أستاذ. لقد أفدتنا كثيراً، ولكن لفت انتباهي عام (الفيل) كيف هذا؟ لم أفهم؟

الأستاذ: هذا فيه قصة عظيمة ولطيفة سأذكرها لكم باختصار.

كان هناك ملك اسمه (ابرهة) ملك لدول اسمها الحبشة، ولديه مكان يأتون الناس إليه كالحج، ولكن كثيراً من الناس يذهبون للحج في مكة ولا يأتون إليه.

ففكر هذا الملك الظالم في إزالة الكعبة، حتى لا يأتي إليها أحد، فيذهب الجميع لبلاده.

والكعبة كما عرفتم: أن الذي بناها رسول الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأمر من الله تبارك وتعالى. ولذلك نقول له: بيت الله، ونقول له الحرم، ونقول الكعبة.

فجمع هذا الملك مجموعة من الفيلة ومن الناس ليهدموا الكعبة، فلما اقتربوا منها. خاف أهل مكة من هذا الجيش ومن هذه الفيلة التي لم تكن في مكة المكرمة؛ ولا يعرفها الكثير من أهلها، لأنه لم يكن في ذلك الوقت قنوات وإذاعات تُنْشَرُ منها الصور.[٢]

فاجتمع الناس عند عبد المطلب، جد نبينا محمد ﷺ وفكروا في الأمر. فقال عبد المطلب: لا نستطيع أن نعمل شيئاً. ولكن للبيت رب يحميه. وكان جَدُّ نبينا محمد ﷺ عبد المطلب سيد أهل مكة، وسادن الكعبة أي الذي يقوم بخدمتها. ولذلك اجتمع الناس عنده.

فأرسل الله تعالى بقوته وقدرته طيوراً كثيرة تقذف جيش (ابرهة) بالحجارة، وكانت الحجارة تقع على رأس الرجل وتخرج من دبره. فأهلكهم الله تعالى. وقد بين عَزَّ وجل ذلك في سورة (الفيل)

---

(١) حبذا لو قام المعلم بمزيد من الإيضاح والتدريب على إدراك هذه الأشهر من خلال المناقشة وليس كواجب. يشعرون بثقله على المقرر

(٢) يقوم المعلم بمزيد من الشرح والإيضاح لأحوال الناس في ذلك الوقت وعدم معرفتهم لهذه التقنية الحديثة، وعدم معرفتهم للفواكه والحيوانات التي لا توجد في بلادهم لصعوبة نقلها في ذلك الوقت، وليحمدوا الله تعالى على ما هم فيه الآن من حال.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ (١)

الطالب: سبحان الله العظيم، قدرة الله عظيمة يا أستاذ.

الأستاذ: نعم يا أبنائي: قدرة الله عظيمة وأكثر مما تتصورونه. وانظروا كيف عاقبة الظلم والظالمين في ابرهة وجيشه، وكذلك عاقبة الطمع، حيث طمع (ابرهة) أن يجمع الناس كلهم لبلاده وهو على باطل وفساد.

وكذلك تأملوا في نصرة الله المستضعفين، حيث نصر أهل مكة على عدوهم. وكيف استعان عبد المطلب بربه فأعانه، عندما قال (للبيت رب يحميه) وكذلك قوة عقيدته في ربه تبارك وتعالى.

الطالب: إذاً يجب علينا عندما ندعو ربنا ونطلبه أن نعتقد أنه محقق لطلبنا ودعائنا.

الأستاذ: نعم يا ابنائي من أهم أمور عقيدتنا أن نعتقد بقلوبنا أن الله يستجيب الدعاء، وسواء تحققت مطالبنا أو لم تتحقق، لأن الله تعالى هو الذي يعرف الأصلح لنا والأحسن؛ أكثر من معرفتنا نحن بأنفسنا وبمصالحنا.

كما ينبغي علينا أن نبتعد عن ظلم الناس، أو الطمع فيما عندهم من خير. فيدفعنا ذلك إلى السعي في الفساد؛ فيعاقبنا الله تعالى على الظلم والطغيان والطمع.

وهذا يعني أن لمكة وللحرم عظمة وحرمة، فيجب التزام الأدب فيها، وتعظيمها واحترامها والعناية بها أكثر مما نعتني ببيوتنا ومنازلنا. (٢)

---

(١) سورة الفيل

(٢) وللمعلم أن يضرب أمثلة متنوعة في تعظيم مكة المكرمة، ويعطي أمثلة في نوع العناية والاهتمام بمكة من حيث نظافتها واحترام من فيها؛ وعدم إيذاء أحداً في بيع أو شراء أو نحو ذلك.

نسب النبي محمد ﷺ:

الأستاذ: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. وأمه آمنة بنت وهب. [1]

ووالده ووالدته من قريش، وهي أفضل قبائل العرب وأشرفها نسباً.

وأفضل بطون قريش بني هاشم التي منها النبي ﷺ

ونسب قريش يصل إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام الذي ساعد والده في بناء الكعبة، كما سبق ذكره لكم في الدرس السابق.

الطالب: فهذا فضل من الله تعالى أن جعل نبينا محمد ﷺ في أشرف نسب، وجعله مرتبطاً بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

يُتم النبي محمد ﷺ

الأستاذ: لقد ولد نبينا محمد ﷺ يتيماً. حيث توفي والده عبد الله وهو حمل في بطن أمه. أي أن أباه لم يره.

وكان من عادات العرب قديماً أن يسترضعوا أبناءهم في البدو لكي يبتعد الطفل عن أمراض المدن، وتتقوى أجسادهم في البدو، لأن حياة البادية فيها قدر من الخشونة والقوة. وكذلك يتعلم فيها اللغة بالممارسة والتطبيق العملي، وبالتالي أخذت النبي ﷺ حليمة بنت أبي ذؤيب فأرضعته. [2]

الطالب: جميل يا أستاذ أن أعرف هذه العادة عن العرب قديماً، وجميل أن نعرف هذه الصفات التي تتمثل في أطفال البادية.

الأستاذ: نعم يا أبنائي الطلاب، فكما أن ابناء المدن يتميزون عن أبناء البادية ببعض الصفات، فكذلك أبناء البادية يتميزون ببعض الصفات، فالبيئة لها تأثير على شخصية الإنسان، وبالتالي علينا ألا نقلل من شأن بعضنا البعض لمجرد اختلاف بيئتنا.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري (١٤/٢٣٠)

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (١/١٦٩)

الطالب: إذاً هذه المرأة محظوظة أن تشرفت بإرضاع نبينا محمد ﷺ.

الأستاذ: استنتاج جميل ورائع يا أبنائي. وهذا دليل على اهتمامكم وفهمكم.

فقد حصل لهذه المرأة من الخير الشيء الكثير.

الطالب: لعلك تُعَلِّمنا عن ذلك يا أستاذ. فلقد شوقتنا لنعرف ما الذي حدث لها.

الأستاذ: حسناً: فلقد كان ابنها يبكي من شدة الجوع، وليس في ثديها الحليب الذي يُشبعه، فلما أخذت النبي محمد ﷺ في طفولته لترضعه؛ كَثُرَ الحليب في ثديها، وأصبح يكفي النبي ﷺ وطفلها.

وكان لها حمار كبير في السن، وهزيل ضعيف، وبعد أن أخذت النبي ﷺ، أصبحت هذه الراحلة قوية، تسير بهم في نشاط وحيوية.[١]

الطالب: إن طفولة نبينا محمد ﷺ طفولة مباركة.

الأستاذ: أحسنتم يا أبنائي. فإن طفولة نبينا محمد ﷺ كانت طفولة امتلأت بالبركة والعناية من الله تعالى.

فهذه البركة التي حلت على حليمة مرضعة النبي ﷺ، دليل على مكانة النبي ﷺ عند ربنا تبارك وتعالى، وبالتالي علينا أن نجعل مكانته ومحبته في قلوبنا كبيرة وعظيمة.

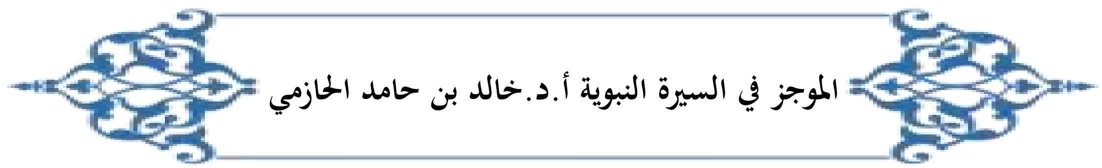
كما أن في هذا دليل على أن الله لطيف خبير حكيم، يتولى رعاية من أحبه واصطفاه، ولذلك علينا أن نعمل ما يرضي ربنا العلي القدير حتى يحبنا، لأنه إذا أحبنا تولانا برعايته الخاصة، وبتوفيقه وهدايته وحفظه لنا. كما قال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي (ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه[٢]....)[٣]

---

(١) مهدي رزق الله، أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص (١١٥-١١٦)

(٢) يحتاج المربي أن ينظر شرح الحديث في كتاب فتح الباري، ليوضح المعاني والمفاهيم التي قد يسأل عنها الطلاب.

(٣) البخاري (٤/١٩٢) برقم (٦٥٠٢)



الطالب: هذا رائع وجميل! ولعل في اهتمام مرضعة النبي ﷺ باليتيم ما جعل هذه البركة تتنزل عليها.

الأستاذ: نتيجة رائعة يا ابنائي. نعم إن الذي يهتم باليتيم تكون له منزلة عظيمة عند الله تبارك وتعالى، فقد قال ﷺ (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وأشار بأصبعيه) يعني السبابة والوسطى[1] وهذه منزلة ومكافأة عظيمة.

وبالتالي علينا أن نحب اليتيم، وأن نكرمه، ولا نهينه، أو نقلل من شأنه، فقد يكون عند الله أحسن وأكرم. بل نقدره ونحبه ونعينه ونسعى في إسعاده.

الطالب: وماذا عن أمه آمنة بنت وهب يا أستاذ؟

الأستاذ: كانت أمه آمنة بنت وهب تحبه كثيراً وتعتني به، ولكنها توفيت بعد أن كان عمر النبي ﷺ ست سنين.[2]

الطالب: سبحان الله العظيم، أي عاش بقية عمره ﷺ يتيم الأب والأم.

الأستاذ: نعم عاش ﷺ يتم الأب والأم بعد أن توفيت أمه.

وفي هذا دليل يا أبنائي على أن الله تعالى هو مالك كل شيء وهو المتصرف، وهو العالم بكل الأمور. فبالرغم من منزلة النبي محمد ﷺ عند ربه إلا أن الله تعالى جعله يتيماً لحكمة يعلمها الله تعالى.

وفي هذا دليل على أن الله تعالى عندما يقدر على العبد شيئاً مما يكرهه ولا يحبه، فقد يكون خيراً ونحن لا نعلمه، كما أنه ليس دليل غضب عليه، بل قد يكون دليل رحمة له؛ لأن الله تعالى يعلم ما لا نعلم، وهو يعلم الأفضل والأحسن للعبد.

ولعل حياة الْيُتْمِ التي أرادها الله تعالى لرسوله ﷺ تربي في النبي ﷺ أموراً كثيرة يستعين بها على نبوته ورسالته ودعوته.

---

(١) البخاري (٩٢/٤) برقم (٦٠٠٥) والترمذي (٢٨٣/٤) برقم (١٩١٨) واللفظ له.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٥٩/٤)

الطالب: أشعر بأن طفولة نبينا محمد ﷺ فيها عظات وحكم بالغة، ففيها رعاية وبركات من الله تعالى، وأيضاً ابتلاء وعظة. لقد أحببت طفولة نبينا ﷺ حباً شديداً يا أستاذ.

كفالة جده عبد المطلب:

الأستاذ: بعد أن توفيت والدته تولى راعيته والعناية به جده عبد المطلب.

وكان عبد المطلب سيداً في قومه، وله مجلس لا يجلس عليه غيره، وكان له فراش في ظل الكعبة يجلس حوله بنوه، ويجلس عليه النبي ﷺ مع جده.

فجعل الله تعالى في قلب جده عبد المطلب محبة كبيرة لهذا الابن الكريم محمد ﷺ. فأخذ يعتني به عناية كبيرة؛ إذ كان يقربه ويُدنيه منه، ولا يسمح لأحد أن يدخل عليه وهو نائم.[١]

الطالب: هذه محبة كريمة من جده له، فجعله أفضل من أبنائه حيث يُجلسه على فراشه دون غيره من الأبناء.

الأستاذ: نعم! هو كذلك، كما قلتم، ولكن مَنْ وضع هذه المحبة له في قلب جده؟

الطالب: الله تبارك وتعالى.

الأستاذ: نعم إن الله تعالى جعل له محبة عظيمة عند جده عبد المطلب، فالله إذا أحب عبداً سخر له أسباب الخير. ولذلك نستفيد من كفالة عبد المطلب للنبي محمد ﷺ؛ أن الله هو الذي بيده ملكوت كل شيء؛ فهو الذي يملك القلوب والمحبة، ويُصَرِّفُها كيف يشاء، فإذا أطعنا الله تبارك وتعالى أحبنا ووفقنا، وجعل لنا محبة في قلوب الناس، كما جاء في الحديث (أن الله تعالى إذا أحب عبداً قال لجبريل إني أحب فلان فأحبه، فينادي جبريل في الملائكة: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم تنزل له محبة في الأرض)[٢]

الطالب: هذا شيء عظيم، يدفعنا لمحبة الله تعالى والعمل على طاعته تبارك وتعالى.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٢٢٣)

(٢) البخاري (٢/٤٢٤) برقم (٣٢٠٩)

كفالة عمه أبو طالب:

الأستاذ: وبعد سنتين من وفاة أم النبي ﷺ توفي جده عبد المطلب، وكان عمر النبي ﷺ ثمان سنين، ثم قام بتربيته والعناية به عمه أبو طالب.

الطالب: يا سبحان الله، إنه ابتلاء لطفولة النبي ﷺ.

الأستاذ: نعم إنه ابتلاء، ولكنه أيضاً لطف من الله تعالى؛ وتعليم لأمته بأن الابتلاء لا يعني في كل حين أنه غضب من الله تعالى، بل هو رحمة من الله تعالى، وحكمة لا نعلمها؛ لجهلنا وضعف علمنا مع علم الله تعالى الواسع العظيم الذي أحاط بكل شيء علماً.

ولعل في ذلك الابتلاء تربية للنبي ﷺ حتى يواجه مصاعب الدعوة بقوة واقتدار، حيث واجه فيها مصاعب كبيرة كما ستعرفون إن شاء الله تعالى.

الطالب: يا أستاذ! كيف كانت رعاية عم النبي ﷺ له؟ فلعلها كانت مثل رعاية جده عبد المطلب.

الأستاذ: نعم، كانت رعاية ممتلئة بالحب والعناية والاهتمام إذ كان عمه ابو طالب يحبه حباً كبيراً.

فقد كان أبو طالب لا ينام إلا ومحمد ﷺ بجانبه، ولا يخرج إلا وهو معه، ويخصه بالطعام، ولا يأكل إلا عندما يحضر محمد ﷺ. وظل يحوطه بالعناية والرعاية.[1]

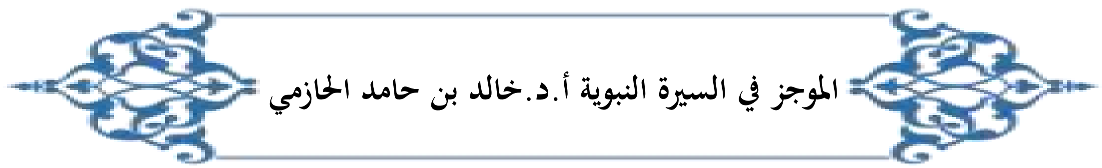
الطالب: جميل ورائع، إنها أسرة محبة وتكافل ورعاية.

الأستاذ: نعم إنها خير أسرة، إذ جعل الله تعالى نبيه في أكرم بيت من بيوت العرب. وهكذا يجب أن نكون أسراً متحابين، يكفل بعضنا بعضاً، ويعين بعضنا بعضاً، كما علمنا ديننا.[2]

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى (١/١١٩-١٢٠)

(٢) وهنا يبين الأستاذ صوراً وأمثلة للتكافل والتعاون والتواد الأسري، ثم الاجتماعي، ويبين اثر ذلك على الأسرة والفرد والمجتمع.



الحياة العملية:

الأستاذ: ومع مرور الأيام، وفي وسط تلك الرعاية الأبوية من عمه أبي طالب أصبح محمد ﷺ شاباً نشيطاً، يحب حياة العمل كغيره من الشباب المحب للعمل.

فقد اشتغل برعي الغنم لأهل مكة، بمال يأخذه منهم، كما قال ﷺ (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم. فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم. كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)[1]

الطالب: سبحان الله! كل الأنبياء عملوا في رعي الغنم؟

الأستاذ: كأنكم تتعجبون من الحكمة في ذلك؟ وسأخبركم إن شاء الله تعالى.

للغنم صفات جميلة في طباعها، فهي ودودة، وفيها سكينة، وتحتاج لمن يقودها بحكمة، فيختار لها الأرض المناسبة لترعى؛ وتأكل منها، ويختار لها المكان المناسب لتشرب منه، ويحافظ عليها من السباع حتى لا تأكلها؛ أو تؤذيها. والرسول في أمته يحتاج أن يعرف كيف يحافظ على أمته من الأعداء، ويختار لهم ما يناسبهم ويصلحهم في الدنيا وفي الآخرة، وينهاهم عما يضرهم في أنفسهم وفي حياتهم وآخرتهم. ويعرف كيف يجمع كلمتهم وشملهم، كما يجمع الراعي غنمه عندما يتأخر بعضها عن بعض، أو تنشغل بالعشب عن مرافقة بقية الأغنام.

فيتعلم كل رسول من رعي الغنم تلك الفوائد وغيرها في رعاية قومه وأمته بحكمة واقتدار.

الطالب: كمال حكمة الله تعالى تظهر في كل شيء يا أستاذنا. ولكن لعدم معرفتنا بها قد تجعلنا لا نفكر فيها ولا ندركها. فقد أنرت عقولنا يا أستاذ بسيرة نبينا ﷺ.

الأستاذ: كما أن في قيامه ﷺ بهذا العمل دليل على تواضعه عليه الصلاة والسلام، فلم يقل: لا أعمل في هذا، بل أريد عملاً آخراً. فنتعلم من هذا أن يكون الإنسان متواضعاً ويعمل بما يقدره الله تعالى له.

---

(١) البخاري (٢/١٣٠) برقم (٢٢٦٢)

وهناك عمل آخر قام به نبينا محمد ﷺ، وهو التجارة. فقد كان النبي ﷺ معروفاً بين الناس بالأمانة والصدق، لا يخون أحداً أبداً، ولا يقول الكذب مهما كان الأمر.

وكانت هناك امرأة اسمها خديجة بنت خويلد، لها تجارة كبيرة، وتطلب من الثقات العمل في تجارتها. فأرسلت إلى النبي ﷺ تطلب منه أن يخرج بتجارتها إلى الشام، على أن تعطيه أفضل مما تعطي غيره من التجار مع غلام لها، وذلك لأمانته وإخلاصه وصدقه ﷺ.[1]

فقبل الرسول ﷺ ذلك، وخرج بمالها للتجارة مع غلامها ميسرة.

الطالب: أفهم من هذا يا أستاذ أن الأمانة والصدق مهمة في التجارة.

الأستاذ: أحسنتم يا أبنائي، فالذي جعل خديجة بنت خويلد تطلب من النبي ﷺ أن يذهب بتجارتها إلى الشام هو صدقه وأمانته. وبالتالي عندما نتصف بهذه الصفة يحبنا الله تعالى، ويحبنا الناس، وننجح في حياتنا، وتتهيأ لنا أسباب العمل والنجاح. فواجبنا الحرص على أن نكون صادقين وأمناء في كل شيء.

زواج النبي ﷺ:

الأستاذ: عرفتم أن النبي ﷺ عمل في تجارة خديجة وأنه كان أميناً صادقاً ومخلصاً. مما جعل خديجة رضي الله تعالى عنها تطلب أن تتزوج منه ﷺ.[2]

الطالب: هل من الممكن أن تبين لنا يا أستاذ صفات خديجة رضي الله تعالى عنها. فهل كانت أخلاقها عالية مثل النبي ﷺ؟

الأستاذ: سؤال جميل ورائع، فقد كانت خديجة رضي الله تعالى عنها امرأة لطيفة كريمة، وكانت تسمى عند قومها بالطاهرة. لأنها امرأة اتصفت بالصفات الجميلة من الوفاء والصدق والأمانة، وكانت ذات مال وعقل راجح.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/١٩٩)

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٧/١٣٤)

وتزوجها رسول الله ﷺ وعمره خمس وعشرين سنة، وهي أول امرأة تزوجها.

وقد ولدت له ﷺ من الأبناء والبنات:

القاسم، وكان يكنى به، أي يقولون للنبي ﷺ: يا أبا القاسم.

زينب: وكانت أكبر بنات رسول الله ﷺ. تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع.

رقية: زوجة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما.

أم كلثوم: تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنهما، بعد أن توفيت رقية رضي الله عنها.

فاطمة: تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

عبد الله: ويلقب بالطيب أو الطاهر. ومات صغيراً.[1]

حلف الفضول:

الأستاذ: لما أن الظلم يقع بين الناس، وخاصة في الجاهلية، لأن الجهل كان سائداً ومنتشراً بين الناس. فقد اجتمعت قبائل من قريش إلى حلف أي اتفاق بينهم، وأسموه حلف الفضول. واتفقوا فيه على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها، أو غيرهم، ممن دخلها إلا قاموا معه ونصروه على الظالم حتى يأخذ حقه، ويزول عنه الظلم. وقد شهد النبي ﷺ هذا الحلف وكان حاضراً فيه.

الطالب: هذا اتفاق رائع أن يُنصر فيه الضعيف.

الأستاذ: نعم إنه انتصار للحق على الباطل، وقد كان النبي ﷺ يذكره لأصحابه بعد أن صار نبياً، ويبين لهم أنه قد حضر هذا الحلف، وأن حضوره ﷺ هذا الحلف أحب إليه من أن يمتلك الإبل الغالية الثمن التي يسمونها (حُمر النعم)، وأنه لو طُلِبَ منه هذا الأمر في الإسلام لوافق عليه، لأنه ﷺ لا يحب الظلم ولا الظالمين، وكان لا يظلم أحداً أبداً. وهذا نص كلام رسول

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٢٠٢/١) ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٩/٨ ـ ٣٩)

الله ﷺ في هذا الحديث (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم. ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)(١)

إذاً علينا أن نكره الظلم ولا نحبه، ولا نظلم أحداً من الزملاء والأصدقاء والأقارب؛ ولا غيرهم، ولا نسمح بالظلم، ونقف مع المظلوم، ونساعده حتى يأخذ حقه. فالظلم حرمه الله تعالى. ويعاقب عليه. فقد جاء في الحديث القدسي (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا)

الطالب: هذه أخلاق رائعة، وعلينا أن نتصف بها، ولكن جاء في الحديث (حُمر النعم) فما معناها؟

الأستاذ: يقصد بحمر النعم: أفضل وأجود أنواع الإبل.

بناء الكعبة:

الأستاذ: هل تعرفون يا أبنائي تاريخ بناء الكعبة؟

الطلاب: نعرف قليلاً يا أستاذ؛ كما تعلمنا من قبل.

الأستاذ: أول من بنى الكعبة نبي الله إبراهيم عليه السلام كما سبق وأن عرفنا، وكان يساعده ابنه إسماعيل. وذلك بأمر من الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧﴾(٢)

وبمرور السنين والأيام بدأ يتهدم بناء الكعبة. فرأت قريش إعادة بناء الكعبة. وكان عمر النبيﷺ في ذلك الوقت خمس وثلاثين سنة.(٣)

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/١٤١- ١٤٢)

(٢) سورة البقرة: آية رقم (١٢٧).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٢٤- ٢٥).

ولما وصلوا في البناء إلى موضع الحجر الأسود، اختلفوا فيمن يقوم بوضعه في مكانه. فكل منهم يريد أن يتشرف بحمله ووضعه في مكانه.

الطالب: إذاً كانوا يعظمون الكعبة، ويعرفون قدرها.

الأستاذ: نعم كانوا يعظمونها. وليس أدل على ذلك من اهتمامهم بإعادة بنائها، واختلافهم في رفع الحجر الأسود في مكانه. فإذا كانوا يعظمونها في الجاهلية قبل الإسلام، فنحن أولى بتعظيمها، حيث عظمها الله تبارك وتعالى، وعظمها رسولنا ﷺ وأصحابه (رضى الله عنهم)، والمسلمون كلهم يعظمونها. فمن تعظيمها عند الله تعالى أن أهلك جيش إبرهة الحبشي عندما أراد هدم الكعبة، كما عرفتم ذلك سابقاً.

الطالب: وماذا صنعوا يا أستاذ عندما اختلفوا في وضع الحجر الأسود؟

الأستاذ: قالوا نُحَكّم أول رجل يدخل من هذا الفج، فيكون هو الذي يحكم بيننا. فإذا بمحمد ﷺ يدخل عليهم. فقالوا: أتاكم الأمين. فاحتكموا إليه. أي طلبوا منه أن يحكم بينهم.

فقام محمد ﷺ بوضع الحجر في ثوب، ثم دعا بكبرائهم فرفعوا الحجر بأطراف ذلك الثوب، فشارك الجميع في رفعه، ثم اخذه فوضعه ﷺ في مكانه.[١]

الطالب: ما معنى الفج يا أستاذ؟

الأستاذ: الفج هو الطريق الواسع الواضح.

الطالب: يا أستاذ! لقد كان رسول الله ﷺ حكيما وموفقاً.

الأستاذ: نعم كان حكيماً مسدداً وموفقاً من الله تعالى، حيث وفقه الله تبارك وتعالى لتلك الفكرة الرائعة، التي جمعت كلمتهم.

الطالب: يا أستاذ! لاحظت أنهم قالوا: جاء الأمين؛ لمحمد ﷺ. فلماذا قالوا له الأمين؟

---

(١) أحمد، المسند (٣/٤٢٥)

الأستاذ: أحسنت. فهذه ملاحظة قوية تدل على متابعتكم لسيرة نبيكم ﷺ أيها الطلاب المتفوقون.

كان يُعرف نبينا محمد ﷺ عند جميع أفراد قومه بالأمين، ويصفونه بالأمين. لأنه كان أميناً صادقاً، لا يعرفون له كذباً ولا خُلُقاً سيئاً أبداً. فكان ﷺ أميناً وصادقاً؛ ومتحلياً بمكارم الأخلاق جميعها.

فعلينا أن نكون مثله في أخلاقنا وأمانتنا، حتى يحبنا الناس ويوفقنا الله تعالى ويحبنا، لأن الله يحب مكارم الأخلاق.(١)

(١) يضع المعلم أو المربي بعض الأمثلة للأمانة في تعاملهم اليومي.

الفصل الثاني:

من البعثة إلى الهجرة

البعثة النبوية

الطالب: يا أستاذ! ما معنى البعثة النبوية؟

الأستاذ: إن الله تعالى يختار من عباده من يشاء ليكونوا رُسلاً، ثم يوحي إليهم بأوامره، ومعنى يوحي إليهم أي يأتيهم الوحي، بأن يرسل الله تبارك وتعالى إلى الرسول ملك؛ فيخبره بأمر الله تعالى، مثل نبينا محمد ﷺ، فقد كان يأتيه جبريل عليه السلام فيخبره بأمر الله تعالى.[1] أو أن يكلم الله تعالى النبي من غير أن يرى ربه تبارك وتعالى، مثل موسى عليه السلام، فقد كلمه الله تبارك وتعالى ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[2]

فإذا اختار الله عبداً وأوحى إليه بالرسالة أصبح رسولاً. ونبينا محمد ﷺ عندما جاءه جبريل بالوحي صار رسولاً، وهذه تسمى البعثة النبوية، أي بعثه الله تعالى بالرسالة فصار نبياً. فهل عرفتم معنى البعثة النبوية؟

الطالب: نعم عرفنا معنى البعثة النبوية. ولكن كيف جاء جبريل لنبينا محمد ﷺ.

الأستاذ: قبل الإجابة أقول لكم: إن محمداً ﷺ قبل أن يأتيه جبريل لم يكن نبياً، وتبدأ نبوته من تاريخ نزول الوحي عليه. وإليكم بيان ذلك.

قبل نزول الوحي كانت هناك مقدمات لها، فكان ﷺ قبل البعثة لا يرى رؤيا في المنام إلا وتحققت، ثم حُبب إليه الخلاء، فيحب أن يجلس لوحده في مكان بعيد عن الناس، فيذهب

---

(١) يقوم المعلم بمزيد من الشرح؛ إذا احتاج الطلاب لذلك.

(٢) سورة النساء: آية رقم (١٦٤)

إلى غار حراء يتعبد الله تعالى ليالي معدودة، ثم يعود إلى أهله، ثم يتزود بالزاد ويرجع.[1] وعندما بلغ سن النبي ﷺ أربعين سنة، نزل عليه الوحي. حيث جاءه جبريل عليه السلام.

الطالب: وأين غار حراء؟

الأستاذ: يوجد جبل في شرق مكة المكرمة اسمه حراء؛ ويقع في قمته غار كبير اسمه غار حراء. وكان بعيداً عن سكان مكة المكرمة، لأن عددهم كان قليلاً جداً، وأما اليوم فقد تجاوزته المنازل لكثرة الناس.

الطالب: وماذا قال جبريل عليه السلام للنبي محمد ﷺ؟

الأستاذ: قال جبريل عليه السلام لنبينا محمد ﷺ: اقرأ. فقال النبي ﷺ (ما أنا بقارئ) لأن النبي ﷺ كان أمياً، أي لا يقرأ ولا يكتب.

يقول النبي ﷺ مخبراً بذلك الحدث (فأخذني فغطني حتى بلغ بي الجهد. ثم أرسلني: (أي ضمني وعصرني. والغط حبس النفس.[2] ثم أرسلني أي تركني) فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. (أي ما أُحسن القراءة)[3] فأخذني فغطني الثانية. (أي مرة ثانية) حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني. فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الأكرم.)[4] فهذه هي بداية الوحي.

الطالب: إنه موقف ليس سهلاً. فهل خاف رسول الله ﷺ. وماذا صنع بعد ذلك؟

الأستاذ: نعم خاف رسول الله ﷺ، كما جاء في الحديث (فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده (أي قلبه) فدخل على خديجة (رضى الله عنه). فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع)

---

(١) البخاري (١/١٤-١٥) برقم (٣)

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١/٢٤)

(٣) المرجع السابق

(٤) البخاري (١/١٤-١٥) برقم (٣)

الطالب: وما معنى زملوني؟

الأستاذ: معنى زملوني أي غطوني وضعوا فوقي غطاءً أي لحافاً. حتى ذهب عنه الروع أي الخوف. ثم بعد ذلك أخبر ﷺ زوجته خديجة رضي الله تعالى عنها بما حدث له. وقال عليه الصلاة والسلام: لقد خشيت على نفسي.

وهذا يا يبين أن الوحي والأمر الذي كلف الله به نبيه محمداً ﷺ ليس بالأمر السهل، بل إنه أمر عظيم، ولكن ثوابه عظيم جداً، لأن الله تعالى عندما يأمرنا بأمر ونقوم به على الوجه الذي يرضيه عنا يعطينا الجزاء والثواب العظيم. ولذلك علينا أن نحرص على هذا الدين العظيم، ونقوم به خير قيام.

الطالب: جزاك الله خيراً يا أستاذ. وماذا قالت خديجة رضي الله تعالى عنها للنبي ﷺ؟

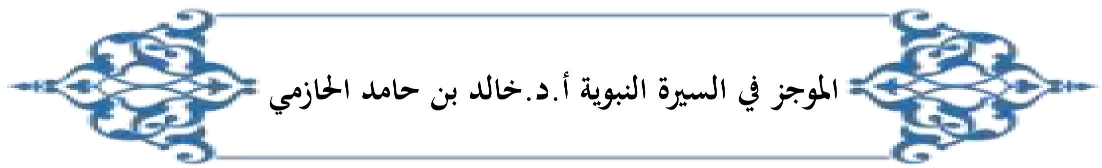
الأستاذ: إن خديجة رضي الله تعالى عنها امرأة عاقلة وحكيمة، وهي تعرف زوجها جيداً من أنه رجل كريم ورجل صالح وصادق وأمين. والذي هذه صفاته فإن الله تعالى لن يأتيه بالشر، بل سيأتيه بالخير الكثير والكبير. فقالت خديجة لزوجها رسول الله ﷺ: كلّا! والله ما يخزيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَل، وتُكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) (١)

الطالب: هذه صفات جميلة في النبي ﷺ، ولكن لم أفهم بعضها؟

الأستاذ: نعم صفات جميلة، صفات مكارم الأخلاق، ومن كانت هذه صفاته فلابد وأن الله تعالى يكرمه ويعطيه من الخير أكثره. ومعنى (إنك لتصل الرحم) أي أنك تواصل أقاربك بالعطاء والزيارة والمساعدة. (وتحمل الكَل) أي: تعين من لا يستقل بأمره، وهو العاجز عن القيام ببعض أموره إلا بمساعدة غيره له. (وتكسب المعدوم) أي تفيد وتعين الفقير، وتعطي الناس ما لا

---

(١) المرجع السابق



يجدونه عند غيرك. (وتقري الضيف) أي تكرمه بالطعام والمقابلة الجميلة (وتعين على نوائب الحق) أي: تعين على كل خير، ولكل محتاج. وهي جملة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم.(1)

الطالب: فهذه الكلمات من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ساعدت في طمأنينة النبي ﷺ.

الأستاذ: نعم، وبالتأكيد، لأن الإنسان الذي يفعل الخير، ثم يأتيه ما يخاف منه، يتذكر صفات الخير التي يتصف بها؛ فتطمئن نفسه ويرتاح قلبه، والله تعالى لا يجازي العمل الطيب إلا بأحسن منه.

ثم ذهبت خديجة مع النبي ﷺ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان رجلاً متديناً وشيخاً كبيراً، قد أصابه العمى. فأخبراه بما حدث. فقال ورقة بن نوفل: هذا الناموس الذي نَزَّلَ الله على موسى عليه السلام. ومعنى الناموس: أي صاحب السر.(2) أي هذا الذي جاءك هو الْمَلَك صاحب السر الذي جاء لنبي الله موسى عليه السلام.

فاتضح للنبي ﷺ أن الذي جاءه هو مَلَك من الملائكة (جبريل عليه السلام) أرسله الله تعالى إليه ليكون نبياً رسولاً.

الطالب: ثم ماذا عن جبريل عليه السلام؟ هل عاد ورجع مرة أخرى إلى نبينا محمد ﷺ؟

الأستاذ: نعم بعد ذلك تتابع الوحي على النبي ﷺ. فلم يمكث مدة طويلة إلا وعاد جبريل. يُبلغ النبي محمد ﷺ بوحي الله تعالى. فنزل قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾(3)

الطالب: يا أستاذ! النبي ﷺ لم يكن يقرأ أو يكتب، فكيف يحفظ ما نزل به جبريل عليه السلام؟

الأستاذ: أحسنتم على دقائق أسئلتكم عن نبيكم ﷺ الذي تحبونه كثيراً.

(1) ابن حجر، فتح الباري (١/٢٤-٢٥)

(2) المرجع السابق (١/٢٦)

(3) سورة المدثر: آية رقم (١-٢)

الطلاب: نعم نحبه كثيراً، وكثيراً، وأكثر من حبنا لأنفسنا.

الأستاذ: كان إذا نزل الوحي على النبي ﷺ يحرك شفتيه يريد أن يحفظه، فيسارع في حفظه، لأنه كلام الله تبارك وتعالى. ولكن الله تعالى حكيم وعلى كل شيء قدير وإذا أراد شيئاً حصل ذلك الشيء. فقد أمر الله تبارك وتعالى نبيه محمد ﷺ بأن لا يجهد نفسه في ذلك بالحفظ، بل إن الله تعالى سيجمعه في صدره، فيكون محفوظاً في قلب النبي ﷺ، قال تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [1] أي نجمعه لك في صدرك وتقرأه. فعلى النبي ﷺ الاستماع فقط. قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [2] أي فاستمع له وأنصت. فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل استمع. فإذا انطلق (أي ذهب جبريل) قرأه النبي ﷺ كما قرأه عليه جبريل. وأصبح محفوظاً في قلب النبي ﷺ.

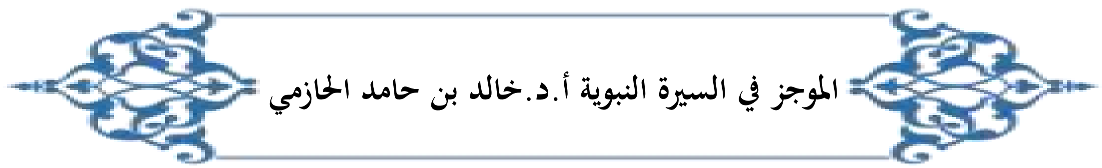
الطالب: ما أكرم الله تعالى وما أعظمه، هو الذي جعل قلب النبي محمد ﷺ يحفظ القرآن بمجرد أن يقرأه عليه جبريل.

الأستاذ: نعم إن الله عظيم وكريم وقادر على كل شيء. ولذلك علينا إذا أردنا أن نحفظ القرآن الكريم أو أي علم من العلوم نسأل الله تعالى وندعوه أن يعيننا على الحفظ والفهم، فإذا أعاننا الله تعالى سَهُلَ علينا كل شيء أعاننا الله تعالى فيه. فعلينا دائماَ الاستعانة بالله في كل أمر، فنطلب من الله تعالى العون في النجاح؛ وفي الشفاء من الأمراض، وغيرها، وإذا احتجنا شيئاً دعونا الله وسألناه أن يحقق لنا ما نريد، فإن الله على كل شيء قدير.

---

(١) سورة القيامة: آية رقم (١٦-١٧)

(٢) سورة القيامة: آية رقم (١٨-١٩)



مراحل الدعوة:

مرت الدعوة النبوية بمراحل حتى تمام البعثة النبوية الكريمة

المرحلة الأولى:

الأستاذ: مرت دعوت النبي ﷺ للناس بمراحل: فكانت المرحلة الأولى من الدعوة للأقربين من قومه، ثم لبقية قومه، ثم للناس أجمعين.

الطالب: لماذا يا أستاذ كانت الدعوة على مراحل كما ذكرت؟

الأستاذ: أحسنتم! فقد كانت الدعوة على مراحل لأنه لا يمكن أن يتم هذا الأمر بمجرد بيانه للناس. لأن البعض قد يعارض لجهله أو لتكبره، أو للحسد، أو لغير ذلك. فتكثر العداوة للنبي ﷺ. وكذلك لأن هذا الأمر جديد على أهل مكة، فلا بد أن تبدأ الدعوة بمراحل: مرحلة ثم أخرى حتى يتم النجاح لها.

الطالب: جميل جدا فالأمور تحتاج في إنجازها إلى مراحل.

الأستاذ: نعم! فأنتم في المدرسة تمرون بمرحلة الصف الأول، ثم الصف الثاني، ثم الثالث، وهكذا، ثم المرحلة المتوسطة، ثم الثانوي. ولا يمكن لشخص أن يحقق هذا في مرحلة دراسية واحدة. ولذلك علينا أن نجعل هذا الأمر وسيلة في تحقيق أهدافنا وإنجازاتنا.

الطالب: جزاك الله خيراً يا أستاذ، فقد عرفنا أهمية مراحل الدعوة، وأنه لا بد أن تكون وفق خطوات حتى يتم نجاحها. ولعلك ستخبرنا عن مرحلتها الأولى يا أستاذ؟

الأستاذ: بدأ النبي ﷺ بدعوة الأقربين سراً.﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾[1]

---

(١) سورة المدثر: آية (١-٢)

فدخل في الإسلام أولاً: زوجته خديجة، وابن عمه علي بن أبي طالب وكان صغيراً، ومولاه زيد بن حارثة، وصاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين.[1]

وبهذه المجموعة المباركة، بدأ يدخل فيه غيرهم، حيث كانوا يقومون بدعوة الناس خفية وسراً؛ خوفاً ممن لا يريد هذا الدين ومن عداوتهم له. واستمرت هذه المرحلة ثلاث سنين.[2]

إسلام الجن:

الأستاذ: إن مخلوقات الله تعالى كثيرة، ومنها (الجن) وهم كثير، لا نستطيع أن نراهم، ولكنهم يروننا ويشاهدونا، ويسمعوننا، ومنهم الصالحون ومنهم المفسدون، قال تعالى في وصفهم على لسانهم ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾[3] ولذلك سمع مجموعة من (الجن) القرآن من النبي ﷺ وهو يصلي بالناس الفجر، فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم، وطلبوا منهم أن يُسْلِمُوا مع النبي ﷺ، وقد بين الله تعالى ذلك في القرآن الكريم، في سورة تحمل اسمهم، وهي سورة الجن، ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝٢﴾[4]

الطالب: ما معنى قددا يا أستاذ؟ والتي هي آخر كلمة في الآية التي ذكرتها لنا.

الأستاذ: قددا أي أجناساً، مثل البشر، فالبشر أجناس مختلفة، وكذلك الجن مختلفون، ومنهم الشياطين الذين أمر الله تعالى أن نتعوذ منهم، فنقول أعوذوا بالله من الشيطان الرجيم.

الطالب: إنهم عالم غريب؟

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٢٦٢- ٢٦٨) خالد بن حامد الحازمي، الفوائد السنية من السيرة النبوية (٣٨)

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٢٨٨)

(٣) سورة الجن: آية رقم (١١)

(٤) سورة الجن: آية رقم . (١-٢)

الأستاذ: إن مخلوقات الله تعالى كثيرة جداً، فبعضها معروفة لدينا مثل الشجر والحجر والماء والحيوانات، وبعضها لا نعرفها. فكم في البحر من مخلوقات لا نعرفها، وقد عرفنا بعضها بالصور التي يلتقطها المصورون في جوف البحر. فمخلوقات الله تعالى كثيرة جداً لا يعرفها ولا يحصيها إلا الله تبارك وتعالى.

الطالب: ولكن لماذا (الجن) يسمعوننا ويشاهدوننا، ونحن لا نشاهدهم ولا نسمعهم؟

الأستاذ: يا أبنائي لله تعالى حكمة في ذلك، وهي خير لنا، فربما لو شاهدناهم لتأذينا من صورهم وأشكالهم، فما أخفاه الله تعالى عنا هو خير لنا. فالله تعالى رحيم بنا، يحب لنا الخير، فيعطينا كل جميل من مناظر البحر والحدائق ولون السماء والنجوم وغيرها من المناظر الجميلة، لأنه يحب لنا الخير. ولذلك علينا أن نحبه ونطيعه ونشكره.

المرحلة الثانية من الدعوة:

الأستاذ: كما عرفتم أن المرحلة الأول من الدعوة قد استمرت ثلاث سنين سراً. وبعدها أمر الله تبارك وتعالى نبيه محمد ﷺ أن يجهر بالدعوة ويعلنها للناس أجمعين. فقال تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[1]، وقال تعالى ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾[2]ويعني ذلك: أعلن دعوتك بما أمرك الله تعالى به، ولا تلتفت لمن أعرض عنك من المشركين، حتى لا يكون سبباً للتوقف. لأن الذي ينظر للمعوقات ويقف عندها دون عمل لا ينجز شيئاً في حياته.

الطالب: وكيف أخبر ﷺ قومه؟

الأستاذ: خرج رسول الله ﷺ حتى صعد على جبل الصفا، الذي هو الآن في بداية المسعى. وعندما صعد عليه. قال: يا صباحاه. فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه. فقال: أرأيتم إن أخبرتكم

---

(١) سورة الشعراء: آية رقم (٢١٤)

(٢) سورة الحجر: آية رقم (٩٤)

أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل (أي من أسفل الجبل) أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال أبو لهب: تباً لك. ما جمعتنا إلا لهذا. ثم قام فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾[1]

ولعلكم عرفتم وتبين لكم السبب في أن تكون الدعوة في مرحلتها السابقة سرية، وأن تكون بدعوة الأقربين حتى لا يحدث مثل ما حدث من أبي لهب.

الطالب: هذا أسلوب رائع من النبي ﷺ؛ بأن جمع الناس فأخبرهم. ولكن هناك تساؤل فيما ذكرته لنا يا أستاذنا الكريم. وهو قول النبي ﷺ (يا صباحاه)

الأستاذ: كان من عادات العرب إذا كان هناك أمر مهم أو خطير، فإنه ينادي في الناس، فيقول: يا صباحاه.

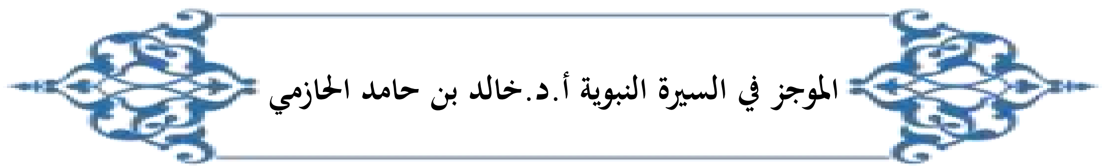
ثم تأملوا أنه عندما اجتمعوا عند النبي ﷺ، وقال لهم: لو أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم. مما يدل على أنهم يعرفون أن النبي محمد ﷺ لا يكذب أبداً، كما كانوا يسمونه بالأمين. ولكن بعض الناس لديه كبرياء أو حسد يدفعه إلى إنكار الحق والخير وعدم قبوله. ولذلك علينا أن نتعوذ من الكبرياء ونبتعد عن مسالكه وطرقه.

أساليب الأذى للنبي ﷺ:

الأستاذ: لقد كان الناس قبل مبعثه ﷺ في شرك وضلال، إذ يصنعون الأصنام، بأيديهم ثم يتوجهون لها بالعبادة والدعاء. وبعد أن جهر النبي ﷺ بدعوته، استصعب بعضهم أن يترك ما تعود عليه من الشرك. وبعضهم أخذ يحسد النبي ﷺ على هذه المنزلة الكريمة، والبعض خاف على مكانته الاجتماعية، فهو سيد في قومه، وإذا أسلم أصبح تحت لواء هذا النبي الكريم ﷺ والبعض يريد أن يبقى على المعاصي التي هو فيها.

---

(١) سورة المسد



فجميع هذه الأسباب جعلت البعض يعادي النبي ﷺ وأصحابه الذين دخلوا معه في الإسلام. ويؤذونهم بشتى وسائل الأذى.

الطالب: سبحان الله العظيم، فالبعض إذاً يعرف الحق ولكنه يعاديه لمصالحه.

الأستاذ: نعم، فهذه أحوال الناس مع الحق، ولذلك يجب علينا أن نتبع الحق ولا نجعل أهواءنا تمنعنا عن الحق.

الطالب: وهل من الممكن أن نعرف شيئاً عن ذلك الأذى الذي لحق بالنبي ﷺ وأصحابه.

الأستاذ: لقد واجه الأنبياء السابقون الأذى والتكذيب والاستهزاء من أقوامهم قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ۝١٠﴾(١)

ومن أساليب إيذاء النبي محمد ﷺ، تكذيبه. فبعد أن كانوا يقولون عنه الأمين. أصبحوا يقولون عنه: ساحر، ومجنون، وكاهن، وشاعر. وقد رد الله تعالى عليهم كذبهم، قال تعالى:﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢﴾(٢)

الطالب: لقد وصفوا النبي ﷺ بصفات الجنون والسحر والشعر، ولكن لم نعرف معنى كاهن.

الأستاذ: أحسنتم وبارك الله فيكم، هذا جيد، ويدل على اهتمامكم ومتابعتكم، وكذلك محبتكم لرسولكم ﷺ.

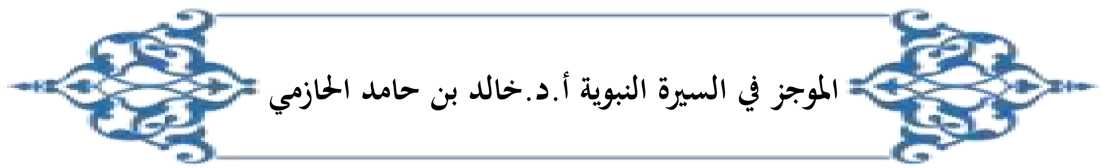
معنى الكاهن الذي يدعي علم الغيب. وعلم الغيب لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، وقد يخبر نبيه ﷺ بشيء من ذلك كما ستعرفون ذلك إن شاء الله تعالى.

الطالب: ولكن لماذا يصفونه بتلك الصفات؟ وماذا يستفيدون من ذلك الصنيع؟

---

(١) سورة الحجر: آية رقم (١٠)

(٢) سورة الحاقة: آية رقم (٤٠-٤٢)



الأستاذ: يصفونه بتلك الصفات الباطلة لكي يشكّكون الناس في نبوته ﷺ فلا يدخلون في دين الله تعالى، وكذلك حتى يثنونه عن دعوته، ويثبطونه. أي يُقفونه عن الاستمرار في دعوته ﷺ.

الطالب: وبماذا قابلهم النبي ﷺ؟ هل خاصمهم؟ أو قاتلهم. ليدافع عن نفسه.

الأستاذ: إن نبينا محمد ﷺ يحب الخير للناس، ويحب أن يُخرج الناس من الكفر إلى الإسلام، ويدخلوا الجنة بسلام. ولم يكن يفكر في الانتصار لنفسه. وهذا جعله يصبر عليهم وعلى أذاهم؛ لعلهم يدخلون في الإسلام. ولو قاتلهم أو اعتدى عليهم أو شتمهم لزادت العداوة منهم. ولكنه ﷺ كان رحيماً لطيفاً بالناس، يخاف عليهم من الكفر الذي عاقبته النار وبئس المصير.

الطالب: والله إن نبينا محمد ﷺ لطيف ورؤف بأعدائه.

الأستاذ: نعم لقد كان ﷺ رحيم بالناس ولطيف في تعامله حتى مع من يعاديه. وقد وصفه ربه تبارك وتعالى **بقوله:** ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[1] يعني لو كنت شديداً في تعاملك لتركوك ولم يدخلوا في الإسلام. ولكن لصبره ﷺ عليهم يتراجع بعضهم عن عداوته ويدخل في دين الله تعالى. وهكذا ينبغي علينا أن نتحلى بالصبر والدعوة بالحسنى مثل ما كان يعمل نبينا محمد ﷺ. فلا نواجه كل من يخالفنا بالقسوة، فينفر منا ويبتعد عنا، وبالتالي تنقطع صلته بنا فلا نستطيع أن نؤثر فيه؛ ونأخذ بيده للخير.

الطالب: هذه أخلاق جميلة ورائعة، ونصيحة منك غالية يا أستاذنا الكريم.

---

(١) سورة آل عمران: آية رقم (١٥٩)

الأستاذ: بل إن أذاهم وصل للاعتداء عليه ﷺ فكان عليه الصلاة والسلام يصلي عند الكعبة، فاتفقوا على أن يرموا عليه الدم والفرث وهو ساجد.[1] والفرث هو جميع ما يوجد في المعدة. ثم يضحكون ويتمايلون من فعلهم الشنيع.

الطالب: وماذا صنع عليه الصلاة والسلام.

الأستاذ: لقد وصل الخبر إلى ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها، وهي جويرية، أي: بنت صغيرة. فجاءت وألقته عن أبيها ﷺ. ثم أقبلت عليهم (رضى الله عنهم) تسبهم على ما صنعوا بأبيها ﷺ. ثم دعا النبي ﷺ على الذين صنعوا ذلك. ثم أهلكهم الله تعالى في غزوة بدر فَقُتلوا جميعاً.[2] كما سيتبين ذلك إن شاء الله تعالى.

ومن صور الأذى التي تعرض لها النبي ﷺ أنه كان عليه الصلاة والسلام يصلي عند الكعبة فجاء رجل اسمه عقبة بن أبي مُعيط فأخذ بثوب رسول الله ﷺ يلويه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبوبكر (رضى الله عنه) فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ.[3] والمنكب هو محل أو مكان اجتماع الكتف مع العضد.[4]

الطالب: إن أذى عظيماً قد لحق بالنبي محمد ﷺ في سبيل دعوته، وقد تحمل أذاهم بصبر وروية.

الأستاذ: نعم هو كما ذكرتم. وقد اتفقوا ذات مرة على أن يجتمعوا ويقتلوه إذا رأوه، فعلمت فاطمة رضي الله تعالى عنها بذلك، فخافت على أبيها ونبيها ﷺ، فأقبلت على أبيها تبكي؛ فأخبرته بأمرهم. فطلب وضوءً فتوضأ، ثم ذهب إلى المسجد الحرام.

الطالب: ألم يخف منهم ﷺ وهم كثير؟

---

(١) البخاري (١/١٨٠- ١٨١) برقم (٥٢٠)

(٢) المرجع السابق

(٣) البخاري (٣/٢٨٦) برقم (٤٨١٥)

(٤) يبين ويوضح الأستاذ ذلك.

الأستاذ: لا، لم يخف منهم ﷺ فهو شجاع عليه الصلاة والسلام، وكذلك قد توكل على الله تبارك وتعالى، ويعلم أن الله تعالى هو الذي يحميه منهم ومن شرهم، فلما ذهب النبي ﷺ ورأوه خفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، أي جعلوا رؤوسهم تجاه الأرض، ولم يقم أحد منهم من مكانه. فأقبل رسول الله ﷺ حتى وقف عليهم عند رؤوسهم، فأخذ قبضة من التراب، فقال: شاهت الوجوه، حتى حصبهم بها، أي رماهم بها. فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قُتل يوم بدر كافراً.[1]

الطالب: موقف رهيب يا أستاذ.

الأستاذ: نعم موقف رهيب ومهيب، فلعلكم تأملتم قدرة الله تعالى، كيف جعل كيدهم مذلة لهم، وجعل الخوف يدخل قلوبهم، وتمكن النبي ﷺ من رميهم بالحصى. وكذلك تأملوا كيف أن الله على كل شيء قدير، فهم مجموعة كبيرة ولكن بأمر الله تعالى توقفت قوتهم وقواهم؛ فلم يستطع أحد منهم أن يتحرك أو يتكلم بكلمة واحدة، أو ينظر بعينه إلى النبي محمد ﷺ. فإذا أراد الله تعالى شيئاً قال له: كن فيكون، قال تعالى﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[2] فلا يعجزه شيء تبارك وتعالى.

ثم تأملوا ثقة النبي ﷺ في ربه، وأنه سوف يحميه من كيدهم، فيتوضأ ويخرج للمسجد الحرام.

الطالب: ولعل ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها فرحت عندما رأت ذلك الصنيع والانتصار من الله تعالى لأبيها.

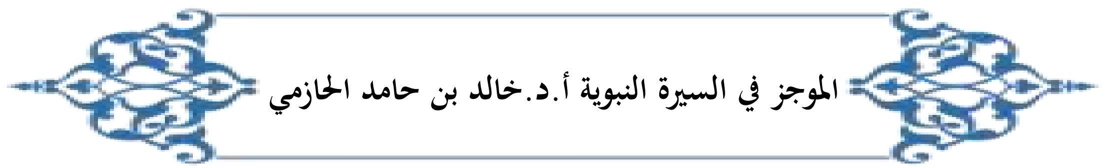
الأستاذ: بلا شك يا أبنائي أنها فرحت بأن الله تعالى نصر والدها ونبيها على أعدائه، وتحول بكاؤها فرحاً بذلك.

فنحمد الله تعالى الذي أعز نبيه ﷺ ونصره وحفظه من أعدائه.

---

(١) أحمد، المسند (١/٢٠٢)

(٢) سورة يس: آية رقم (٨٢)



أساليب الأذى لمن أسلم من الصحابة (رضى الله عنهم):

الأستاذ: لقد تعرض أصحاب رسول الله ﷺ للأذى من قريش، فألبسوهم أدرع الحديد، ووضعوهم تحت حرارة الشمس، وبلال بن رباح يطوف به الغلمان في شعاب مكة، أي في أحيائها وهو يقول: أحد أحد. وكان أمية بن خلف يُخرج بلال إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة. ثم يأمر الصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد؛ وتعبد اللات والعزى، فيقول بلال (رضى الله عنه): أحد أحد.[1]

الطالب: وما المقصود من قول بلال (رضى الله عنه): أحد أحد؟

الأستاذ: المقصود بقول بلال أحد أحد، أي أن الله واحد لا شريك له.

الطالب: سبحان الله العظيم، لقد تعرض بلال (رضى الله عنه) لعذاب شديد. ولكن ما علاقة أمية بهذا الصحابي الجليل يا أستاذ؟

الأستاذ: كان بلال بن رباح (رضى الله عنه) عبداً لأمية، وكانوا في الجاهلية، يستعبدون الناس، أي يأخذون بعض الناس عبيداً، ويبيعونهم، وهناك من يشتريهم، وكأنهم سلعة تباع وتُشْتَرى. وعندما جاء الإسلام أبطل هذا.

الطالب: جميل هذا الإسلام الذي حرر الإنسان وجعله حراً، وأبطل هذه الصفة السيئة. وهناك سؤال يا أستاذنا القدير، إلى متى وبلال يُعذب وهو صابر على ذلك متمسكاً بدينه؟

الأستاذ: أحسنتم. استمر بلال وهو يقول أحد أحد؛ حتى اشتراه أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) من أمية، وأعتقه، أي جعله حراً، مثله مثل غيره.[2]

الطالب: جزاك الله خيراً يا أبا بكر على هذا الفعل العظيم، لقد أخرج بلالاً من حرارة التعذيب وآلامه وذله إلى نعمة الحرية.

---

(١) أحمد، المسند (١/٤٠٤)

(٢) الحاكم، المستدرك (٣/٢٨٤)

الأستاذ: وممن ذاق العذاب وصبر على هذا البلاء آل ياسر (رضى الله عنهم).

فقد كان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه إلى الرمضاء إذا اشتدت حرارة الشمس ويضعونهم عليها.[1]

الطالب: وما هي الرمضاء يا أستاذ؟

الأستاذ: الرمضاء هي الأرض إذا اشدت حرارتها تسمى رمضاء، فيقولون لا تمش في الرمضاء، أي لا تمشي بدون حذاء على الأرض عندما تكون ساخنة من حرارة الشمس.

وكان رسول الله ﷺ يمر بآل يا سر وهم يُعَذبون، فيقول: صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة. فيبشرهم النبي ﷺ بأن جزاءهم هو الجنة التي تنتظرهم لقاء صبرهم على دينهم، وهم يُعَذبون. وأما أم عمار بن ياسر فقتلوها بالتعذيب وهي باقية على دينها لتلقى ربها تبارك وتعالى وما وعدهم به نبي الله ﷺ وهي الجنة.[2]

الأستاذ: وممن لقي التعذيب خباب بن الأرت (رضى الله عنه) حتى بقيت آثار التعذيب علامة في ظهره.[3] فهكذا لقي عدد من أصحاب رسول الله ﷺ التعذيب من قومهم إلا من كانت له منعة من الله تعالى بقومه، فيحمونه من بطش أعداء الإسلام.

الطالب: رضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله ﷺ فقد عانوا الشيء الكثير من الأذى والتعذيب.

الأستاذ: نعم. هم كذلك، وبصبرهم وتوفيق الله تعالى لهم تحملوا التعذيب من أجل إسلامهم. وكذلك بدعاء النبي ﷺ وتبشيره لهم بالجنة ثبتوا على إسلامهم، حتى نصر الله تعالى الإسلام؛ ووصل إلينا، ونحن لا يعذبنا أحد ولله الحمد والشكر. فنحمد الله تعالى على ذلك. ونترضى

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٣٤٢/١)

(٢) المرجع السابق

(٣) البخاري (٥٣١/٢) برقم (٣٦١٢)

على الصحابة ونصلي على نبينا ﷺ كلما ذكرناه. ونسأل الله تعالى أن يجمعنا بهم في جنة الفردوس.

المفاوضات لوقف رسالة النبي ﷺ:

الأستاذ: عندما رأى مشركي قريش أن دعوة النبي ﷺ لقيت قبولاً عند البعض، وأن أسلوب الأذى الذي استخدمته لم يُوقف نشاط النبي ﷺ وأصحابه، استخدموا أسلوب التفاوض، اعتقاداً منهم أنه قد يحقق مطلبهم بوقف دعوة النبي ﷺ إلى الإسلام.

الطالب: عفواً يا أستاذنا الكريم، ما معنى مفاوضات؟

الأستاذ: معنى المفاوضات: الحوار، وتقديم العروض بين الطرفين للوصول إلى اتفاق.

الطالب: ولكن هذا دين! أَمَرَ اللهُ تعالى به، فهل هو قابل للتفاوض؟

الأستاذ: أحسنتم أيها الطلاب، ولكن هم يعتقدون أن النبي ﷺ قد يقبل بذلك، وهذا تفكيرهم. ولكن تابعوا معي، حيث ستعرفون الكثير عن ذلك.

التفاوض مع عمه أبي طالب:

الأستاذ: جاء كبراؤهم إلى أبي طالب عم النبي ﷺ، الذي كفله وقام بتربيته ورعايته بعد وفاة جده عبد المطلب، كما سبق وأن درسنا ذلك.

فقالوا: إن ابن أخيك يؤذينا في مجالسنا، فانْهَهُ عن ذلك.

الطالب: ولكن لم يكن النبي ﷺ يؤذيهم، فكيف يقولون ذلك؟

الأستاذ: أحسنتم! لقد اعتبروا دعوته للناس إلى دين الله تعالى أذى عليهم.

الطالب: فَهِمْنَا المقصود من ذلك. وماذا صنع معهم أبو طالب؟

الأستاذ: عندما سمع أبو طالب كلامهم، استدعى ابن أخيه نبي الله محمد ﷺ، وقال له: إن بني عمك يزعمون أنك تؤذيهم في مجالسهم. فقال نبي الله ﷺ: والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته.(١)

إن النبي ﷺ يعلم أنه لا أحد يستطيع أن يضع الشمس في يمينه والقمر في يساره. ولكن كما أنه مستحيل عليهم أن يضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره. فإنه من المستحيل أن يترك تبليغ الناس دين الله تعالى.

الطالب: كلام جميل ورائع جداً، لقد أعجبني كلامه ﷺ. ولكن ماذا قال عمه أبوطالب؟

الأستاذ: قال أبو طالب لهم: ما كَذبَنَا ابن أخي قط، فارجعوا.(٢) أي أن ابن أخي محمداً ﷺ، ما جربنا عليه كذب، وطالما أنه قال هذا الكلام، فمعناه أنه لن يرجع عنه. فليس لكم غير ما سمعتم منه.

مفاوضات عتبة بن ربيعة:

الأستاذ: وفي وقت آخر عرض عتبة فكرة على قومه من كفار قريش، ليعرضها على النبي محمدﷺ. فوافقوا على فكرته، وذهب عتبة إلى النبي محمد ﷺ. وقال عتبة للنبي ﷺ: يا ابن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت به مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً.

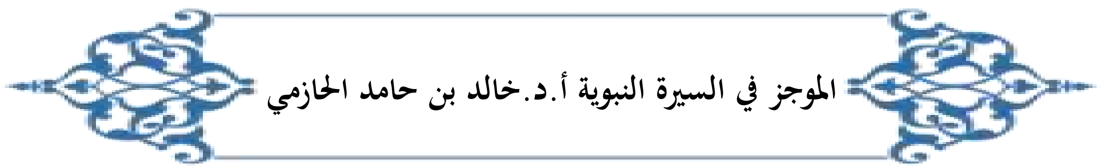
وإن كنت تريد شرفاً، سودناك علينا، أي جعلناك سيداً علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك. أي لا نتخذ قراراً إلا بالرجوع لك.

وإن كنت تريد به ملكاً، ملكناك علينا. أي جعلناك ملكاً علينا.

---

(١) الحاكم، المستدرك (٥٧٧/٣)

(٢) المرجع السابق



وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب.[1] أي إن كان هذا شيء يأتيك في نومك ويقول افعل كذا. عالجناك عند الأطباء.

الطالب: هذه عروض كبيرة، فماذا رد عليه النبي ﷺ؟

الأستاذ: أولاً: النبي ﷺ، تركه ولم يقاطعه أثناء حديثه، وهذا من أدبه ﷺ. بالرغم من أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يقبل بشيء من ذلك أبداً، لأن تلك العروض مقصدها الدنيا، وهو يحمل رسالة الله تبارك وتعالى خير من الدنيا وما فيها.

وبعد أن انتهى عتبة من كلامه، والنبي ﷺ يسمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. فقرأ عليه ﷺ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾[2] ثم مضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه. فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد. ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت وأنت وذاك.[3]

الطالب: جميل أن أسمعه النبي ﷺ هذه السورة التي تبين أن القرآن الكريم بشير ونذير؟

الأستاذ: وجميل منكم أيها الطلاب أن تنبهتم لآيات السورة.

الطالب: ثم ماذا فعل عتبة، فلعله تأثر بآيات تلك السورة ومعانيها.

الأستاذ: نعم لقد تأثر عتبة بما سمع من كلام الله تعالى، وعندما أقبل على قومه عرفوا ذلك على وجهه. وقالوا: لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٣١٣/١-٣١٤)

(٢) سورة فصلت: آية رقم (١-٥)

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (٣١٣/١-٣١٤)

فسألوه: ما وراءك يا أبا الوليد؟ أي ما الخبر الذي جئت به؟

فقال: سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط. أي ما سمعت مثله أبداً. والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر ولا بالكهانة.

ثم طلب منهم أن يتركوا رسول الله ﷺ وشأنه. فقالوا له: لقد سحرك.

الطالب: أي أنهم ما قبلوا نصيحة عتبة.

الأستاذ: نعم لم يقبلوها. وحتى عتبة الذي تأثر بما سمع من القرآن الكريم لم يدخل في الإسلام، لأنه اتبع رأي قومه.

الطالب: إذاً هذا كبرياء من عتبة ومن قومه.

الأستاذ: نعم كبرياء، لأنهم عرفوا الحق، وسمعوا القرآن، وقد وصفه عتبة وصفاً يبين لهم أنه ليس كما يقولون عنه: أنه شعر، وأحياناً يقولون سحر، ومرة يقولون كاهن. فبين لهم أن الذي سمعه ليس كما يقولون.

فتعوذوا بالله أيها الطلاب من الكبرياء، ونسأل الله تعالى أن يهدينا ويثبتنا على الحق كما علمنا تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨﴾[١]

فالكبر أمر خطير، عندما يرفض الإنسان الحق ولا يقبله، لأي سبب من الأسباب.[٢]

---

(١)سورة آل عمران: آية رقم (٨)

(٢) يبين المعلم أو المربي مضار الكبر وأنواعه وأمثلة عليه.

المطالبة بالمعجزات:

الأستاذ: عندما فشلت مفاوضات كفار قريش في صد النبي ﷺ عن رسالته، طلبوا منه بعض المعجزات.

الطالب: ما معنى معجزات؟

الأستاذ: المعجزات، هي الأشياء التي لا يستطيع أن يعملها الإنسان. فطلبوا منه أن يجعل لهم جبل الصفا ذهباً حتى يؤمنوا به. فدعا النبي ﷺ ربه. فجاءه جبريل عليه السلام: فقال: إن الله يقرأ عليك السلام. ويقول: إن شئت أصبح الصفا ذهباً، فمن كفر بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين. وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة. قال النبي ﷺ: بل باب التوبة والرحمة.[1]

الطالب: سبحان الله العظيم! لماذا اختار لهم النبي باب التوبة والرحمة، ولم يختر لهم ما طلبوا حتى يسلموا؟

الأستاذ: أحسنتم يا أبنائي، سؤال مهم جداً. أولاً: تعرفون أن قريشاً كانت أفصح العرب، ويعرفون العربية معرفة دقيقة جداً، وعندما سمعوا القرآن الكريم أدركوا أن هذا ليس بكلام إنسان، بل إنه كلام رب العالمين، لأن الإنسان مهما أوتي من قدرة في العربية لا يمكن ولن يستطيع أن يأتي بآية واحدة مثل القرآن، فكيف أن يأتي بسورة. ومع ذلك لم يؤمن بعضهم.

والنبي ﷺ يعرف من تعامله معهم أنه حتى لو تحول جبل الصفا ذهباً لقالوا أنت سحرت أعيننا. وإذا قالوا ذلك عذبهم الله تعالى العذاب الشديد. وانتصر عليهم رسول الله ﷺ، ولكن نبينا عليه الصلاة والسلام كان رحيماً بهم. فاختار الصبر عليهم والمحاولة معهم؛ فلربما أسلم بعضهم، فيسلم معهم أبناؤهم وأهليهم؛ بدلاً من أن يُعذبوا.

---

(١) الحاكم، المستدرك (١/٥٣-٥٤)

الطالب: اختيار حكيم، يدل على أن نبينا ﷺ رحيم ولطيف، وليس شديداً غليظاً. وكذلك صبوراً، فاختار رحمة الله تعالى لهم من أن يعذبهم مع صبره عليهم، واحتمال أذاهم.

الأستاذ: نعم هكذا كان ﷺ حليماً صبوراً، ويحب الخير للناس، وحتى لأعدائه. ولذلك نريد أن نكون مثله في الأخلاق، فنصبر ونرحم لنكون أصحاب لطف، وليس شدة وغلظة. حتى يرحمنا الله ويبارك فينا ولنا.

الطالب: وهل طلبوا معجزات أخرى يا أستاذنا الفاضل؟

الأستاذ: نعم فعن أنس بن مالك (رضى الله عنه) (أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية. فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما)[1]

الطالب: كيف ذلك يا أستاذ؟ لعلك تشرح لنا.

الأستاذ: لما سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يريهم آية، فإن الله تعالى قَسَم القمر في السماء إلى قسمين، متباعدين، فرأوا ذلك بأعينهم، حتى أنهم رأوا جبل حراء بين جزئي القمر، ليتأكد لهم أنه انقسم نصفين. وقد أنزل الله تعالى سورة بذلك اسمها سورة القمر قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾[2]

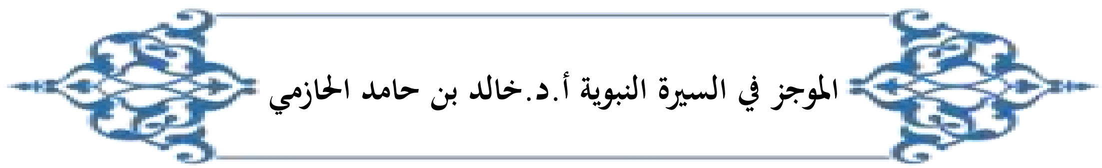
الطالب: فهل أسلموا عندما رأوا انشقاق القمر، تلك الآية العظيمة؟

الأستاذ: كما سمعتم في الآية السابقة في سورة القمر (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) أي قالوا: هذا سحر مستمر. وهنا لعلكم عرفتم لماذا اختار النبي ﷺ لهم باب التوبة والرحمة ولم يختر لهم جبل الصفا ذهباً. لأنهم رأوا بأعينهم انشقاق القمر؛ فقالوا: سحر مستمر. فكيف لو اختار جبل الصفا ذهباً؛ ثم لم يسلموا. لجاءهم العذاب.

---

(١) البخاري (٣/٥٩) برقم (٣٨٦٨)

(٢) سورة القمر: آية رقم (١-٢)



الطالب: نعم تأكد هذا تماماً، فلوا اختار لهم: أن يجعل الله تعالى جبل الصفا ذهباً لقالوا هذا سحر أعيننا، ثم يعذبهم الله تعالى. وهذا دليل على معرفة نبينا محمد ﷺ بقومه معرفة جيدة.

الهجرة إلى الحبشة:

الأستاذ: لما رأى رسول الله ﷺ ما يُصيب أصحابه رضوان الله عليهم من البلاء والتعذيب لفتنتهم عن دينهم. قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً

لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه.[1]

واسم هذا الانتقال من مكة إلى الحبشة هجرة. لأن الصحابي تهجر أي ترك المكان الذي يُعذب فيه إلى مكان أمن له ولدينه.

الطالب: وأين هذه الحبشة؟ وهل وافق الصحابة (رضى الله عنهم) على الهجرة؟

الأستاذ: الحبشة اسمها اليوم أثيوبيا جنوب السودان، ويفصل بيننا وبينهم البحر الأحمر.

وبالنسبة للصحابة (رضى الله عنهم) وافقوا على ذلك، لأن هجرتهم إلى الحبشة تُبعدهم عن الأذى والتعذيب من قومهم. خاصة وأن ملك الحبشة كما قال عنه ﷺ: لا يُظلم عنده أحد.

وهاجر المسلمون من مكة إلى الحبشة مرتين: الأولى: في شهر رجب سنة خمس من بعثة المصطفى ﷺ.[2]

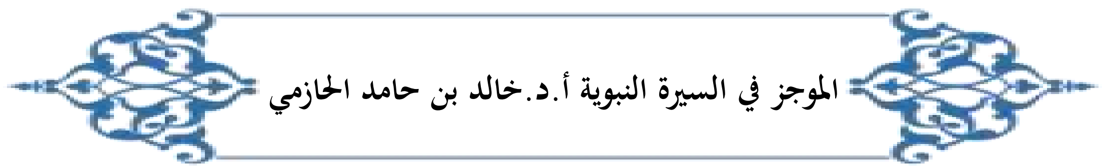
الطالب: وهل كان عدد المسلمين الذين هاجروا كثير؟

الأستاذ: أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً، وأربع نسوة. فخرجوا مشاة، أي يمشون على أرجلهم من مكة المكرمة حتى وصلوا البحر، أي قرابة ثمانين كيلو متراً. فاستأجروا سفينة إلى الحبشة.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٣٤٤)

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٧/١٨٨)



ولما اشتد بالمسلمين الباقين الأذى أذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة الثانية. وكان عدد من هاجر ثلاثة وثمانون رجلاً لأرض الحبشة.(١)

الطالب: وكيف عاشوا هناك في الحبشة؟

الأستاذ: عندما دخل المسلمون الحبشة وجدوا ملكها كما قال ﷺ: لا يُظلم عنده أحد. وكان أسمه النجاشي.

فأمنهم على دينهم، أي أعطاهم الأمان، بأن لا يؤذيهم أحد. فكانوا في أمان من الله تعالى في بلاد الحبشة.

الطالب: لقد تحمل المسلمون الأوائل من الصحابة تعباً كبيراً في سبيل دينهم.

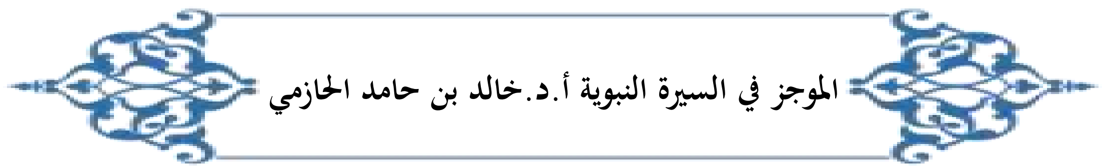
الأستاذ: أحسنتم أيها الطلاب بأن تفهمتم وأدركتم معاناة الصحابة (رضى الله عنهم). وعلينا أن نستفيد من معاناتهم، بأن لا نتكاسل في سبيل هذا الدين. وأن نتعب في أداء العبادات التي أمرنا الله تعالى بها ولا نتكاسل. ونحن نعيش في أمن ورخاء من الله تعالى. وعلينا أن نبذل الجهد في التعليم، وخاصة أمور ديننا، ونجتهد لخدمته في أي عمل نقوم به.

التصدي للمسلمين في مكان هجرتهم:

الأستاذ: إن قريشاً لما عرفت ما حصل للمسلمين من الأمن على دينهم؛ تصدت لهم، أي سعت ضدهم في بلاد الحبشة. لم تتركهم في حالهم

الطالب: وماذا صنعت قريش وأصحاب رسول الله ﷺ بعيدون عنهم؟

(١) المرجع السابق



الأستاذ: لما علمت قريش بأن المسلمين يعيشون في أمن على دينهم، اجتمعوا وتشاوروا، فاتفقوا على أن يرسلوا للنجاشي ولمن يعمل معه هدايا كثيرة، ويبعثوا بها رجلين من أهل الذكاء؛ حتى يؤثروا على النجاشي. وهذان الرجلان هما: عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص.[١]

الطالب: وماذا صنع النجاشي بالمسلمين بعد ذلك.

الأستاذ: النجاشي رجل عاقل وعادل ولا يحب الظلم، فلما جاء القرشيان، قالا للنجاشي: إنه قد جاءك من قومنا سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت.

الطالب: وهل اقتنع النجاشي بكلامهم؟

الأستاذ: النجاشي رجل حكيم، فلا يمكن أن يتخذ قراراً إلا بعد أن يسمع من الصحابة كما سمع من قريش. وهكذا يجب على الإنسان عندما يأتي شخص ويدعي بشيء لا يوافقه أو يميل معه حتى يتأكد من الطرف الثاني، ليكون من أهل العدل والأمانة. أليس كذلك يا أبنائي؟

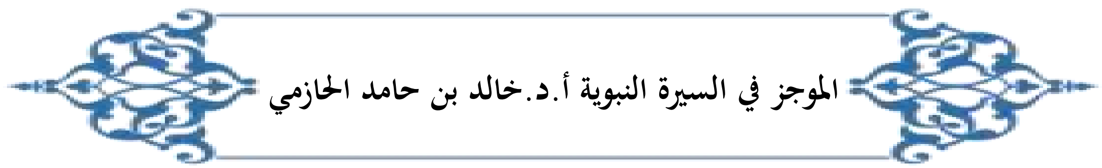
الطالب: هذا صحيح، إذاً لا بد أن النجاشي استدعى الصحابة وسألهم.

الأستاذ: نعم استدعى الصحابة، وسألهم. ولكن الصحابة اجتمعوا قبل أن يذهبوا إليه. وتشاورا بينهم.

الطالب: عمل جيد من الصحابة أن تشاورا قبل أن يذهبوا إليه.

الأستاذ: نعم لا بد للمجموعة أن تجتمع في أي أمر يخصها، وألا ينفرد أحد برأي في حقها. لأن في المشورة فوائد كثيرة، منها التفكير، والنقاش، وتداول الآراء، فيصحح بعضهم لبعض الخطأ، ثم يخرجون برأي واحد تتفق عليه المجموعة، فلا ينشق صفهم. ثم إن البركة في رأي المجموعة، لأن الله تعالى مع الجماعة.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٣٥٨-٣٦٢)



الطالب: وكيف كان اجتماع الصحابة، فلا بد أنه كان جميلاً.

الأستاذ: نعم كان رائعاً: حيث قالوا: لا نقول إلا الصدق. نقول والله ما عَلِمْنَا، وما أمرنا به نبينا ﷺ. كائن في ذلك ما هو كائن. أي مهما يكن لنا فيه من خير أو شر، فلن نقول إلا ما أمرنا به نبينا ﷺ.

الطالب: هذا رائع أن يقولوا بالصدق والحقيقة للنجاشي، وكما علمهم نبينا محمد ﷺ.

الأستاذ: نعم الصدق هو الخير، وديننا يأمرنا بالصدق وينهانا عن الكذب.

الطالب: وما الذي حصل يا أستاذنا؟ لقد اشتقنا لمعرفة الأمر.

الأستاذ: اتفق الصحابة على أن الذي يتكلم هو جعفر بن أبي طالب (رضى الله عنه): فقال جعفر (رضى الله عنه): أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم وحُسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم.... وأَمَرَنَا بالصلاة والزكاة والصيام. فَعَدَا علينا قومُنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا.... فلما قهرونا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك.[1]

الطالب: والله هذا كلام جميل. ولكن لفت انتباهنا يا أستاذ ما لديهم في الجاهلية من أخلاق سيئة، حيث يعبدون الأصنام، ويقطعون الأرحام، ويسيؤن الجوار. وهناك صفات أخرى ما عرفنا معناها، فلعلك تبينها لنا يا أستاذ، وهي الميتة وكذلك الفواحش.

الأستاذ: أحسنتم يا أبنائي على متابعتكم واهتمامكم، فالميتة هي التي تموت من غير أن تذبح ويذكر اسم الله عليها من الأغنام وغيرها من الماشية، مثل التي تسقط من مكان مرتفع أو تمرض

(١) المرجع السابق

وتموت. وأما الفواحش، فهي جميع الأعمال السيئة، التي لا يقبلها الإنسان، فالظلم فاحشة، واللباس العاري عمل فاحش. ومثل ذلك. وأما قول الزور فهو القول على الناس بالكذب.

الطالب: شكراً وجزاك الله خيراً يا أستاذ. ولفت انتباهنا يا أستاذ، صفات دين الله تعالى الذي أنزله الله تبارك وتعالى على نبينا محمد ﷺ، فهو ضد أخلاق الجاهلية، كما قال جعفر بن أبي طالب (رضى الله عنه): أمرنا بعبادة الله تعالى وحده، وبالصدق وأداء الأمانة وصلة الرحم وحُسن الجوار، والكف عن الحرام، وعن الدماء، أي قتل الناس كما فهمت يا أستاذ أليس كذلك؟

الأستاذ: نعم فهمك جيد، يقصد بالكف عن المحارم والدماء، أي أن نتوقف عن فعل ما حرم الله وعن القتل، ولا نعود لها ابداً.

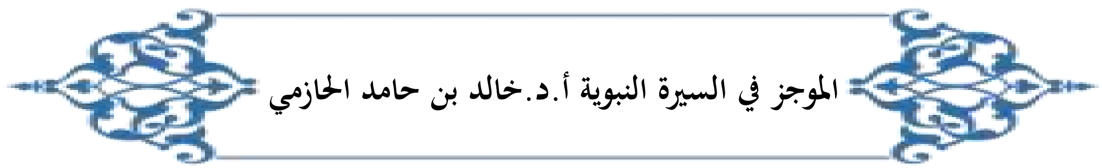
الطالب: ولكن ماذا قال النجاشي بعد أن سمع كلام الصحابة (رضى الله عنهم)؟

الأستاذ: قال النجاشي لجعفر: هل معك مما جاء به عن الله تعالى منشئ. فقال جعفر: نعم: فقرأ عليه من سورة مريم... فلما سمع النجاشي ما قرأ جعفر بكى النجاشي حتى أخضلت لحيته، أي ابتلت لحيته من دموعه، خاشعاً من كلام الله تعالى. وبكت كذلك أساقفته مما سمعوا من القرآن الكريم. وأساقفته أي الذين يحيطون به من وزرائه. وقال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى، ليخرج من مشكاة واحدة. فوالله لا أُسَلّمَهُم إليكما، ولا يُكَادُون.[١]

الطالب: هذا حكم رائع وموقف مؤثر جداً، ويثير تساؤل عندنا يا أستاذ، وهو قول النجاشي لكلام الله تعالى إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة.

الأستاذ: أحسنتم! أولاً: النجاشي كان على دين عيسى بن مريم عليه السلام في ذلك الوقت، ولما سمع القرآن الكريم من جعفر (رضى الله عنه) قال إن هذا الذي تلوته من القرآن والذي جاء به عيسى من كلام الله تعالى يأتي من مشكاة واحدة. والمشكاة هي المصباح الذي بداخله

(١) المرجع السابق



نور. أي أنه يأتي من جهة واحدة، وعبَّر عنها بالمشكاة لأن المشكاة نور، وكلام الله تعالى نور للناس.

ولكن لما جاء دين الله تعالى على نبينا محمد ﷺ أبطل كل الأديان السابقة، فليس هناك دين يقبله الله تعالى من الإنسان غير دين الله تعالى الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ، ونبينا محمد ﷺ هو آخر الأنبياء وخاتِمَتُهُم، فلا نبي بعده أبداً.

إسلام حمزة (رضى الله عنه):

الأستاذ: حمزة هو عم النبي ﷺ، وكان على دين قومه، غير أنه حصل موقف للنبي ﷺ فكان سبب في إسلامه.

الطالب: وما هذا الموقف يا أستاذ؟

الأستاذ: قبل أن أذكر هذا الموقف أبين لكم بعض ما كان عليه العرب في ذلك الوقت. فقد كان العرب يحبون الصيد، فيذهب البعض إلى البر، أي الأرض التي ليس بها سكان من الناس، حيث قد تكثر بها الطيور، فيقومون بصيدها ومن ثم طبخها وأكلها.

وقد خرج حمزة عم النبي ﷺ إلى الصيد. وعندما رجع من صيده، قابلته زوجته، وأخبرته بأن أبا جهل اعترض النبي ﷺ بالصفا وآذاه. فغضب حمزة (رضى الله عنه). ولم يدخل بيته، بل ذهب إلى المسجد الحرام حيث هناك مجالس قريش عند الكعبة.[١]

الطالب: لعل هذا دليل على محبة حمزة (رضى الله عنه) للنبي محمد ﷺ.

الأستاذ: نعم هذا يدل على أن حمزة كان يحب ابن أخيه محبة كبيرة، ولا يرضى أن يتعرض له أحد بأي نوع من أنواع الأذى. كما أن إيذاء أبو جهل للنبي ﷺ يدل على أن قوم النبي ﷺ مازالوا يؤذونه في مكة وهو صابر عليهم.

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد (٩/٢٦٧)

الطالب: ولعل حمزة (رضى الله عنه) وجد أبا جهل؟

الأستاذ: نعم وجده في أحد مجالسهم. فتقدم إليه حمزة فعلا رأسه بقوسه الذي كان معه، أي ضربه بالقوس الذي كان يحمله معه. فقام رجل من قريش فمسك حمزة عن أبي جهل حتى لا يتطور الأمر. فقال حمزة (رضى الله عنه): ديني دين محمد. أشهد أنه رسول الله. ولا أثني عن ذلك، أي لا أتراجع. ثم قال لهم: فامنعوني من ذلك إن كنتم صادقين.[1]

وبهذا أسلم حمزة (رضى الله عنه).

الطالب: سبحان الله العظيم، الذي جعل هذا الحدث سبب في إسلام عم رسول الله ﷺ. حتى يفرح النبي ﷺ بذلك الأمر.

الأستاذ: نعم! فقد كان إسلام حمزة رضي الله عنه عِزاً وقوةً للمسلمين، ونُصرةً للنبي ﷺ. حيث هابت وخافت قريش، وعلموا أن حمزة (رضى الله عنه) سيمنعهم عن إيذاء رسول الله ﷺ.

فتأملوا في صبر النبي ﷺ على قومه، من أجل أن يدخلوا في الإسلام واحداً بعد الآخر. فجزاء الصبر هو النصر.

إسلام عمر بن الخطاب (رضى الله عنه):

الأستاذ: كان عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) من المبغضين للإسلام في جاهليته، مثل بقية قريش، ولكن الله يهدي من يشاء بحكمته.

الطالب: إذاً كان مبغضاً للإسلام فكيف تغير رأيه؟

الأستاذ: يا أبنائي التوفيق بيد الله تعالى، فهو الذي يغير القلوب ويصلحها، ولذلك علينا أن نسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح قلوبنا ويثبتنا على دينه.

---

(١) المرجع السابق

تقول أم عبد الله بنت أبي حثمة رضي الله عنها: والله إنَّا لنترحل إلى أرض الحبشة، أي نستعد ونتجهز للذهاب إلى الحبشة التي هاجر إليها المسلمون كما سبق وأن عرفتم ذلك من قبل: إذ أقبل عمر حتى وقف عليَّ وهو على شركه، وكنا نلقى منه البلاء.(١)

الطالب: هذا يعني أن الناس كانوا يلحقون بمن سبقهم من المسلمين في الحبشة.

الأستاذ: نعم يذهب كل من يخاف الأذى والتعذيب، إلا من كانت له قوة من الله بقومه؛ مثل حمزة (رضى الله عنه).

الطالب: هذا بلاء لمن أسلم من الصحابة (رضى الله عنهم). ولكن كيف أسلم عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)؟

الأستاذ: أسلم عمر ببركة دعاء النبي ﷺ. فلما رأى النبي عليه الصلاة والسلام ما يحصل لمن أسلم من المسلمين دعا ربه، فقال (اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام، أو بعمر. قال: فأصبح فَغَدَا عمر على رسول الله ﷺ، فأسلم)(٢) ومعنى فغدا أي ذهب في اليوم التالي.

الطالب: سبحان الله العظيم الكريم، فقد استجاب الله تعالى لنبيه ﷺ بسرعة عجيبة.

الأستاذ: نعم إن الله تعالى يحب نبيه ﷺ ويستجيب لدعائه. كما أن هذا يدل على أن عمر (رضى الله عنه) كانت له قوةٌ ومكانةٌ في قومه، لأن النبي ﷺ سأل ربه أن يعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل. فأسلم عمر (رضى الله عنه).

الطالب: إذاً من المؤكد أنه بعد إسلام عمر (رضى الله عنه) أصبح المسلمون أقوياء. أليس كذلك يا أستاذنا الفاضل؟

---

(١) أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة (٢٧٩/١)

(٢) الترمذي (٥٧٧/٥) برقم (٣٦٣٨)

الأستاذ: نعم أصبح المسلمون أقوياء، حتى قال عن ذلك عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر)(١)

فتأملوا كيف بدأت تنفرج الأمور للمسلمين بإسلام رجلين قويين في قريش، هما حمزة وعمر رضي الله عنهما. ولذلك علينا بالصبر والتحمل لما يصيبنا في حياتنا؛ فإن الله تعالى مع الصابرين؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾(٢)وكذلك عدم اليأس، فنبينا محمد ﷺ لم ييأس بالرغم من الصعوبات والأذى الذي يلقاه من قومه.

فلا نيأس أبداً لأن الله تعالى يملك كل شيء، فكيف نيأس والله يعرف عنا كل شيء.

الطالب: نعم! لا يأس والله معنا. وعلينا أن نتعلم الصبر. كما صبر نبينا محمد ﷺ. وأصحابه رضي الله عنهم.

محاصرة شعب أبي طالب:

الأستاذ: لما شعرت قريش بأن الإسلام بدأ ينتشر بين القبائل، وأن الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة في أمان من الله تعالى ثم من ملك الحبشة. وأن حمزة عم النبي ﷺ قد أسلم؛ وكذلك عمر بن الخطاب (رضى الله عنهم)، استشعرت قريش بأن الإسلام بدأ يقوى، فقرر كفار قريش قتل النبي محمد ﷺ.(٣)

الطالب: إنه أمر عظيم وخطير أن يفكروا في هذا الأمر.

الأستاذ: نعم إنه أمر خطير وعظيم كما تفضلتم، ولكن الله تعالى هو الحافظ والمعين، وهو الذي يسير الأسباب المانعة.

---

(١) البخاري (٣/٥٧) برقم (٣٨٦٣)

(٢)سورة البقرة: آية رقم (١٥٣)

(٣) بابن هشام، السيرة النبوية (١/٣٧٥- ٣٨٠) (٢/ ١٤- ٢٢) ابن حجر، فتح الباري (٧/١٩٢- ١٩٣)

الطالب: ما شاء الله ولا قوة إلا بالله، إن صبر نبينا محمد ﷺ على قومه جعل الإسلام ينتشر بين الناس، حيث بدأ يدخل في دين الله تعالى بعض الأقوياء من قريش.

ولكن يا أستاذ ما عرفنا معنى محاصرة الشعب.

الأستاذ: الشعب معناه المكان الذي يكون بين جبلين، وأغلب مكة عبارة عن شعاب؛ لكثرة الجبال بها. ومعنى محاصرة: أي منع الناس من الخروج أو الدخول، أو أن يدخل عليهم شيء من الأشياء كالطعام وغيره.

الطالب: وماذا صنع نبينا محمد ﷺ عندما عرف بأن كفار قريش يريدون قتله؟

الأستاذ: عندما علم عمه أبو طالب بذلك جمع بني هاشم وبني المطلب، وتشاوروا في الأمر. وأجابوا طلب عمه بحمايته، حتى الكافر منهم استجاب لذلك حمية لقرابته إلا أبا لهب فكان مع بقية قريش. فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، وكان ذلك في أول يوم من محرم سنة سبع من البعثة. (١)

الطالب: لقد ذكرت يا أستاذ أنهم أجابوا طلب عمه أبي طالب حتى الكافر منهم وذلك حمية. وما فهمت حمية؟

الأستاذ: الحمية، يعني أن أفراد القبيلة ينصرون قبيلتهم أو أفرادها، وذلك معونة ومساعدة للقبيلة؛ وليس نصرة للحق. فهذه الحمية على عادة الجاهلية.

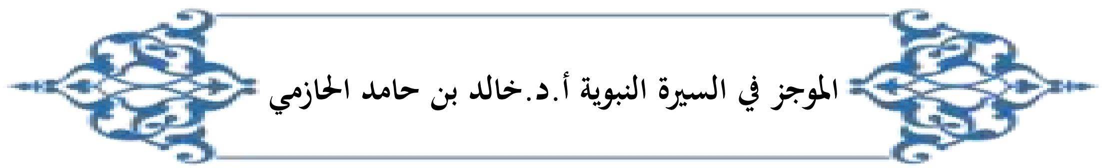
ولكن الإسلام أبطل ذلك فيما بعد، ونهى أن تنصر أحداً إلا بالحق، وأبطل مناصرة الجاهلية، التي يتناصرون فيها حتى مع الظالم على المظلوم، من أجل القبيلة فقط. (٢)

الطالب: جميل هذا الإسلام، يعلم الناس الأخلاق.

---

(١) المرجعان السابقان

(٢) استثمار هذا الموقف من الأستاذ ليعلم الطلاب، الصور الخاطئة من مناصرة بعضهم لبعض. وما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من أخلاق في المناصرة، ويعطي لذلك أمثلة من حياتهم فيما يجب وما يُنهى عنه.



الأستاذ: وعندما اتفق مشركو قريش على هذا الحصار، كتبوا بذلك صحيفة، وعلقوه في الكعبة، حتى لا يتراجعوا عن هذا الاتفاق.

الطالب: وماذا صنع المسلمون في هذا الحصار.

الأستاذ: واستمر هذا الحصار سنتان أو ثلاث. وصبر المسلمون ومن معهم على هذا الحصار الظالم، فلم تعد تأتيهم الأرزاق والطعام حتى بلغ بهم الجوع أن أكلوا أوراق الشجر.

الطالب: إنها مدة طويلة يا أستاذ.

الأستاذ: نعم مدة طويلة من الحصار والصبر، حتى قام رجل من كفار قريش اسمه هشام بن عمرو بن الحارث العامري، وقد كره هذه الصحيفة، وكان يرسل الطعام إلى الشعب خفية عن بقية كفار قريش، فمشى هذا الرجل إلى بعض كفار قريش واحداً واحداً، وكلمهم فاجتمعوا، واتفقوا على تمزيق هذه الصحيفة الظالمة، ويُذكر أن الأرض أكلت كل ما في الصحيفة غير اسم الله تعالى.(١)

الطالب: موقف صعب، ولكن الله تعالى جعل في قلب هذا الرجل هشام بن عمرو رحمة ليكون عوناً على تمزيق الصحيفة.

الأستاذ: إن الله تعالى بيده كل شيء، فهو الذي يسر تمزيق الصحيفة، وجعل الارض تأكل جميع ما فيها من الظلم. وبقي اسم الله تعالى فيها. وهذا يعلمنا أهمية الصبر على البلاء. وأن المسلم قد يبتليه الله تعالى، مثل ما ابتُلي النبي ﷺ وأصحابُه. وأن الابتلاء قد لا يعني غضب الله تعالى على المسلم، ولكن ليرفع درجاته يوم القيامة. وليأتيه اليسر بعد العسر.(٢)

---

(١) المرجعان السابقان

(٢) يبين الأستاذ شيئاً من الابتلاء الذي قد يصيب المرء في حياته، ويبين واجبه تجاه ذلك الابتلاء.

وفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها:

الأستاذ: بعد أن خرج المسلمون بقليل من شعب أبي طالب توفي أبو طالب، وتوفيت خديجة رضي الله تعالى عنها زوجة النبي ﷺ.[1]

الطالب: وهذه محنة وابتلاء آخر للنبي ﷺ.

الأستاذ: نعم! المصائب ابتلاء، وموت عمه وزوجته ﷺ ابتلاء، خاصة وأن مكانة كبيرة لعمه في قريش، وكان يدافع عن النبي ﷺ. وأيضاً خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها كانت تواسي النبي ﷺ، وتشجعه على الصبر، فكانت نعم الزوجة، فرضي الله تعالى عنها. ولكن هذه أقدار الله تعالى، وعلينا أن نصبر عليها.

وقد حزن النبي ﷺ على فقد عمه وزوجته رضي الله تعالى عنها، حتى سُمّي ذلك العام بعام الحزن. خاصة وأن عمه لم يدخل في الإسلام، بالرغم من أنه كان ينصره ويحبه ويدافع عنه، وكان النبي ﷺ يحاول ويجتهد معه مرات ومرات، حتى في آخر لحظة من حياته، ولكن كفار قريش كانوا يشجعونه في البقاء على دين الآباء والأجداد من الشرك.

الطالب: سبحان الله العظيم: كان ينصر النبي ﷺ ويدافع عنه ولم يدخل في الإسلام.

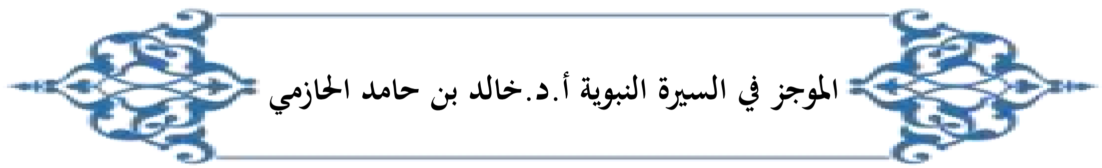
الأستاذ: نعم، لم يدخل في الإسلام بسبب من كان يحيطون به من مشركي قريش، ويشجعونه على البقاء في شركه، ولذلك علينا الحرص من شرور الصُحبة السيئة التي تشجع الإنسان على معصية الله تعالى.

ثم نحمد الله تعالى أن جعلنا مسلمين، فهي نعمة عظيمة، لأن الهداية كرم من الله تعالى علينا، حيث قال الله تعالى لنبيه ﷺ وهو يحاول هداية عمه ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾[2]

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/٥٧-٥٨)

(٢)سورة القصص: آية رقم (٥٦)



الخروج إلى الطائف:

الأستاذ: بعد وفاة أبي طالب عم النبي ﷺ بدأت قريش تزيد من إيذاء النبي ﷺ أكثر مما كانت تؤذيه في حياة عمه. فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف، لعله يجد من ينصره من قبيلة ثقيف، ويَقْبَلُوا دين الله تعالى.(١)

الطالب: وهل ذهب النبي ﷺ إليهم مع أصحابه؟

الأستاذ: لا، بل ذهب وحده إلى الطائف حتى لا يعلم به أحد، فيمنعونه، أو يذهبوا لبني ثقيف ويحذروهم من نصرة النبي ﷺ.

الطالب: إذاً هذه فكرة مهمة؛ قد اتخذها رسول الله ﷺ، ولكن عسى قبيلة ثقيف بالطائف نصرت نبينا محمد ﷺ؟

الأستاذ: عندما وصل النبي ﷺ إلى الطائف ذهب إلى سادتها وكبرائهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد يا ليل بن عمر بن عُمير. وأخيه مسعود، والأخ الثالث حبيب.

فجلس إليهم رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى دين الله تعالى، وطلب نصرتهم له ولهذا الدين. فلم يقبلوا دعوته ولا نصرته، وطلب منهم أن يكتموا خبر زيارته لهم، حتى

لا يعلم قومه في مكة المكرمة، ويكيدون له ويثورون عليه.(٢)

الطالب: والله إنه لموقف صعب جداً. والنبي ﷺ يواجه هذه المواقف صابراً.

الأستاذ: نعم إنه موقف صعب أن تأتي أحداً فيردك. خاصة وأن الذي جاءهم هو نبي الله، ولم يأت إليهم يطلب مالاً أو شيئاً من أمور الدنيا، بل جاءهم بالحق الذي أنزله الله تعالى. ولكن الله جعل هذه دروساً لنا حتى نتعلم ونصبر ولا نيأس. وإلا فإن الله قادر على أن تكون نبوة

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/٦٠-٦٢)

(٢) المرجع السابق

نبينا محمد ﷺ سهلة جداً. ولكن الله تعالى يبين لنا ماذا واجه النبي ﷺ، وكيف صبر ثم نجح بعد الصبر والاجتهاد، ولم يستسلم للصعاب.

فلا نستسلم للمصاعب والمتاعب، بل نجتهد ونصبر ونعمل ونستعين بالله ونتوكل عليه. وهذا في جميع أمورنا.

الطالب: وماذا صنع عليه الصلاة والسلام بعد أن رفضوا دعوته ومناصرته؟

الأستاذ: لم يكتفوا بأن ردوا دعوة النبي ﷺ، بل أخبروا صبيانهم أي أولادهم الصغار وأمروهم وأمروا عبيدهم بأن يرموه بالحجارة، ويسبوه، ويصيحون به. حتى اجتمع عليه الناس، فالتجأ إلى حائط بداخله بستان، فدخله عليه الصلاة والسلام، ورجع الصبية والسفهاء من الناس، فجلس عليه الصلاة والسلام تحت ظل عريش عنب، والعريش عبار عن سقيفة من خشب يمتد عليه أغصان وورق العنب.

الطالب: والله إنه لموقف مُحزن جداً، أن يتعرض نبينا ﷺ لمثل هذا الموقف.

الأستاذ: نعم إنه موقف محزن جداً كما قلتم، ولكن هذا الدين يحتاج منا أن نصبر فيه على طاعة الله، وعلى كل مشقة نجدها. فنصبر على أداء الصلوات ولا نتركها أو نتكاسل عنها، ونصبر على الصدق، ولا نقول الكذب، ونصبر على أن نتعلم أمور ديننا، ونحفظ مسائله، ونجتهد في حفظ القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ ونصبر على طاعة الوالدين، وعلى كل ما أمر الله تعالى به. ونصبر على متاعب الحياة؛ مع الاجتهاد والعمل بجد ونشاط.

الطالب: صحيح يا أستاذ! فإذا كان نبينا ﷺ قد صبر على الأذى وتحمل التعب، فعلينا أن نعمل بما جاء به عن الله تعالى ونصبر على أداء الطاعة.

الأستاذ: هذا صحيح. وعندما جلس النبي ﷺ تحت عريش العنب، الذي كان لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة واطمأن رسول الله ﷺ تحت ذاك العريش، أخذ يدعو الله تبارك وتعالى، ومما جاء

في ذلك الدعاء (اللهم أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي.....)[1]

فتأملوا شكوى رسول الله ﷺ لربه، حيث يشكو ضعف قوته وحيلته، وأن الله هو أرحم الراحمين ورب المستضعفين.

الطالب: هذا جميل يا أستاذنا الفاضل، فنتعلم منه، أنه عندما تصيبنا المصائب، أو نحتاج شيئاً نلجأ إلى الله تعالى الذي لجأ إليه رسولنا محمد ﷺ، ونطلب منه ما نريد.

الأستاذ: أحسنتم أيها الطلاب، فإن الدعاء هو عبادة عظيمة، فعلينا أن ندعو الله تعالى في كل حاجة نريدها.

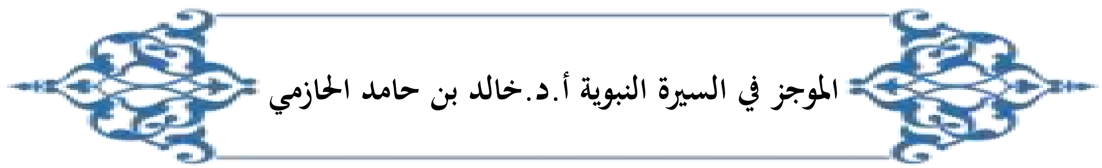
الطالب: ثم ماذا صنع عليه الصلاة والسلام بعد ذلك في هذا البستان؟

الأستاذ: عندما جلس النبي ﷺ تحت العريش، قال عتبة بن ربيعة وأخيه شيبة لغلام لهما اسمه عداس، وكان نصرانياً. خذ قطفاً من هذا العنب، أي عنقود عنب. ثم ضعه في هذا الطبق واذهب به لذلك الرجل.

فأخذ عداس عنباً ووضعه في طبق، ثم وضعه عند النبي ﷺ وقال له كل، فعندما وضع النبي ﷺ يده في الطبق قال: بسم الله، فقال عداس عن تسمية النبي ﷺ: لا يقول أهل هذه البلاد هذا.

فقال النبي ﷺ: ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ فقال عداس: نصراني. وأنا من أهل نينوى. فقال له رسول الله ﷺ: قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبياً، وأنا نبي. فأخذ عداس يقبل رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٦٢/٢)



فلما رأى أبناء ربيعة ما حصل من عداس وهو يقبل النبي ﷺ؛ قال أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك.

فلما جاءهما عداس، قالا له: ويلك يا عداس! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال عداس: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا. لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي. قالا له: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.[١]

الطالب: ولماذا يقولان لعداس أن دينك خير من دينه؟

الأستاذ: لأنهما ما عرفا ما عند النبي ﷺ، وكانا يقولان هذا من غير علم ومعرفة.

ثم بعد ذلك خرج النبي ﷺ مهموماً مما أصابه من الأذى، فيقول عليه الصلاة والسلام (فلم أفق إلا وأنا بقرن الثعالب) وهي منطقة بين الطائف ومكة. فيقول عليه الصلاة والسلام (فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك. وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ ...)[٢]

فماذا تتوقعون أن يقول النبي ﷺ، في قوم ضربوه وآذوه؟ هل سيقول: نعم أطبق عليهم الأخشبين وهما جبلان في مكة المكرمة بجوار الحرم المكي؟ أم أنه يعفو عنهم، ويصبر عليهم ويحاول معهم، لعلهم يدخلون في الإسلام؟

لقد قال النبي ﷺ لملك الجبال (بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)[٣]

---

(١) المرجع السابق

(٢) البخاري (٤٢٨/٢ ـ ٤٢٩) برقم (٣٢٣١)

(٣) المرجع السابق

أي لا تطبق عليهم الجبلين، بل اتركهم لعل الله تعالى أن يجعل من ذريتهم من يعبد الله تعالى. لأنهم لو أهلكهم الله تعالى فلن تكون لهم ذرية لموتهم. ولكن نبينا محمد ﷺ لا يفكر في الانتصار لنفسه، وإنما يفكر في إنقاذ الناس من النار بدخول الإسلام.

ثم تذكرون أن النبي ﷺ دعا ربه؛ وكيف استجاب الله له، بأن أرسل إليه جبريل عليه السلام.

الطالب: نعم إنه موقف عظيم وجليل.

الأستاذ: وفي عودة النبي ﷺ من الطائف، قام في جوف الليل يصلي بمنطقة اسمها نخلة. فمر به نفر من الجن، فاستمعوا للنبي ﷺ وهو يقرأ القرآن في صلاته، فآمنوا، ولما فرغ عليه الصلاة والسلام من صلاته، ذهبوا إلى قومهم منذرين. قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩﴾(١)

فتأملوا: عندما صَدَّه قَومُه وردوا دعوته، كيف سخر الله تعالى الجن تستمع فتؤمن برسالة النبي ﷺ.

الطالب: إنها تضحية من أجل الدين، ولكن الله تعالى مع النبي ﷺ.

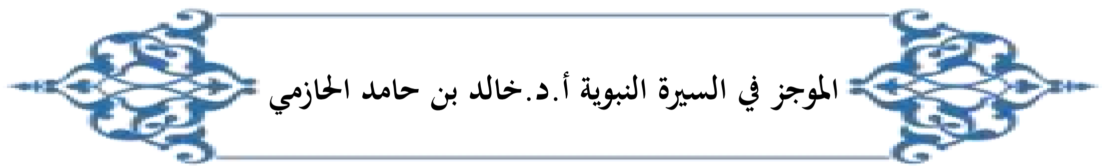
الإسراء والمعراج:

الأستاذ: بعد رحلة الطائف، التي لم يقبل زعماؤها الإسلام، وأساؤوا إلى رسول الله ﷺ تأتي رحلة الإسراء والمعراج.

الطالب: عفواً يا أستاذنا القدير. ما معنى الإسراء والمعراج؟

الأستاذ: كلمة الإسراء، من يسري، وهو الذي يذهب في الليل أو يسافر في الليل. وأما المعراج فهي كلمة من العروج وهو الصعود. ومعنى هذا أن النبي ﷺ قد حصل له أمران: الأول: الإسراء وهو الذهاب ليلاً من مكة إلى بيت المقدس، كما قال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ

(١) سورة الأحقاف: آية رقم (٢٩)



لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١﴾[1] والأمر الثاني: أنه عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء.

الطالب: إذاً حصل للنبي ﷺ أمران: الأول: أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. والثاني: أنه عُرج به إلى السماء.

ولكن كيف حصل هذا يا أستاذ؟ ليتك توضح لنا هذا الأمر العظيم.

الأستاذ: عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) (أن رسول الله ﷺ، قال: أُتِيتُ بالبُراق. وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل)[2] فهذا الجزء من الحديث يبين لنا الدابة التي ركبها النبي ﷺ، وتسمى البُراق، ولونها أبيض، وطويلة، وهي أكبر من الحمار، وأصغر من البغل الذي يشبه الخيل.

ثم يقول النبي ﷺ في وصف البُراق (أنه يضع حافره عند منتهى طرفه)[3]، الحافر هو طرف القدم ونهايتها التي يضعها الحصان على الأرض. أي إذا مشى كان مسرعاً جداَ، كالبرق في سرعته، فإذا رفع رجله وضعها عند نهاية ما يصل إليه بصره، من شدة سرعته. ثم يقول عليه الصلاة والسلام (فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء.) أي ربطه ﷺ بالحلقة التي كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يربطون بها. ويقول عليه الصلاة والسلام (ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين) ثم عَرَجَ به جبريل إلى السماء.

الطالب: هذه رحلة رائعة أليس كذلك يا أستاذنا؟

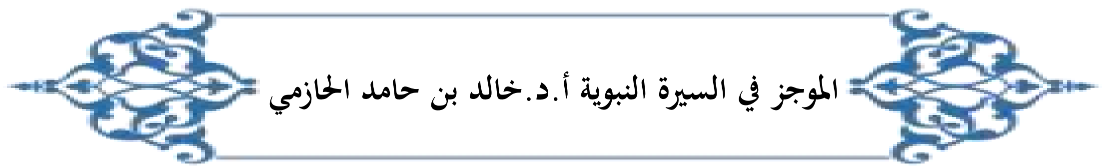
الأستاذ: نعم إنها رحلة رائعة يستحقها رسول الله ﷺ بفضل من الله تعالى، بعد أن قال عنه قومه: ساحر ومجنون وكاهن، ورموا عليه سلى الجزور. وآذوه في أصحابه بالتعذيب، ثم ذهبوا إلى الحبشة، ثم يحصل له حصار الشعب، ثم يتوفى عمه أبو طالب، وزوجته خديجة رضي الله

---

(١) سورة الإسراء: آية رقم (١)

(٢) مسلم (١/١٤٥) برقم (٢٥٩ ـ ١٦٢)

(٣) المرجع السابق



عنها، ثم يجد الطرد من أهل الطائف. فجميع هذه المحن والمصاعب والمتاعب يواجهها النبي ﷺ ليجد مكافأة الله تبارك وتعالى بهذه الرحلة العظيمة.

الطالب: ولعلك يا أستاذ تخبرنا عن رحلة المعراج إلى السماء؟

الأستاذ: لقد أخبرنا الله تبارك وتعالى بأن السماوات سبع، كما قال تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾[1] والنبي ﷺ، عُرج به أولاً إلى السماء الدنيا، فقال جبريل لخازن السماء أي حارسها من الملائكة: افتح. فقال الملك: من هذا؟ قال: هذا جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم. معي محمد ﷺ. فقال: أُرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا، فوجد فيها آدم عليه السلام.[2] وهو أبو البشرية، لأن الله تعالى جعل زوجته حواء، ثم توالدوا وكثر أبناؤهم، فتعود البشرية كلها لآدم وحواء.

الطالب: يا أستاذ! وهل لكل سماء حرس من الملائكة؟

الأستاذ: نعم. إن الله تعالى نظم هذا الكون تنظيماً جميلاً، ومحكماً، ومن ذلك أنه جعل لكل سماء ملائكة يحرسونها. فالله تعالى حكيم عظيم.

الطالب: ثم ماذا حصل بعد ذلك؟

الأستاذ: ثم عُرج به ﷺ إلى السماء الثانية، وقال خازنها لجبريل مثل ما قال خازن السماء الدنيا، وجبريل يخبره أن الذي معه محمد ﷺ، وأنه أُرسل إليه. فوجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم.[3]

---

(١) سورة فصلت: آية رقم (١٢)

(٢) البخاري (١/١٣٢) برقم (٣٤٩)

(٣) المرجع السابق

وقد فرض الله على نبينا محمد ﷺ وعلى أمته الصلوات الخمس في هذه الرحلة. مما يدل على عظيم هذه الصلوات الخمس التي فرضت في السماء على النبي ﷺ.

وفي هذه الرحلة رأى رسول الله ﷺ الجنة ودخلها.

وتدل هذه الرحلة على منزلة النبي ﷺ ومكانته عند الله تعالى حيث صلى في بيت المقدس وعرج به إلى السماء، ورأى من رأى من الأنبياء، ورأى الجنة ودخلها، وفرضت عليه الصلوات في هذه الرحلة العظيمة.

فانظروا إلى ثواب الله تعالى للنبي ﷺ الصابر والمطيع لربه تبارك وتعالى. وصاحب الأخلاق العالية الرفيعة، والذي صبر على قومه، وبالتالي فإن أطعنا ربنا تبارك وتعالى واتبعنا أوامره، سيرزقنا الخير في الدنيا والآخرة، ويوفقنا ويبارك فينا ولنا. فلزوم الطاعة أمر مهم في حياتنا.[1]

العرض على القبائل طلباً لقبول الدعوة:

الأستاذ: لم ييأس رسول الله ﷺ مما حصل له من أهل الطائف، بل بدأ يعرض دعوته بين القبائل القادمة إلى مكة للحج أو لأسواق العرب.

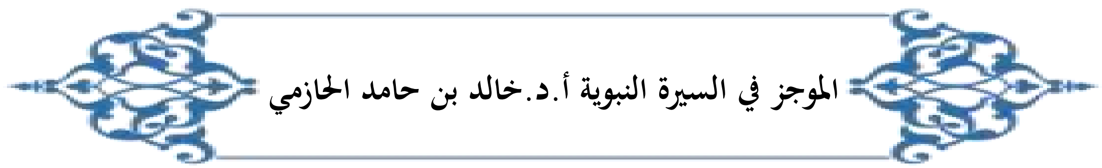
الطالب: وهل للعرب أسواق كبيرة في ذلك الوقت؟

الأستاذ: نعم. كان للعرب أسواق كبيرة جداً، يأتي إليها تجار القبائل من مكة وخارجها، فمنهم من يأتي ببضاعة، ومنهم من يأتي ليشتري، ومنهم من يأتي للأمرين معاً. ومن أشهرها سوق عكاظ، وسوق ذي المجاز، ومجَنَّة. وحتى بعض الشعراء يقولون شعرهم في تلك الأسواق حتى يسمعها الناس فينقلوها بين القبائل.

الطالب: وكيف كان النبي ﷺ يعرض دعوته على القبائل؟

---

(١) وللأستاذ بيان فوائد الطاعة لله تعالى وثوابها ويعطي أمثلة عليها: في بر الوالدين، وأداء العبادة، والخوف والرجاء. وفضائل الأخلاق، واجتناب مساوئ الأخلاق.



الأستاذ: كان رسول الله ﷺ، يقف على القبيلة، ويقول (يا بني فلان إني رسول الله إليكم، آمرُكم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، وان تصدقوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به)[١]

وكان يقول أيضاً (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا)[٢]

وكان يقول عليه الصلاة والسلام (من يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟)[٣]

وتأملوا فيما يقوله ربيعة بن عباد في وصف ذلك، حيث يقول: رأيت رسول الله ﷺ بذي المجاز يدعو الناس، وخلفه رجل أحول، يقول: لا يصدنكم هذا عن دين آلهتكم، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا عمه أبو لهب.[٤]

فيتبين من هذا الوصف أن النبي ﷺ، يمشي إلى الناس ويبين لهم أنه نبي الله أرسله برسالته. وكان عمه أبو لهب يمشي خلفه أي وراءه ويقول: لا يخرجكم هذا عن دينكم التي هي عبادة الأصنام، وكان أبو لهب رجل أحول، أي أن عينه تتجه بنظرها على غير ما تنظر إليه.

الطالب: إذاً كان عمه أبو لهب يؤذي النبي ﷺ في دعوته؟

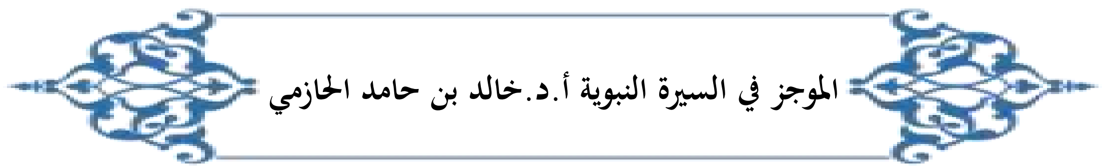
الأستاذ: نعم كان عمه وغيره يؤذونه في دعوته، ويقولون للناس لا تصدقونه.

الطالب: وماذا كان يصنع رسول الله ﷺ، وهم يقومون بهذا الأذى؟

الأستاذ: كان ﷺ قوي الإيمان؛ وقوي في دعوته، لا يقف أمام هذه الصعوبات، بل يتعدها ويتجاوزها، ويذهب لغيرهم من القبائل، ولا يلتفت لمن أساء إليه. وهكذا علينا أن نعمل مثل فعله، فلا نلتفت لمن أساء إلينا، بل نتجاوزه دون أن ننشغل به، حتى لا يضيع الوقت معه.

---

(١) أحمد، المسند (٤٩٢/٣)
(٢) أحمد، المسند (٤٩٢/٣)
(٣) أحمد، المسند (٢٢٣/٣ــ٣٢٤)
(٤) أحمد، المسند (٤٩٢/٣)



الطالب: جميل هذا يا أستاذ، بأن لا نلتفت ونتوقف عند من يشغلنا عن الجد والاجتهاد، وفعل الأشياء الحميدة، بل نتركه ونواصل سيرنا في الخير.

الأستاذ: نعم نواصل مسيرتنا في الخير، ونعلم أن هناك أناساً لا يحبون الخير للآخرين، بل يريدون الفساد والأخلاق السيئة؛ فلا نقف عندهم؛ بل نسارع نحو الأخلاق الفاضلة، كما كان عليه الصلاة والسلام لا يتوقف عن دعوته، بل يترك من يريد أن يُفسد عليه دعوته.

الطالب: وهل استجاب لدعوة نبينا وحبيبنا محمد ﷺ أحد؟

الأستاذ: كما عرفتم أن النبي ﷺ لم يتوقف، حيث ينتقل من قبيلة لأخرى، ومن شخص لآخر. ومن أولئك مجموعة من المدينة المنورة، الذين أصبح اسمهم فيما بعد الأنصار؛ لأنهم نصروا رسول الله ﷺ. فوجد سويد بن الصامت الأنصاري قدم إلى مكة حاجاً. ودعاه للإسلام، وقال سويد: هذا القول حسن، ثم قدم سويد المدينة، أي جاء إلى المدينة. وقُتل.[1]

الطالب: وهل كان مسلماً؟

الأستاذ: كان رجال من قومه يقولون: إنا لنراه قد قُتل مسلماً.[2]

وقدم بعد ذلك وفد من الأوس إلى مكة أي مجموعة من الأوس، وهم وفد من بني الأشهل. وسمع بهم النبي ﷺ. فجاءهم ودعاهم إلى الإسلام، وأسمعهم القرآن.[3]

الطالب: وهل أسلموا؟

الأستاذ: قيل إنه دارت حرب في المدينة بين الأوس والخزرج، وقتل فيها إياس بن معاذ، وكان قومه يسمعونه يهلل الله.[4] أي يقول: لا إله إلا الله، ويسمعونه يكبره ويحمده ويسبحه حتى مات. أي يقول: الله أكبر والحمد لله وسبحان الله. وهذا دليل على أن دعوة النبي ﷺ بدأت

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/٦٧ - ٦٩)

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق (٢/٦٩)

(٤) المرجع السابق

تلقى قبولاً قليلاً في المدينة. ثم جاءت بعد ذلك بيعة العقبة الأولى والثانية مع أهل المدينة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

بيعة العقبة الأولى:

الأستاذ: في الموسم التالي لتلك السنة التي قابل فيها النبي ﷺ أناساً من المدينة، أي في العام الثاني عشر للبعثة. جاء اثنا عشر رجلاً من الأوس والخزرج. فقابلهم النبي ﷺ عند العقبة. والعقبة هو الطريق الوعر الصعب في الجبل. ولذلك سميت بيعة العقبة، وعرض عليهم الإسلام، ويقول عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وهو يصف ذلك اللقاء بين رسول الله ﷺ وبين هذا الوفد (كنا مع رسول الله ﷺ، في مجلس. فقال: تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق. فمن وفى منكم فأجره على الله. ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به فهو كفارة له. ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه، فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه)[١]

الطالب: سبحان الله العظيم، فجميع ما قاله عليه الصلاة والسلام للوفد صفات جميلة وأعمال كريمة. ليس فيها تعب ولا مشقة.

الأستاذ: أحسنتم يا أبنائي، فَدِينُنَا دين أخلاق وأدب، وليس فيه مصاعب ولا متاعب، بل سهل يسير، وجميل في كل شيء، فهو يعلم الناس الأخلاق، ويعلمهم المحبة، وعدم القتل، وعدم السرقة، حتى يعيش الناس في أمن وطمأنينة.

الطالب: وهل رجع الوفد إلى المدينة؟

الأستاذ: نعم عادوا إلى المدينة، وبعث معهم النبي ﷺ مصعب بن عمير (رضى الله عنه)، وأمره أن يُقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام. وكان يصلي بهم إماماً.[٢]

---

(١) مسلم (١٣٣٣/٣) برقم (١٧٠٩)

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (٧٦/٢ ـ ٧٧)

الطالب: هذا شيء رائع وفضل من الله تعالى أن قبل الدعوة أناس من المدينة.

الأستاذ: نعم يا أبنائي، فضل من الله تعالى، ولاحظوا أن الفرج يأتي شيئاً فشيئاً. حيث بدأ الإسلام ينتشر في المدينة على أيدي هؤلاء الصحابة، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يُظهرون الإسلام. والرهط هو العدد من ثلاثة إلى سبعة، أو ما كان أقل من عشرة. ومعنى هذا أنه لا يوجد بيت من بيوت الأنصار إلا وفيها عدد يفوق الثلاثة ودون العشرة قد أسلموا.

بيعة العقبة الثانية:

الأستاذ: في موسم الحج التالي من العام الثالث عشر للبعثة النبوية المباركة تمت بيعة العقبة الثانية. حيث اجتمع الأنصار قبل مجيئهم إلى مكة المكرمة، وقالوا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يُطرد في جبال مكة، ويُخاف؟ فرحل منهم إلى مكة سبعون رجلاً، حتى قدموا عليه في الموسم، فوعدوه العقبة. فيأتي الرجل، والرجلين، حتى اجتمعوا عند النبي ﷺ.

الطالب: يا أستاذ! قلت يأتي الرجل والرجلين، ألم يأتوا كلهم جميعاً؟

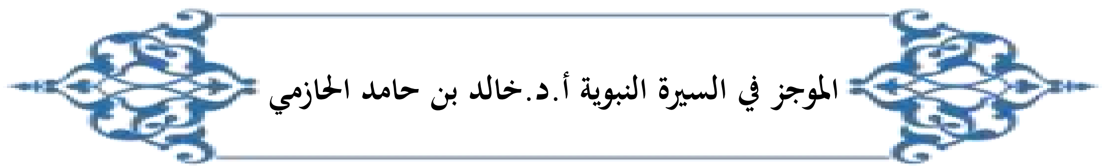
الأستاذ: سؤال مهم جداً يا أبنائي، فمتابعتكم جيدة لسيرة نبينا محمد ﷺ: كان يأتي الرجل وحده، ويأتي الرجلان حتى لا تشعر قريش بذلك الاجتماع، فلو جاؤوا جميعاً لعرفت قريش بهم، ولمنعوهم من هذا اللقاء. أعرفتم الحكمة؟

الطالب: هذا عمل جيد، فمعناه يجب علينا أن نستخدم الحكمة في أشيائنا.

الأستاذ: نعم يجب علينا أن نكون من أهل الحكمة، بأن نفكر في أمورنا تفكيراً جيداً، قبل أن نفعل الشيء، حتى ننجح في الحياة، مع الاستعانة بالله تعالى، لأن التوفيق كله بيد الله تعالى.

الطالب: وماذا صنعوا في اجتماعهم عند النبي ﷺ؟

الأستاذ: قالوا للنبي ﷺ: على ما نبايعك؟



فقال النبي ﷺ (تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل. والنفقة في العسر واليسر. وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم. وعلى أن تنصروني، فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة)[1] فقام الوفد فبايعوا رسول الله ﷺ، أي وافقوه على كل ما قال.

الطالب: فمعنى المبايعة الموافقة على نصرة النبي ﷺ.

الأستاذ: نعم هذه المبايعة دليل على أن الأنصار قد رحبوا بالنبي ﷺ وبدينه، وأنهم معه، وأنه سَيَقْدُمُ إليهم، أي سيهاجر إلى المدينة، حيث وجد بها من يؤيده ويناصره، وتأملوا كيف هذا التوفيق من الله تعالى بعد معاناة طويلة بلغت ثلاث عشرة سنة، والنبي ﷺ يدعو الناس ويصبر على أذاهم. وهكذا يكون المسلم صابراً على طاعة الله تعالى كما صبر رسول الله ﷺ هذا الصبر الطويل الذي تكلل بهذه المبايعة العظيمة.

---

(١) أحمد، المسند (٣/٣٢٢ـ ٣٢٤)

الفصل الثالث:

الهجرة إلى المدينة

الهجرة إلى المدينة:

الأستاذ: لم تكن الهجرة مجرد رغبة من النبي ﷺ ليشد رحاله ويذهب إلى لمدينة المنورة، بل كانت لها مقدمات، وتفكير وتخطيط لتفادي المخاطر التي يمكن أن تحدث، وقد كانت فيها أحداث ومواقف، نتعلم منها دروس في مجالات مختلفة، ونستفيد منها فوائد عظيمة؛ كما يتضح من مقدماتها ومراحلها، التي نبدأها بمقدمات الهجرة.

الطالب: هل معنى هذا أننا سوف نتعرف على أشياء كثيرة في هجرة المصطفى ﷺ.

الأستاذ: نعم. سوف نتعرف على أشياء كثيرة ومهمة إن شاء الله تعالى.

مقدمات الهجرة:

الأستاذ: بعد تلك الشدائد والمعاناة التي واجهها رسول الله ﷺ وصحابته في مكة من كفار قريش، رأى النبي ﷺ رؤيا في المنام، ورؤيا الأنبياء حق. فقال ﷺ لأصحابه (رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنه اليمامة أو هَجَر، فإذا هي المدينة، يثرب)[1]

الطالب: يا أستاذ هناك كلمات، ما فهمت معناها؟

الأستاذ: حسناً! سأبين لكم ذلك إن شاء الله.

كانت المدينة وما زالت تشتهر بمزارع النخيل، وكذلك اليمامة وهي نجد، وكذلك هَجَر، وهي الأحساء. وكانت المدينة تسمى يثرب في ذلك الوقت.

ولما أن جميع هذه المناطق الثلاث تشتهر بالنخيل، ظن النبي ﷺ أنها اليمامة أو هجر. ولكنها كانت المدينة، حيث حصلت بيعة العقبة الأولى والثانية كمقدمة وتمهيد لها بتوفيق من الله تعالى.

---

(١) البخاري (٦٦/٣) باب هجرة النبي وأصحابه (رضى الله عنهم) إلى المدينة.

الطالب: وهل هاجر المسلمون جميعهم سوياً مع رسول الله ﷺ، أم ذهبوا متفرقين حتى لا تعلم بهم قريش، كما فعل الأنصار عندما اجتمعوا مع النبي ﷺ في بيعة العقبة الثانية.

الأستاذ: هذا فهم رائع يا أبنائي، يدل على أنكم استفدتم من أحداث السيرة النبوية، وفهمتم أشياء جيدة تتوسع بها عقولُكم.

لقد ذهب الصحابة (رضى الله عنهم) إلى المدينة أفراداً وجماعات، ففي كل حين يذهب واحد أو اثنان أو أكثر. فقد ذهب مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، ثم عمار بن ياسر وسعد وبلال، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من الصحابة (رضى الله عنهم).(١) كما هاجر إلى المدينة كل من كان بأرض الحبشة.

الطالب: يا أستاذ: هل علمت قريش بذهاب هؤلاء المسلمين إلى المدينة؟

الأستاذ: نعم علمت قريش بذلك، وأخذت تضع العراقيل، أي الصعوبات أمام المسلمين الذين يريدون الهجرة إلى المدينة، بمنعهم أو منع أهلهم من الذهاب معهم. فأم سلمة رضي الله عنها، منعوها من الذهاب مع زوجها أبو سلمة. فذهب لوحده، وترك زوجته؛ لعلها أن تلحق به في الوقت المناسب.(٢)

الاستعداد للهجرة:

الطالب: وكيف هاجر النبي ﷺ.

الأستاذ: كان أبو بكر الصديق صاحب رسول الله ﷺ، يفكر في الهجرة. وأراد (رضى الله عنه) أن يهاجر إلى المدينة، فطلب منه النبي ﷺ أن ينتظر، لعل الله تعالى أن يأذن له بالهجرة إلى المدينة، أي يأذن للنبي ﷺ بالهجرة، فيذهب معه أبو بكر الصديق (رضى الله عنه).

الطالب: يعني أن النبي ﷺ لم يذهب حتى أذن الله تعالى له.

---

(١) البخاري (٣/٧٥ـ٧٦) برقم (٣٩٢٤ـ ٣٩٢٥)

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/١١٢-١١٣)

الأستاذ: نعم. حتى يأذن الله تعالى له، لأن هذا أمر كبير وعظيم. فالله تعالى هو العالم بالوقت المناسب.

فقام أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) بتجهيز راحلتين، واحدة للنبي ﷺ، والثانية له. والراحلة هي الدابة التي يركب عليها الإنسان للسفر أو لحمل المتاع، مثل الجمل والحمار والخيل.

وفي ظُهر أحد الأيام جاء النبي ﷺ لبيت أبي بكر الصديق (رضى الله عنه)، وقال النبي عليه الصلاة والسلام (فإني قد أُذن لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: نعم)[١]

وهذا يدل على أهمية اختيار الصاحب الجيد والرفيق المخلص، حيث كان يقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله. أي أفديك بأبي وأمي. أي أقدمك على أبي وأمي حتى ولو فقدتهما بسببك. وهكذا تكون محبتنا لرسول الله ﷺ أكثر من حبنا لأنفسنا وأهلينا.

الطالب: هذا كلام جميل، فنحن كذلك نحب رسول الله ﷺ أكثر من حبنا لأنفسنا وأهلينا. فعليه الصلاة والسلام ذاق ألوان المتاعب والصعاب من أجل أن نكون مسلمين.

الأستاذ: ولما أرادا السفر، جهز أبو بكر (رضى الله عنه) الراحلتين، وأخذ جميع ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم.[٢] حتى ينفقها في خدمة رسول الله ﷺ في هذه الرحلة.

ويفيد هذا الموقف: أهمية التجهيز وأخذ ما يلزم عندما يريد الإنسان أن يسافر. وقد صنع أهل أبي بكر سُفرة في جراب، وهو مثل الكيس الكبير يوضع فيه حاجات الإنسان. فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب. فبذلك سميت ذات النطاق.[٣]والنطاق هو ما تضعه المرأة على رأسها من قماش.

---

(١) البخاري (٣/٦٨-٦٩) برقم (٣٩٠٥)

(٢) الحاكم، المستدرك (٣/٥)

(٣) البخاري (٣/٦٨-٦٩) برقم (٣٩٠٥)

فتأملوا حرص أهل أبي بكر (رضى الله عنهم) على رحلة النبي ﷺ فقدموا جميع ما عندهم من خدمة لهذا الدين. فعلينا أن نقتدي بأبي بكر وأسرته، فنقدم ما نستطيع لهذا الدين. ولا نبخل بشيء عليه.

الطالب: هذا هو الاستعداد للرحلة، ولكن لعل قريشاً ما عرفت بأمر النبي ﷺ.

الأستاذ: كتم النبي ﷺ هذا الأمر، ولا يعرفه غير أبي بكر وأهله (رضى الله عنهم) وهم يعرفون مدى سرية هذا الأمر. ولكن قريشاً عندما رأوا كثرة المسلمين الذين يذهبون إلى المدينة، خافت من تجمعهم هناك. فإذا كَثُر عددُهم يعودون إلى مكة أقوياء. فلما شعرت بهذا الأمر اجتمع كفار قريش وتشاوروا في الأمر، واتخذوا عدة قرارات، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، أي أربطوه، والوثاق الحبل، أي أربطوه بالحبل. وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: أخرجوه. [1] فأطلع الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ على ما تخطط له قريش. فعرف النبي ﷺ ما يريدون فعله به ﷺ.

الطالب: أمر مخيف يا أستاذ، أن يفعلوا شراً برسول الله ﷺ. فماذا فعل النبي ﷺ عندما عرف هذا الأمر من قريش؟

الأستاذ: عندما علم النبي ﷺ بذلك، وهو يتجهز للهجرة، اتفق مع علي بن أبي طالب (رضى الله عنه)، فبات في فراش رسول الله ﷺ.

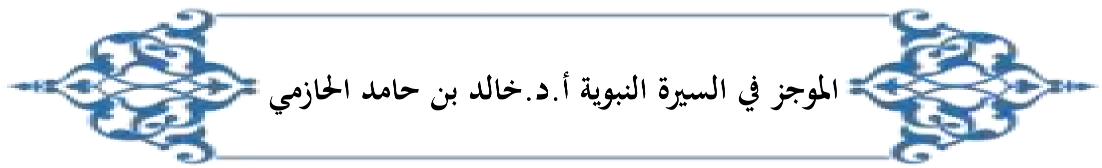
الطالب: لماذا نام علي (رضى الله عنه) على فراش النبي ﷺ.

الأستاذ: لأن النبي ﷺ ذهب وبرفقته أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) إلى غار ثور. ونام علي (رضى الله عنه) مكان رسول الله ﷺ، حتى يعتقدوا أن النبي ﷺ في بيته نائم، فلا يبحثوا عنه، ويكون قد وصل عليه الصلاة والسلام إلى الغار.

الطالب: فكرة قوية يا أستاذ.

---

(١) أحمد، المسند، (١/٣٤٨)



الأستاذ: نعم فكرة وخطة قوية تبين أهمية التفكير في معالجة الأمور، كما أن ذلك يبين مدى محبة علي (رضى الله عنه) للنبي ﷺ، حيث نام مكانه. وهو في خطر من قريش.

الطالب: رضي الله عن علي بن أبي طالب. فقد كان شجاعاً، ومحباً للنبي ﷺ.

الأستاذ: نعم كان علي (رضى الله عنه) طيلة حياته شجاعاً قوياً محباً للرسول ﷺ، وهو ابن عم النبي عليه الصلاة والسلام.

الطالب: ثم ماذا حصل بعد ذلك يا أستاذ؟

الأستاذ: بات كفار قريش يحرسون علياً (رضى الله عنه) يحسبون أنه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه. فلما رأوا علياً، قالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري. فرد الله مكرهم عليهم.(١)

فتأملوا أهمية الأخذ بالأسباب، حيث أخذ بها النبي ﷺ مع توكله على الله تعالى، فلا بد لنا من أن نأخذ بالأسباب في جميع أمورنا، ونجتهد فيها كذلك، مع التوكل على الله تعالى.

الطالب: هذه فائدة جليلة يا أستاذنا الكريم. وبعد هذا الموقف ماذا صنعت قريش.

الأستاذ: أخذت قريش بعد ذلك تبحث عن النبي ﷺ، فاقتصوا أثره، أي تتبعوا خطوات النبي ﷺ على الأرض، لأن العرب قديماً كانت تهتم بهذا الأمر اهتماماً كبيراً، ويُعَلِّمون بعضهم بعضاً في كيفية اقتصاص الأثر، أي تتبعه.

فمشى أفراد قريش متتبعين الأثر حتى بلغو جبل ثور، فاختفى عنهم أثر الرسول ﷺ، فلم يعرفوا أين ذهب. وعندما مروا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت، أي بيت العنكبوت، فقالوا لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث عليه الصلاة والسلام ثلاث ليال.(٢)

الطالب: ولكن هناك تساؤلات كثيرة يا أستاذ. أولها لماذا مكث ثلاث ليال فقط.

---

(١) المسند، (٣٤٨/١)

(٢) أحمد، المسند (٣٤٨/١)

الأستاذ: مكث ثلاث ليال، حتى يبحثوا عنه فلا يجدوه؛ فييأسوا من وجوده. فيتوقفوا في البحث عنه بمكة وأطرافها، فيستطيع أن يذهب إلى المدينة.

الطالب: هذه فكرة رائعة. وكذلك هناك سؤال عن غار ثور، فهل هو غار آخر، غير غار حراء؟

الأستاذ: نعم! غار ثور في الجهة الشرقية من مكة المكرمة تقريباً، وجبل ثور في الجهة الجنوبية، وهو عكس اتجاه المدينة لأنها في الجهة الشمالية من مكة تقريباً.

الطالب: وأيضاً هذه فكرة أخرى رائعة. ولكن هل شعر النبي ﷺ بأصواتهم وهم يمشون من عند الغار.

الأستاذ: نعم سمع صوتهم ورأى أقدامهم كما سوف يتبين إن شاء الله تعالى.

الموقف في غار ثور:

الأستاذ: يقول أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) (كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا، أي نظر إلى أسفل لرآنا. فقال رسول الله ﷺ (أسكت يا أبا بكر، اثنان، الله ثالثهما)[1]فلقد كان موقفاً صعباً، ولكن كان الله تعالى معهما، فهو الذي جعل العنكبوت تبني ذلك البيت بتلك السرعة، وهو الذي جعل كفار قريش لا ينظرون إلى أسفل أقدامهم فيرون النبي ﷺ وصاحبه (رضى الله عنه). وهو الذي ستر ضعفهم، وقلة حيلتهم في ذلك المكان، ولكن إيمان الرسول ﷺ بمعية الله تعالى ورعايته لهما طمأن أبي بكر الصديق (رضى الله عنه). فبين له أن الله تعالى هو ثالثهم برعايته تبارك وتعالى ونصره. وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم واصفاً ذلك الموقف ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ

(١) البخاري (٣/٧٥) برقم (٤٩٢٢)

سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾[١]

الطالب: الحمد لله على هذه النعمة التي حفظ بها نبيه ﷺ وصاحبه، وأنزل السكينة عليهما. إنه موقف عظيم. ولكن كيف عاشا ثلاثة أيام في الغار؟ هل عندهما طعام وماء يكفيهما لثلاثة أيام؟

الأستاذ: أسئلة جيدة يا أبنائي. لقد خطط النبي ﷺ خطة لذلك، قبل أن يذهبا للغار. فقد اتفقا مع عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بأن يأتي إليهما في الظلام ويبيت عندهما، ويذهب في آخر الليل إلى مكة فلا يأتي الصباح إلا وهو مع الناس، فيسمع ما تقول قريش وما يخططون له، وكان في ذلك الوقت غلاماً شاباً، ولكنه كان فطناً واعياً، فيأتي في الليل ويخبر النبي ﷺ بما تقول قريش في شأن النبي ﷺ.[٢]

وكان يأتي إليهما عامر بن فهيرة (رضى الله عنه) مولى أبي بكر الصديق، بالغنم حين يأتي العِشاء فيشربون اللبن، ثم يذهب في آخر الليل إلى مكة، ويكون بذلك قد أزالت الغنم أثر مشي وخطوات عبد الله بن أبي بكر، حتى لا تعرف قريش أنه يذهب للغار، فيعرفون مكان النبي ﷺ.

الطالب: إنها خطة قوية ورائعة.

الأستاذ: نعم كانت خطة قوية ورائعة، يعرفون من خلالها الأخبار، ويحصلون على الطعام، ويمحون أي أثر يدل على وجودهم في الغار. ولذلك علينا أن نخطط عندما نريد أن نحقق

(١)سورة التوبة: آية رقم (٤٠)

(٢) البخاري (٣/٦٨-٦٩) برقم (٣٩٠٥) ملخص

أهدافنا وتطلعاتنا مستعينين بالله تعالى. وعلينا أن نخطط لدروسنا، ولنجاحنا وتفوقنا حتى نكون خير أمة أخرجت للناس، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر.

الطالب: وبعد الثلاثة الليالي التي مكثها النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق (رضى الله عنه)، ماذا صنعا؟

الخروج من الغار إلى طريق الساحل:

الأستاذ: بعد أن مضت الثلاث الليالي خرجا من الغار، وقد استأجر النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق قبل ذهابهما للغار رجلاً ماهراً يدلهما على الطريق إلى المدينة. وكان الرجل على دين كفار قريش. وقد أعطياه رحلتيهما قبل ذهابهما للغار، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، أي صبيحة اليوم الثالث.[1] وكان اسمه عبد الله بن أريقط، فأخذ بهما طريق الساحل، وكان معهما عامر بن فهيرة.

الطالب: ولكن ما معنى طريق الساحل؟

الأستاذ: أولاً: الساحل يعني البحر، وطريق الساحل، يعني الطريق الذي بجوار البحر.

ثانياً: قد أخبرتكم من قبل أن غار ثور جنوب مكة، والمدينة في الاتجاه المعاكس تماماً، أي أنها شمال مكة المكرمة. وفي هذا حكمة، حتى لا تتوقع قريش أن النبي ﷺ في ذلك الاتجاه وذلك المكان، وأما الأقرب فهو أن يذهب عليه الصلاة والسلام تجاه شمال مكة ويختبئ هناك. وهذه خطة رائعة بأن يفكر عكس ما يظن أو يفكر فيه العدو. ثم ذهبوا تجاه البحر الأحمر، حتى لا يتوقعه أحد من المشركين، ثم بعد ذلك يتجهون نحو المدينة.

الطالب: هذا مهم جداً وتفكير عميق، وتوفيق من الله تعالى.

(١) البخاري (٣/٦٨-٦٩) برقم (٣٩٠٥)

الأستاذ: أحسنتم يا أبنائي فهذا توفيق من الله تعالى مع تفكير سليم وصحيح، وهكذا علينا أن نفكر في أمورنا بتفكير عميق وصحيح حتى لا نندم، ثم نبتعد عن كل خطأ؛ مستعينين بالله تعالى.

وهناك أمر مهم يا أبنائي يجب أن تعرفوه: وهو أن الله تعالى قادر على ألا يواجه النبي ﷺ هذه المصاعب، فيسري به إلى المدينة في لحظة قصيرة، كلمح البصر؛ كما أسري به إلى المسجد الأقصى، ولكن رسالة النبي ﷺ علم ومنهج لنا في جميع شؤون حياتنا، فيتعرض النبي ﷺ لكل ما يمكن أن يتعرض له الإنسان، من تعب ومشقة وكيد أعداء، حتى نقتدي به في جميع الأحوال.

الطالب: صحيح يا أستاذنا الفاضل: فلو أسري به إلى المدينة لما وجدنا هذه الفوائد والدروس من حياته ﷺ. فقد جعلها الله تعالى علينا حجة وطريقاً ومنهجاً نسير من خلاله.

في ظل صخرة:

الأستاذ: فرحل الركب المبارك يومهم مع ليلتهم حتى إذا جاء الظهر وخلا الطريق، وجدوا صخرة كبيرة لها ظل، فتوقفوا عندها.

وقام أبو بكر (رضى الله عنه) فسوى بيده مكاناً لينام فيه النبي ﷺ في ظل تلك الصخرة الكبيرة، ووضع عليه فروة، وهي جلد غنم عليها شعرها. ثم قال أبو بكر (رضى الله عنه): نم يا رسول الله، وأنا أنفض لك ما حولك. فنام وخرج ينفض ما حوله.[1] والنفض هو تحريك الشيء. مثل الفراش واللحاف، وهو كذلك تفتيش وإزالة ما حوله. ويقصد أبو بكر الصديق (رضى الله عنه): أنا أتأكد مما حولك بتفتيشه وإزالته يا رسول الله.

فتأملوا عناية أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) بالنبي ﷺ، واهتمامه به، فنظف المكان وسواه وفرش له الفروة، وأخذ يراقب المكان.

(١) مسلم (٢٣٠٩/٤-٢٣١٠) برقم (٢٠٠٩)

الطالب: أفهم من هذا يا أستاذ أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه، كان صاحباً وفياً، ويحب نبيه ﷺ ويكرمه.

الأستاذ: نعم كان أبو بكر كذلك محباً وصاحباً وفياً، وهذا ما يجب أن يكون عليه مع نبيه الذي به وباتباعه ندخل الجنة إن شاء الله تعالى. فعلينا أن نحب سنته ﷺ، ونعتني بها كعناية واهتمام الصديق رضى الله عنه بالنبي ﷺ.

الطالب: وماذا حدث بعد ذلك؟

الأستاذ: بينما أبو بكر رضى الله عنه حول تلك الصخرة يراقب ما حوله، فإذا براعي غنم، مقبل بغنمه إلى الصخرة. يريد ظلها، فقال له الصديق رضى الله عنه: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم. فقال: أتحلب لي؟ قال: نعم. فقال له أبو بكر الصديق: أنفض الضرع من الشعر والتراب، والضرع هو الثدي. فحلب له في قَعب، وهو ايناء من خشب.

ثم يقول أبوبكر رضى الله عنه: فأتيت النبي ﷺ ليشرب اللبن، وكرهت أن أوقظه من نومه. فوافقته استيقظ من نومه، فشرب منه رسول الله ﷺ. ثم قال عليه الصلاة والسلام: ألم يأن الرحيل. فقال أبوبكر (رضى الله عنه): بلى، فارتحلوا من المكان ذاهبين في طريقهم إلى المدينة.[1]

الطالب: موقف رائع.

الأستاذ: نعم موقف فيه توفيق الله تعالى، إذ هيأ الله لهم هذا الراعي الذي أتى بغنمه إليهم، ثم يستيقظ النبي ﷺ في الوقت المناسب، بعد أن تم حلب الحليب، وجاء به أبوبكر الصديق إلى النبي ﷺ.

---

(١) مسلم (٤/٢٣٠٩-٢٣١٠) برقم (٢٠٠٩) ملخص

ثم تأملوا عناية أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) بالنبي عليه الصلاة والسلام، فكان حريصاً على نظافة الحليب الذي سيقدمه للنبي ﷺ، فقال للراعي: أنفض الضرع من الشعر والتراب. ليشرب النبي ﷺ لبناً صافياً، لا ينزعج من شيء فيه، أثناء شربه.

كما يدلنا هذا على أهمية النظافة والحرص عليها، وعندما يُطلب منا شيء نحرص على نظافته، بل نحرص حتى في شؤوننا الخاصة على ذلك؛ لأن النظافة منهج إسلامي.

الطالب: أشعر بمحبة عميقة لأبي بكر الصديق (رضى الله عنه)، لأنه كان يعتني ويهتم بنبيناﷺ.

الأستاذ: أحسنتم يا أبنائي في هذه المشاعر، فيجب علينا أن نحب أبا بكر الصديق (رضى الله عنه)، لأنه كذلك يستحق المحبة، بل وكان أحب الرجال للنبي ﷺ.

الطالب: ثم رحل الركب المبارك يا أستاذ؟ وما ذا حدث وما صنعوا؟

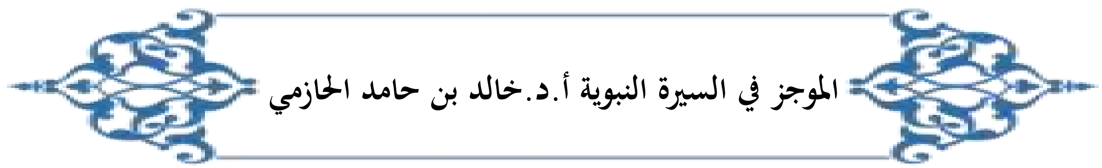
سراقة بن مالك يبحث عن النبي ﷺ:

الأستاذ: وفي الطريق حدث موقف عجيب: ذلك أن جاءهم من كفار قريش رجل اسمه سراقة بن مالك، فقال أبو بكر الصديق (رضى الله عنه): أُتينا. فقال رسول الله ﷺ (لا تحزن إن الله معنا) فدعا عليه رسول الله ﷺ، فارتطمت فرسه إلى بطنها.[1]

أي دخلت أرجل الفرس جميعها في الأرض وغاصت حتى بقي بطنها وظهرها فوق الأرض. وذلك أن قريشاً بعثت بعض أفرادها للبحث عن النبي ﷺ. وهنا تأملوا كيف قابل النبي ﷺ هذا الموقف، متوكلاً على الله تعالى، ثم تأملوا أثر دعاء النبي ﷺ، وكيف استجاب الله تعالى دعاء رسوله بسرعة فائقة، وجعل الله تعالى الأرض تلين لأقدام الفرس فتدخل فيها.

الطالب: والله إن في استجابة الدعاء شيء عظيم؟

(١) مسلم (٤/٢٣٠٩-٢٣١٠) برقم (٢٠٠٩)



الأستاذ: كلما كان الإنسان مطيعاً لله تعالى استجاب الله دعاءه. ولكن الله تعالى له حكمة في استجابة الدعاء لعباده، فقد يستجيب للعبد بسرعة، وقد يؤخر الاستجابة له، وقد يدفع بها شراً عنه، وقد يجلب له بها خيراً هو أفضل وأحسن مما طلب العبد، فالله يعلم الأحسن والأصلح لنا، أكثر من معرفتنا الأصلح لأنفسنا. قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (١)

الطالب: هذه فوائد كبيرة وكثيرة استفدناها يا أستاذنا الفاضل. وماذا صنع سراقة يا أستاذ؟ مؤكد أنه تخوف مما حصل له؟

الأستاذ: نعم لقد خاف سراقة بن مالك، فقال: إني قد علمت أنكما قد دعوتما عليّ، فادعوا لي. فالله لكما أن أرد عنكما الطلب. أي كما دعوتم عليّ فغاصت أقدام فرسي في الأرض، فادعوا لي بخروج فرسي من الأرض، وإذا أنقذتموني مما أنا فيه، فسوف أرد عنكم الناس الذين يطلبونكم.

وهنا علينا أن نتأمل هذه المعجزة التي أظهرها الله تعالى للنبي ﷺ بحمايته له، وجعل الأرض تلين لأقدام فرس سراقة بن مالك حتى دخلت بكاملها في باطن الأرض. فكل شيء جُنْدٌ لله تعالى إذا أراد ذلك.

الطالب: وهل كان سراقة وفياً، فرد عن النبي ﷺ الناس؟

الأستاذ: نعم لقد كان رجلاً وفياً، وكيف لا يكون وفياً وقد حصل له ذلك الأمر المخيف من الله تعالى. فكان لا يجد أحداً إلا رده، ويقول للناس: لقد كفيتكم ما ها هنا. أي كفيتكم هذا الاتجاه فليس فيه أحد. (٢)

الطالب: ثم ماذا حدث أستاذنا الكريم؟ إنها رحلة مليئة بالأحداث.

---

(١) سورة النمل: آية رقم (٦٢)

(٢) مسلم (٢٣٠٩/٤-٢٣١٠) برقم (٢٠٠٩)

الأستاذ: نعم إنها رحلة مليئة بالدروس والعبر والفوائد التي تحتاج منا أن نقف عندها ونتأملها جيداً.

خيمة أم معبد:

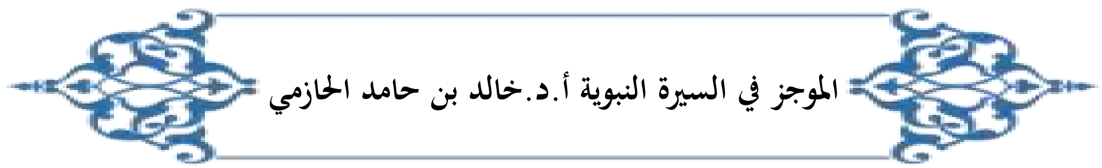
الأستاذ: وفي الطريق إلى المدينة مَرَّ رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) بخيمة أم معبد الخزاعية. فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها، فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك. فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة. فقال لها: (ما هذه الشاة يا أم معبد؟) قالت: شاة خلّفَها الْجَهد عن الغنم. أي شاة منعها التعب من الذهاب مع الغنم للرعي. فقال عليه الصلاة والسلام (هل بها من لبن؟) قالت: هي أجهد من ذلك. يعني ليس فيها لبن، فهي أتعب من أن يكون فيها لبن. فقال ﷺ (أتأذنين لي أن أحلبها؟) قالت: بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حَلْبَاً فأحلبها. فدعا بها رسول الله ﷺ، فمسح بيده ضرعها، أي ثديها، وسمى الله تعالى، ودعا لها في شاتها. فدرت حليباً، أي نزل الحليب في ثديها. فدعا بإناء عليه الصلاة والسلام، فحلب فيه بيده الكريمة، فأسقاها حتى رويت، ثم أسقى أصحابه حتى رووا؛ وشرب عليه الصلاة والسلام آخرهم.

الطالب: والله موقف عظيم وعجيب يا أستاذ.

الأستاذ: نعم موقف فيه معجزة عظيمة، حيث كانت الشاة الضعيفة الهزيلة التي ليس فيها لبن، يمسح ضرعها ﷺ، ويسمى الله تعالى عليها؛ ثم يدعو الله تعالى لأم معبد في شاتها، فيأتي الحليب بسرعة عجيبة، ويتحول ضرعها الضعيف إلى ضرع قد امتلأ لبناً. إنها معجزة قد أجراها الله تعالى لنبيه ﷺ.[1]

ثم تأملوا أدب النبي ﷺ، وكريم أخلاقه، إذ لم يتصرف ذلك التصرف إلا بعد أن استأذنها، فيقول (أتأذنين لي أن أحلبها) فلم تمتد يده عليها ألا بعد الاستئذان.

(١) الحاكم، المستدرك (٣/٩-١٠)



الطالب: والله هذا كرم عظيم ومعجزة عظيمة من الله تعالى، وقد تعلمنا منه ﷺ أدباً رفيعاً بأن لا تمتد أيدينا لشيء لا نملكه حتى نستأذن ولو كان ذلك الشيء بسيطاً.

الأستاذ: ثم تأملوا كرم النبي ﷺ بعد أن حلب الشاة، فلم يبدأ هو بالشرب، وهو أشرفهم وأكرمهم ﷺ بل بدأ بالمرأة صاحبة الشاة حتى رويت، ثم أسقى من معه حتى شربوا وارتووا، ثم يشرب آخرهم ﷺ.

الطالب: بالفعل إنه يعلمنا كيف نتأدب مع غيرنا، وكيف نرتب الناس بحسب حقوقهم.

الأستاذ: بل من كرمه ﷺ أنه بعد ما شرب، أخذ الإناء وحلب فيه حتى امتلأ، ثم أعطاه أم معبد مليئاً باللبن. ثم غادر بعد أن بايعها على الإسلام رضي الله تعالى عنها.[1]

الطالب: يعني أم معبد أسلمت؟

الأستاذ: نعم أسلمت، عندما قابلت النبي ﷺ، ورأت منه جميع ما حصل أمامها من معجزة؛ ومن أدب وكريم أخلاق، وجميل طباع في التعامل.

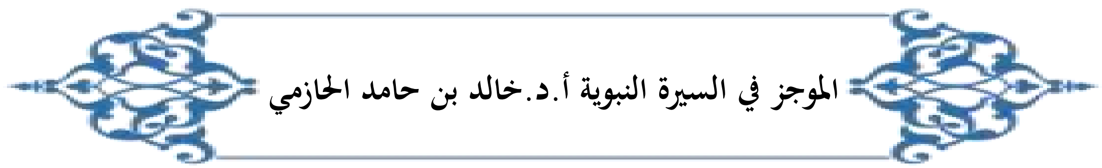
الطالب: صحيح إن أخلاق نبينا محمد ﷺ تدل على أنه نبي كريم عليه الصلاة والسلام.

الأستاذ: وبعد أن ذهب النبي ﷺ من عندها، جاء زوجها أبو معبد. فلما رأى اللبن أعجبه. وسأل زوجته عن هذا اللبن والشاة التي لا لبن فيها. فأخبرته بالخبر. فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش. ثم قال: لقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا. ومعنى كلام أبو معبد عندما قال: هذا صاحب قريش، أي الشخص الذي تطلبه قريش وتبحث عنه، ومعنى هذا أن الخبر انتشر حتى وصل لهذا المكان. ولكن الله تعالى هو الحافظ لنبيه ﷺ.

الطالب: يا أستاذنا الكريم نلاحظ أنا وبقية الطلاب أن أحداث هجرة النبي ﷺ تجذبنا لمتابعتها، والتشوق لمعرفتها.

---

(١) الحاكم، المستدرك (٣/٩-١٠)



الأستاذ: نعم إنها هجرة مليئة بالأحداث والمتاعب، ولكنها مليئة بالدروس.

الراعي الذي أسلم:

الأستاذ: فبعد أن سار في الطريق عليه الصلاة والسلام وجد راعي غنم بأغنامه، فطلب منه النبي ﷺ لبناً، فاعتذر الراعي، لأنه ليس في غنمه شاة تُحلب، إلا واحدة توقف لبنها، فقال ﷺ (أدع بها) فمسح ضرعها ﷺ، ثم دعا حتى أنزلت اللبن فشربوا. فقال الراعي: بالله من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك قط. فقال عليه الصلاة والسلام (أو تراك تكتم عليَّ حتى أخبرك؟) قال: نعم. قال ﷺ (فإني محمد رسول الله.) فقال الراعي: أنت الذي تقول عنك قريش صابئ؟ يعني تارك دين أجداده. وقال الراعي: فأشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئت به حق. وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي.[1]

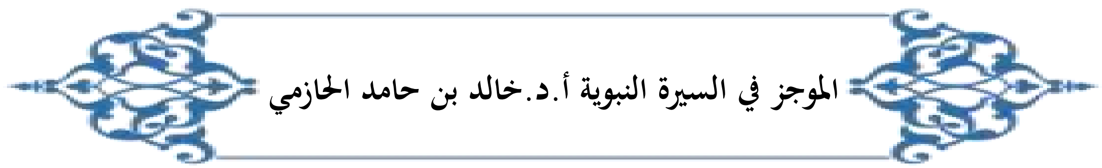
الطالب: جميل أن أسلم مثل ما أسلمت أم معبد رضي الله تعالى عنهما.

الأستاذ: نعم جميل ذلك، فهذا نبي مبارك؛ أينما حل نزل الخير على من جاء عندهم، وأول الخير هو دخولهم في الإسلام، الذي هو طريق الجنة، والمنقذ من النار، ثم ما حصل لأغنامهم من البركة بدعاء النبي ﷺ.

الطالب: ألاحظ أن النبي ﷺ لا يمسح الضرع فقط، بل كان يدعو الله تعالى، مما يدل على أن الدعاء مهم في قضاء حاجاتنا.

الأستاذ: هذا كلام جميل من طلاب يحبون رسولهم ﷺ، ويتابعون سيرته باهتمام كبير. حفظكم الله ورعاكم.

(١) الحاكم، المستدرك (٣/٨-٩)



الكسوة تأتي في الطريق:

الطالب: ثم ماذا حدث بعد ذلك يا أستاذ؟

الأستاذ: وفي الطريق لقي النبي ﷺ الزبير (رضى الله عنه) مع ركب من المسلمين، قادمين من الشام في تجارة لهم. فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاً.(١) وهذا من توفيق الله تعالى للنبي ﷺ، حتى يدخل المدينة في ملابس جديدة بيضاء.

الطالب: إذاً لعل النبي ﷺ وصاحبه (رضى الله عنه) قد اقتربا من المدينة.

الأستاذ: نعم وقد كان استعداد أهل المدينة استعداداً عظيماً وكبيراً بمقدم النبي ﷺ

دخول المدينة والاستقبال الحافل:

الأستاذ: لقد وصل لأهل المدينة خبر خروج النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، ففرحوا بذلك فرحاً عظيماً، فكانوا يخرجون يومياً من منازلهم إلى الحرة، وينتظرونه ﷺ حتى الظهيرة، فتحمى الشمس فيعودون لبيوتهم، فلما أووا إلى بيوتهم أي رجعوا لبيوتهم، أقبل النبي ﷺ على المدينة، ورآه رجل من يهود. فقال اليهودي بأعلى صوته: يا معشر العرب! هذا جدكم الذي تنتظرون.(٢) فهذا يدل على عظيم شوقهم ومحبتهم لرسول الله ﷺ، فينتقل عليه الصلاة والسلام من قوم يعادونه ويؤذونه إلى قوم ينصرونه ويحبونه، ولتكون المدينة به مدينة خير وإيمان.

الطالب: يقول الرجل اليهودي: هذا جدكم الذي تنتظرون. لم أفهم العبارة جيداً.

الأستاذ: أحسنتم في هذا السؤال. يقصد بجملة هذا جدكم أي حظكم وصاحبكم الذي تنتظرونه. فكلمة الجد يقصد بها الحظ.

---

(١) البخاري (٣/٧٠-٧١) برقم (٣٩٠٦)

(٢) البخاري (٣/٧٠-٧١) برقم (٣٩٠٦) ملخص

الطالب: ورد في كلامك يا أستاذ أنهم يخرجون يومياً من منازلهم إلى الحرة. فما معنى الحرة؟

الأستاذ: الحرة هي: الأرض ذات حجارة سوداء، كأنها أُحرقت بالنار. وجمعها حرات.

الطالب: موقف رهيب، ولكن ماذا صنع المسلمون عندما أخبرهم اليهودي بمجيء النبي ﷺ؟

الأستاذ: ثار المسلمون على السلاح، أي أخذوا أسلحتهم ليحيوا ويرحبوا برسول الله ﷺ، ويستقبلوه استقبالاً حاراً يعبر عن محبتهم وفرحتهم بمقدمه ﷺ. فاتجه عليه الصلاة والسلام ناحية بني عمرو بن عوف في قباء، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول. وأسس مسجد قباء وصلى فيه رسول الله ﷺ، ومكث في قباء قرابة أربع عشرة ليلة.(١)

وفي تأسيس مسجد قباء دليل على أهمية المسجد، إذ أول عمل قام به النبي ﷺ عندما وصل قباء أن بنى بها المسجد، فكان يحمل مع أصحابه الحجارة في بناء المسجد، فيشاركهم في ذلك البناء العظيم.

الطالب: ولماذا بدأ بقباء يا أستاذ؟

الأستاذ: أولاً: قباء لم يكن متصلاً بداخل المدينة. لأن الناس كانوا قليلين في العدد، فليست المدينة مثل اليوم اتصلت فيها المساكن والبيوت والمباني.

ثانياً: عندما قدم النبي ﷺ إلى المدينة كان طريقه الذي سلكه عليه الصلاة والسلام من خلف جبل عير، في اتجاه قباء. ثم إن النبي ﷺ حكيم في تعامله، فيعرف الأفضل في المسير، ثم إن الله تعالى يهديه ويوفقه لأحسن ما يقوم به.

الطالب: هذا توجيه كريم منك لنا يا أستاذ، وتعليم نعتز به منك. شكراً لك أستاذنا الكريم.

الأستاذ: ثم ركب راحلته ﷺ، فمشي معه الناس، وهم فرحون مسرورون، وقد بلغ برجال الأنصار ونساؤهم وصبياهم الفرح مبلغاً عظيماً؛ حتى صعدوا فوق البيوت، وانتشر الغلمان والخدم في الطرقات، ينادون: يا محمد! يا رسول الله!(٢) وكانوا ينشدون

---

(١) البخاري (٣/٧٠-٧١) برقم (٣٩٠٦)

(٢) مسلم (٤/٢٣١١) برقم (٢٠٠٩)

طلع البدر علينا من ثنايات الوداع***** وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع** جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع

الطالب: والله إنها لفرحة عظيمة، نشعر بها نحن الآن فكيف بالأنصار وأبنائهم.

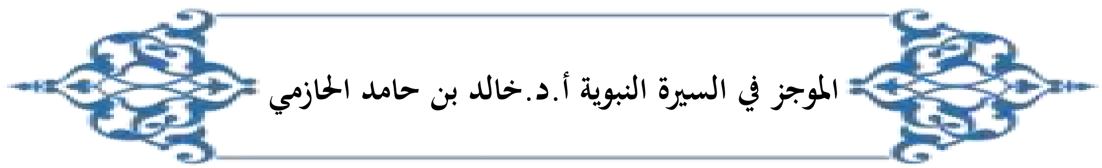
الأستاذ: نعم إنها فرحت تملأ القلوب! كيف لا، والقادم هو خير من قدم ودخل المدينة وعاش فيها، وخير من مشى فيها وصلى، وخير من أكل ونام فيها، ودُفن فيها ﷺ.

الطالب: ثم ماذا بعد ذلك يا أستاذ؟

الأستاذ: وعندما دخل المدينة ﷺ سار يمشي معه الناس حتى بركت ناقته عند المكان الذي بُنِيَّ فيه مسجده ﷺ. وقال عليه الصلاة والسلام حين بركت ناقته (هذا إن شاء الله المنزل)

الفصل الرابع:

بناء دولة الإسلام



الحياة الاجتماعية في المدينة

الأستاذ: يقصد بالحياة الاجتماعية، حياة الناس في المدينة، في عهد النبي عليه الصلاة والسلام.

لما قَدِم النبي ﷺ إلى المدينة أقام عليه الصلاة والسلام المسجد الذي سيجتمعون فيه يومياً خمس مرات لأداء الصلوات، ويتم قيادة الدولة من خلاله. كما آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار. وكتب الوثيقة مع من سكن المدينة من المسلمين، ومع غير المسلمين، على ما سيتم توضيحه إن شاء الله تعالى، كما بدأ يظهر أثر الإسلام في حياة المجتمع.

الطالب: جميل جداً أن تصبح هناك حياة خاصة بالمسلمين.

بناء المسجد:

الأستاذ: عندما دخل المدينة ﷺ سار يمشي معه الناس حتى بركت ناقته عند المكان الذي بنى فيه مسجده ﷺ. وقال عليه الصلاة والسلام حين بركت ناقته (هذا إن شاء الله المنزل)

وكان يصلي فيه ذلك الوقت رجال من المسلمين. وهو عبارة عن مربد للتمر لسهل وسهيل. وهما غلامان يتيمان، ومعنى مربد التمر، أي المكان الذي يجفف فيه التمر. ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما على المربد ليتخذه مسجداً. فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله. فأبى عليه الصلاة والسلام أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهم. ثم بناه مسجداً.[1]

الطالب: موقف كريم من الغلامين مع نبيهم ﷺ.

الأستاذ: نعم كان موقف الأدب والكرم من الغلامين، ولكن رسول الله ﷺ يقدر ذلك، فقابل الكرم بمثله، فأعطاهم الثمن، وهو ثمن مبارك لأنه من نبي الله ﷺ.

الطالب: وكيف بنى النبي ﷺ المسجد؟

---

(١) البخاري (٣/٧٠-٧١) برقم (٣٩٠٦)

الأستاذ: تم بناء المسجد بالحجارة والطين، وجريد النخل، وجذوعه.[1]

الطالب: وما المقصود بجريد النخل وجذوعه؟

الأستاذ: الجريد هو ما ترونه في أعلى النخلة على هيئة أغصان، والجذع هو الممتد من الأرض إلى أعلى النخلة، ثم يأتي عليه الجريد. وكل جريدة مكونة من عدد من السعف ذو اللون الأخضر، الذي هو بمثابة الورق في الشجر.

الطالب: ومن كان يقوم بالبناء؟

الأستاذ: لم يكن الحال مثل اليوم من وجود العمال والشركات وآلات الرفع. بل كان الصحابة (رضى الله عنهم) يقومون بالبناء. وقد كان يشاركهم النبي ﷺ في بناء مسجده عليه الصلاة والسلام.[2]

وفي اهتمامه ﷺ ببناء المسجد من حين وصوله المدينة، دليل على أهمية المسجد في الإسلام، لأنه مكان اجتماعهم، يلتقون من خلاله بالنبي ﷺ، فيعلمهم أمور دينهم، ولذلك ما زال المسجد حتى يومنا هذا مكان التعليم والصلاة واجتماع المسلمين.

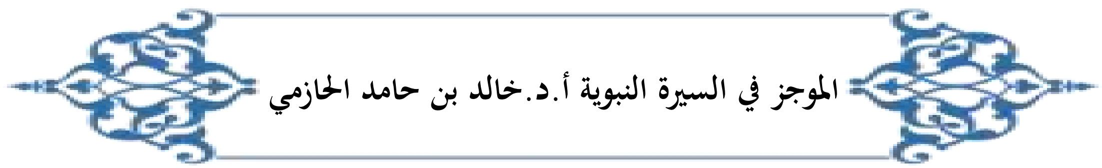
وكان المسلمون يأتون وقت الصلوات إلى المسجد، مجتهدين في ذلك، ثم فرض الله تعالى الأذان الذي تسمعونه وتحفظونه اليوم. وكان بلال بن رباح هو مؤذن رسول الله ﷺ في المسجد النبوي.[3]

---

(١) البخاري (٧٧/٣-٧٨) برقم (٣٩٣٢)

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٢٤٦/٧)

(٣) الترمذي (٣٥٨/١-٣٥٩) برقم (١٨٩)



مسكن النبي ﷺ عندما دخل المدينة:

الأستاذ: عندما جاء النبي ﷺ المدينة، نزل على أبي أيوب الأنصاري (رضى الله عنه). وكان داره أي بيته من طابقين، فنزل النبي ﷺ في الطابق الأول، وأبو أيوب الأنصاري (رضى الله عنه) في الطابق العلوي.

الطالب: إنه شرف عظيم لأبي أيوب الأنصاري (رضى الله عنه) أن سكن النبي ﷺ في بيته.

الأستاذ: نعم والله إنه لشرف عظيم، وفضل كبير أن يكون في بيته رسول الله ﷺ.

ولكن أبا أيوب الأنصاري (رضى الله عنه)، عندما أخذ الطابق العلوي. استشعر منزلة وفضل النبي ﷺ فقال: نمشي فوق رأس رسول ﷺ. فَتَنَحّوا وباتوا في جانب. أي أخذوا جانباً من البيت وناموا فيه، ولم يمشوا تلك الليلة في أطراف المنزل، خشية أن يكونوا فوق المكان الذي فيه نبيهم ﷺ، فباتوا في ناحية من البيت حتى أصبح الصباح. فأخبروا النبي ﷺ بذلك: فقال عليه الصلاة ولسلام (السُفل أرفق) يعني الطابق السفلي أسهل على النبي ﷺ. فقال أبو أيوب الأنصاري (رضى الله عنه): لا أعلو سقيفة أنت تحتها. أي لا أصعد سقفاً أنت تجلس تحته. فتحول النبي ﷺ إلى العلو.[1]وهذا من شدة احترامهم وتقديرهم لمنزلة النبي ﷺ ومكانته الرفيعة في قلوبهم. ومحبتهم له المحبة العالية الرفيعة.

الطالب: والله إنه أدب عظيم مع النبي ﷺ، نتعلم منه كيف نحب ونعظم نبينا محمد ﷺ. ونقدر سنته الباقية لنا. ولقد علمنا الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري (رضى الله عنه) أدباً عظيماً مع النبي ﷺ.

الأستاذ: بل كان أبو أيوب حريصاً على محبة ما يحبه النبي ﷺ، حتى في الطعام. فقد كان يصنع للنبي ﷺ الطعام، فإذا عاد باقي الطعام من النبي عليه الصلاة والسلام، سأل أبو أيوب عن موضع أصابع النبي ﷺ في الطعام فيأكل منها.[2] وهذا من شدة المحبة للنبي ﷺ. فقد

---

(١) مسلم (٣/١٦٢٣- ١٦٢٤) برقم (٢٠٥٣)

(٢) مسلم (٣/١٦٢٣- ١٦٢٤) برقم (٢٠٥٣)

كانوا يحبونه حباً عظيماً. وهكذا يجب علينا محبة النبي عليه الصلاة والسلام، والاقتداء بسنته كاقتداء أبو أيوب رضى الله عنه في تتبع مواضع أصابع النبي ﷺ في الطعام.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

الأستاذ: أصبح المسلمون في المدينة هم الأنصار، الذين رحبوا بهجرة النبي ﷺ وأصحابه إليهم؛ وكذلك المهاجرون الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، وتركوا أموالهم ومنازلهم ومتاعهم وما يملكون، وقَدِمُوا إلى المدينة بإسلامهم فقط. وقد وصف الله تعالى ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[1]

الطالب: موقف مؤلم يا أستاذ بالنسبة للمهاجرين. فكيف عاشوا وليس معهم شيء؟

الأستاذ: بالفعل موقف مؤلم بالنسبة للمهاجرين، خاصة وأنهم قدموا إلى المدينة، وأهلها يشتغلون بالزراعة، وخبرتهم في ذلك قليلة؛ حيث كانت أكثر خبرتهم في التجارة، إضافة إلى غربتهم عن مدينتهم مكة التي عاشوا فيها. فحالهم يحتاج إلى رعاية وعناية.

الطالب: بالفعل سيكون حالهم صعباً. ولكن عسى الله أن ييسر أمرهم يا أستاذ. فحبنا للمهاجرين أصبح عظيماً لما يبذلونه في سبيل الله تعالى.

الأستاذ: إن هذا الدين الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ، دين محبة واجتماع ومناصرة في الخير، ودين يدفع المسلم أن يقف مع أخيه. وقد كان للأنصار مواقف جليلة مع إخوانهم

---

(١) سورة الحشر: آية رقم (٨ ـ ٩)

المهاجرين، سنتعرف عليها إن شاء الله تعالى. ولكن دعونا نتعرف الآن على منهجية النبي ﷺ في معالجة هذا الأمر.

أولاً: عالج النبي ﷺ حنينهم لمكة وحبهم لها بأن دعا الله تعالى، فقال عليه الصلاة والسلام (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها)[1] فعالج النبي ﷺ محبتهم لمكة بأن طلب من الله تعالى أن يرزقهم محبة المدينة، كمحبتهم لمكة أو أكثر. وعالج ما أصابهم من مرض بالدعاء؛ أن يجعل المدينة صحيحة من المرض، وأن يبارك في الأوزان التي كانوا يستعملونها، وهي: الصاع والْمُد. كما نستعمل اليوم: الكيلو وأجزاء الكيلو. فقد كانت أوزانهم.

الطالب: وهل أصبحوا يحبون المدينة؟

الأستاذ: نعم. أصبحوا يحبون المدينة، وذهب ما أصابهم من مرض، وأصبحت المدينة مباركة إلى اليوم في أرزاقها ببركة دعاء النبي ﷺ.

ثانياً: عالج وضعهم فيما يخص بقية أمور حياتهم بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. قال العلماء آخى بينهم حتى تذهب عنهم وحشة الغربة، ويستأنسوا عن مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد بعضهم بعضا.[2] ولذلك علينا أن نتعامل مع بقية المسلمين كأخوة.[3]

الطالب: وكيف قابل الأنصار هذه المؤاخاة يا أستاذ؟

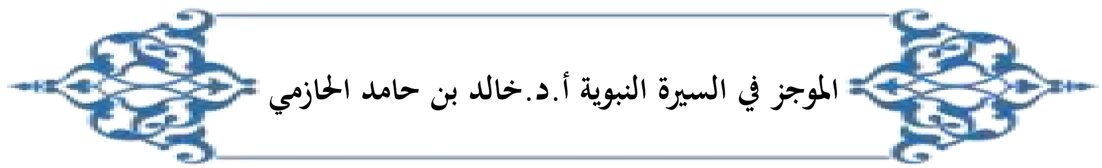
الأستاذ: لقد كان الأنصار أهل إخلاص لله تعالى ولرسوله ﷺ وأهل كرم ووفاء ومحبة لأصحاب رسول الله ﷺ فعوضوا المهاجرين عن عشيرتهم خيراً؛ من محبة وتكريم ومناصرة، فعوض الله تعالى المهاجرين عما تركوا خيراً. حتى قال الله تعالى في وصف الأنصار ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ

---

(١) البخاري (٣/٧٦) برقم (٣٩٢٦)

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٧/٢٧٠)

(٣) يبين المعلم أهمية الأخوة الإسلامية، وتطبيقاتها في الحياة ، بالإكرام والسؤال والمساعدة بما يملك ويستطيع.



وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ [١]

الطالب: والله انغرست في قلوبنا محبة عظيمة للأنصار (رضى الله عنهم).

الأستاذ: ومن أمثلة وفائهم ومحبتهم لإخوانهم المهاجرين أن النبي ﷺ آخى بين عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين وسعد بن الربيع من الأنصار. فيقول الأنصاري لعبد الرحمن بن عوف: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم مالي نصفين.[٢]

الطالب: هذا جميل ورائع وكرم كبير من سعد بن الربيع (رضى الله عنه).

الأستاذ: ولذلك وصفهم الله تعالى بقوله ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾[٣] ولكن عبد الرحمن بن عوف، لم يستغل هذا العطاء والكرم من الأنصاري، فيطمع في مال أخيه، بل قال له: بارك الله لك في أهلك ومالك. أين سوقكم. فذهب إلى السوق يبيع ويشتري، وعاد بمال وفير كثير.

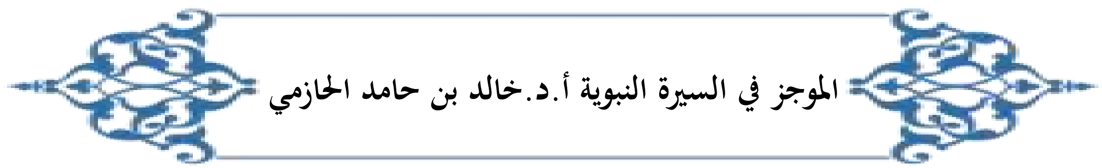
الطالب: وهذا موقف رائع أيضاً من ابن عوف رضي الله عنهم أجمعين. فوالله إنهم ليقدمون لنا صوراً عجيبة من التعامل الكريم.

---

(١) سورة الحشر، آية رقم (٩)

(٢) البخاري (٣/٨٣) برقم (٣٧٨٠)

(٣) سورة الحشر، آية رقم (٩)



الأستاذ: نعم إنهم مدرسة لنا، نتعلم منهم كيف نتعايش مع بعضنا البعض، وكيف يعطف بعضنا على بعض، وكيف يحفظ أحدنا مال أخيه، ولا يستغله ويطمع فيه.

فهكذا كان المجتمع المسلم في المدينة في عهد رسول الله ﷺ، يعيشون محبة وتآخي بينهم، لا عداوة ولا بغضاء بينهم، فكانوا حقاً يستحقون صحبة رسول الله ﷺ. ويجب علينا محبتهم جميعاً.

الوثيقة النبوية:

الأستاذ: لما كان يسكن بالمدينة بعض اليهود، والمسلمين من الأوس والخزرج والمهاجرين، وأصبحت السيادة للمسلمين، فإن رسول الله ﷺ كتب وثيقة، أي عهداً بينه وبين اليهود، يحفظ فيها حقوقهم، ويأمن بها شرهم.

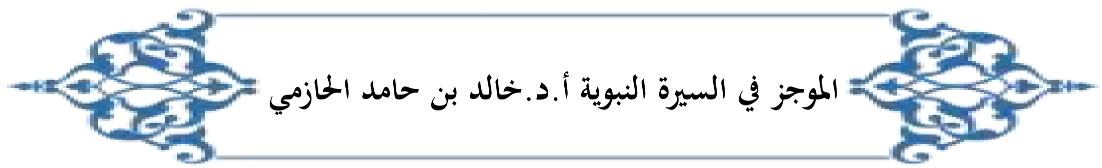
فكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، ومما جاء فيها:

ـ إن المؤمنين المتقين على من بغى منهم. أي أن المؤمنين من المهاجرين والأنصار على من حصل منه ظلم، سواء كان أنصارياً أو مهاجرياً.

ـ لا يُنصر كافر على مؤمن. أي لا ينصر المؤمن أحداً من الكفار على مسلم، ولو كان قريبه. لأن ليس جميع الأقارب مسلمين.

ـ وإنكم مهما اختلفتم في شيء فمرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد ﷺ. ومعنى هذا أنه إذا اختلف المسلمون في أمر، فالحكم في ذلك هو كتاب الله تعالى، والنبي محمد ﷺ. فلا حكم لأي شيء آخر من أحكام وأنظمة الجاهلية.

وكتب أيضاً ﷺ كتاباً بينه وبين اليهود، حتى يأمن شرهم، ويعطيهم حقوقهم كاملة، فتكون الحياة في المدينة حياة طيبة هادئة. ومما جاء في الوثيقة:



ـ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم. ومعنى هذا أن النبي ﷺ لم يجبرهم على الإسلام أو يخيرهم بين الإسلام والقتال. بل تركهم على دينهم إلا من أراد الإسلام؛ فله أن يسلم. وهذا من العدل والإنصاف معهم.

ـ أنه لا يخرج أحد منهم إلا بإذن محمد ﷺ.

وفائدة هذا حتى يأمن شرهم، فيعرف من يدخلها ومن يخرج منهم.

ـ أنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم.

أي أنه من خرج من المدينة في أمن من المسلمين؛ لا يتعدى عليه أحد ولا على أهله وماله، ومن جلس ساكناً بها فهو أيضاً في أمن، لا يعتدي عليه أحد، إلا من ارتكب ظلماً فليس في أمن، لأنه مطالب بما ظلم.

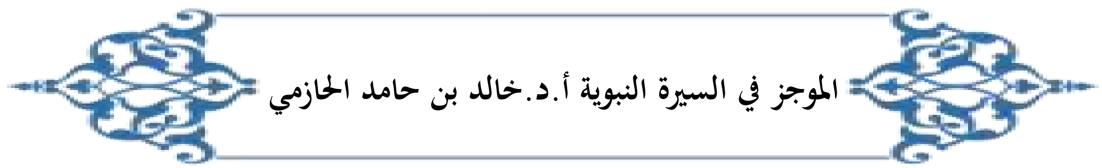
الطالب: هذه اتفاقية رائعة، وليس فيها ظلم لأحد.

الأستاذ: نعم، إن الإسلام يحرم الظلم مع كل أحد من الناس. والنبي ﷺ جاء بهذا الدين من عند الله تعالى، ليخرج جميع الناس من الكفر إلى الإسلام، حتى يدخلوا الجنة بسلام. وليس القصد والهدف هو معاداة ومقاتلة الناس.

الطالب: دين الإسلام دين جميل ورائع. نحمد الله تعالى أننا مسلمون، ولكن هل بقية المعاهدة هذه كما كتبها النبي ﷺ ولم يخالفها أحد؟

الأستاذ: بالرغم مما تضمنته الوثيقة من حفظ حقوق اليهود، وما فيها من عدل وإنصاف، إلا أنهم قاموا بنقضها، واتفقوا مع المشركين في مكة بالاعتداء على النبي ﷺ. وقاموا بالخيانة، وإثارة الفوضى في المدينة، فأجلاهم النبي ﷺ.

وإن شاء الله تعالى يتم توضيح ذلك وشرحه فيما بعد.



بيت النبي ﷺ

الأستاذ: بعد أن نزل النبي ﷺ عند أبي أيوب الأنصاري بنى بيتاً له، وكان بابه إلى المسجد النبوي، وهو الذي تزوج فيه بعائشة رضي الله تعالى عنها.[1] ولم يكن بيته ﷺ إلا حجرة واحدة.

وبعد أن قدم النبي ﷺ المدينة تزوج بزوجات، كان عددهن تسع، رضي الله تعالى عنهن، وهن على الترتيب: سوده وعائشة وحفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش وأم حبيبة وجويرية وصفية وميمونه، وتوفي ﷺ قبلهن.[2] وهن أمهات للمؤمنين. وللرجل أن يتزوج أربعة من النساء فقط، ولكن للنبي صلى الله عليه أن يتزوج بأكثر. وهذا من خصائصه ﷺ التي اختصه الله تعالى بها دون غيره من الناس. وهذا من فضل الله تعالى عليه.

الطالب: وأين كان سكن زوجات النبي ﷺ؟

الأستاذ: كن يسكن في حجرات، أي لكل واحدة حجرة خاصة بها، فكلما تزوج واحدة بنى لها حُجرة، ومكانها الآن الموضع الذي بجوار قبره الشريف ﷺ.

الطالب: سبق وأن عرفنا أولاد النبي ﷺ من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وهل كان له أبناء آخرين؟

الأستاذ: أحسنتم في هذا السؤال. لم يولد للنبي ﷺ من غير خديجة رضي الله تعالى عنها ولد. غير أنه عليه الصلاة والسلام أهدى إليه المقوقس ملك مصر مارية القبطية، وولد له منها إبراهيم، سنة ثمان من الهجرة. ومات طفلاً رضيعاً قبل الفطام.[3] والفطام هو: ترك الرضيع شرب الحليب من أمه.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢٤٠/١)

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١١٣/٩)

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (٢٠٢/١) ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٩/٨-٣٩)

أهل الصفة:

الأستاذ: الصفة هي مكان في آخر مسجد رسول الله ﷺ، كان يعيش فيه مجموعة من المسلمين، اشتغلوا بالعبادة وطلب علم القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ، وقد كانوا في حدود سبعين رجلاً، وبالرغم من انقطاعهم للعبادة والعلم، إلا أنه لم يمنعهم ذلك من المشاركة في الجهاد. وكان منهم أبو هريرة رضي الله تعالى عنه.

تعليم الوفود:

الأستاذ: كانت بعض القبائل تأتي إلى المدينة لمقابلة رسول الله ﷺ، وتُعْلِنُ البعض إسلامها.

الطالب: وما معنى الوفود يا أستاذ؟

الأستاذ: من يأتي إلى المدينة أو لأي مكان يسمى وافداً. والوفود هو جمع وافد، وهم مجموعة من الناس يمثلون قبيلتهم أو جماعتهم.

فكان عليه الصلاة والسلام يستقبل الوفود، ويعلمهم أمور دينهم، ثم يعودون إلى أهليهم، ويعلموهم ما تعلموه من رسول الله ﷺ ومن تلك الوفود: وفد مالك بن الحويرث (رضى الله عنه) حيث يقول: أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيماً، رفيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهلنا، قال: (ارجعوا فكونوا فيهم، وعلموهم وصلوا...)[1]

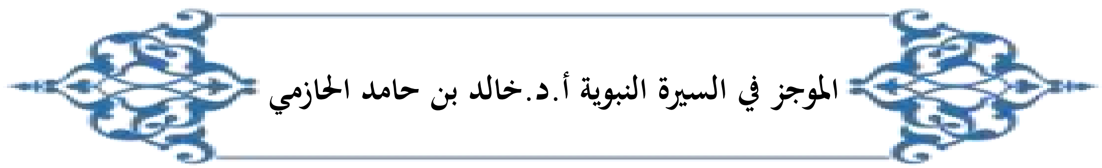
وقد قال ﷺ لوفد عبد القيس (ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم)[2]

الطالب: يا أستاذ! لفت انتباهي ما قاله الصحابي من أن رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً. صفتان جميلتان.

---

(١) البخاري (٢١١/١) برقم (٦٢٨)

(٢) البخاري (٤٨/١) رقم الباب (٢٥)



الأستاذ: نعم لقد كان ﷺ رفيقاً رحيماً ودوداً مع كل من يخالطه ويراه أو يجلس معه، وكان ﷺ يحرص على مصالح الناس، فبعد أن يعرف ﷺ أن من جاءه قد تعلم شرائع الإسلام يقول له: ارجع لقومك وأهلك وعلمهم. لأنه يعرف أن الناس تشتاق لأهليهم، وهناك مصالحهم ومعاشهم. فيكون معهم حليماً رفيقاً عليه الصلاة والسلام.

وهذا يعلمنا كيف نكون مع الآخرين، نقدر حالهم، ونتلطف بهم، ونرفق بهم؛ مثل ما كان يعمل رسول الله ﷺ مع من يقابلهم.

تعليم الناس أمور دينهم:

الأستاذ: لقد كان عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة قليلاً قبل الإسلام، ففي مكة كان عددهم سبعة عشر رجلاً فقط. وكذلك عدد قليل في المدينة.[١]

الطالب: لقد كان التعليم ضعيفاً.

الأستاذ: نعم لقد كان التعليم ضعيفاً، ولكن عندما جاء الإسلام ببعثة النبي محمد ﷺ انتشر التعليم، وكثُر الذين يعرفون القراءة والكتابة. لأن الإسلام شجع على التعليم، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾[٢] وقال ﷺ (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله له به طريقاً من طرق الجنة)[٣]

الطالب: وهذا الثواب العظيم جعل الناس يطلبون العلم يا أستاذ! أليس كذلك؟

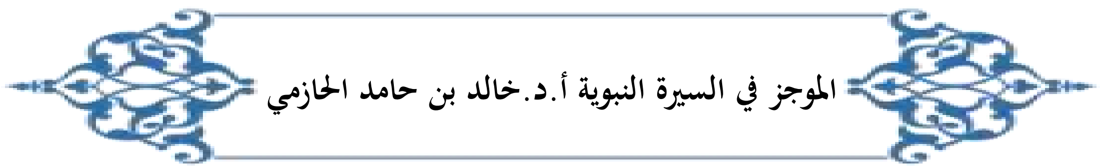
الأستاذ: نعم إن طالب العلم له منزلة عظيمة عند الله تعالى، لأن العالم يُعَلِّم الناس الخير، ولا يمكن أن يصبح الإنسان عالماً إلا بما عند العلماء من علم. فاحرصوا على العلم، قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١)البلاذري، فتوح البلدان (٦٦٠-٦٦٣)

(٢) سورة العلق، آية رقم (١-٥)

(٣) أبوداود (٤/٥٧-٥٨) برقم (٣٦٤١)



ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾[١].

وكان عليه الصلاة والسلام يعلم الناس أمور دينهم، ولا يطيل ولا يُكثر عليهم؛ حتى لا يتعبوا ويسأموا. فكان حكيماً في تعامله ﷺ. فقد كان عبد الله (رضى الله عنه) يعظ الناس ويقول: إني أتخولكم بالموعظة، كما كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة، مخافة السآمة علينا. [٢]أي: أبحث عن الفرصة المناسبة لوعظكم وتعليمكم؛ ولا أكثر عليكم. كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك؛ فيستغل الفرص قي تعليمنا مخافة أن يحصل لنا شيئاً من الملل.

اللعب بالحراب والسهام:

الأستاذ: كان الصحابة يلعبون بالحراب والسهام، وهي أدوات الحرب. وكانوا يتدربون على رمي السهام. حتى يدافعوا عن الإسلام وعن أنفسهم في الحروب.

تقول عائشة رضي الله تعالى عنها: لقد رأيت رسول الله ﷺ على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد. أي يلعبون بأدوات الحرب. والحبشة هم من الصحابة الذين أصولهم من بلاد الحبشة.

رعاية النبي ﷺ للصغار:

الأستاذ: لقد كان للنبي ﷺ عناية بالأطفال، حيث كان عليه الصلاة والسلام يحبهم ويداعبهم ويلاطفهم ويلاعبهم ويحملهم على دابته.

الطالب: وهل كان الأطفال يلعبون يا أستاذ؟

الأستاذ: نعم كان الأطفال يلعبون، بل قد كان يلاعبهم النبي ﷺ أحياناً.

---

(١) سورة المجادلة: آية رقم (١١)

(٢) البخاري (٤٢/١)

الطالب: هذا جميل، وكيف ذلك يا أستاذنا الفاضل؟

الأستاذ: لقد كان رسول الله ﷺ يحب الأطفال حباً كثيراً، فقد يجد أحدهم أو بعضهم في الطريق فيداعبهم ويلاعبهم. ويحملهم على دابته.

الطالب: هذا جميل، لقد كان ﷺ متواضعاً جداً، فهل تخبرنا عن ذلك يا أستاذ.

الأستاذ: نعم. كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثيراً من بني العباس، ثم يقول من سبق إليّ فله كذا وكذا. فيسبقون إليه. فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ﷺ.[١]

الطالب: هذا جميل، لقد أعجبنا تواضعه ﷺ.

الأستاذ: ولذلك عليكم بالتواضع وعدم التكبر على من هم أصغر منكم سناً، بل تلعبون معهم وتتواضعون لهم، وتُدْخِلُون عليهم السرور، ولا تؤذونهم، كما كان عليه الصلاة والسلام يُدخل السرور والفرح على الصغار.

الطالب: حسناً يا أستاذ! هذا توجيه مفيد.

الأستاذ: وقد كان ﷺ يلاعب الصبيان، ويحملهم على ظهره أو على دابته، والدابة هي الحيوان الذي يركب عليه الإنسان من خيل أو بغلة، أو جمل، أو حمار. قال تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[٢]

وكان الصبية يحبون النبي ﷺ، وهو يحبهم، فعندما يأتي من سفر أو يرونه في الطريق؛ يذهبون إليه، فيحملهم على دابته، أي يجعلهم يركبون على الدابة التي يسير بها. يقول عبدالله بن جعفر كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقّىَ بنا، أي نستقبله. فتلقي بي وبالحسن أو الحسين. فحمل

(١) أحمد (٢١٤/١)

(٢) سورة النحل: آية رقم (٨)

أحدنا بين يديه والآخر خلفه، أي وضع واحداً منهم أمامه على الدابة، والثاني خلفه على الدابة.(١) فيكون النبي ﷺ في الوسط.

الطالب: هذا رائع جداً، فمقام ومنزلة النبي ﷺ كبيرة، ومع ذلك يستقبل الأطفال، ويستقبلونه، ويحملهم معه، إنها متعة عظيمة وغالية.

الأستاذ: نعم إنها متعة غالية، أن يجدوا هذه المحبة والرعاية من النبي ﷺ. ولعلنا نستفيد من منهجه وأسلوبه ﷺ في تعاملنا بأن نحب الصغار ونكرمهم ونلاعبهم ولا نغضبهم.

وخرج النبي ﷺ في يوم مع أصحابه إلى طعام أي وليمة، فإذا حسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، أي أمام أصحابه، ثم بسط يده ﷺ، أي مدها ناحية الحسين، والغلام يفر أي يجري ها هنا وها هنا، ويضاحكه النبي ﷺ، حتى أخذه واعتنقه، أي حمل الحسين. وقال: أحب الله من أحب حسيناً.(٢) والحسين هو ابن بنت النبي ﷺ فاطمة زوجة علي بن أبي طالب (رضى الله عنهم).

فتأملوا كيف محبة النبي ﷺ لهذا الصبي ومداعبته وملاعبته له في الطريق، ثم يحمله. ونحن كذلك نحب الأطفال لأن النبي ﷺ يحبهم، وكذلك نحب الحسين (رضى الله عنه) لأن النبي ﷺ يحبه. ونحب جميع أصحاب النبي ﷺ.

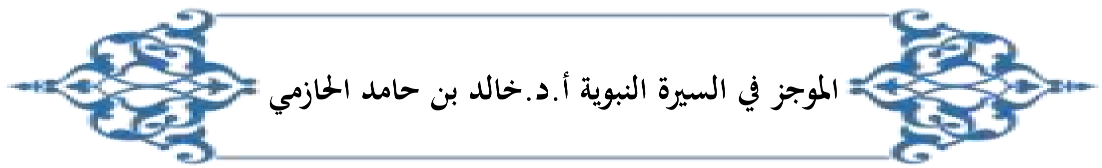
الطالب: وهل كان الصغار يدخلون المسجد يا أستاذ، كما هو اليوم في مساجدنا؟

الأستاذ: نعم كان الصغار يدخلون المسجد، وتأملوا هذا الموقف ليتبن لكم حقيقة ذلك. عن أبي قتادة قال: أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أُمَامَة بنت زينب، بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن الربيع، فإذا قام حملها، وإذا سجد وضعها(٣)

(١) مسلم (١٨٨٥/٤) برقم (٦٧ـ ١٤٢٨)

(٢) البخاري، الأدب المفرد (٤٥٩/١ـ٤٦٠) برقم (٤٦٣)

(٣) مسلم، صحيح مسلم (٢٨٥/١) برقم (٥٤٣)



الطالب: هذا جميل ورائع يا أستاذ. وما معنى قوله: يحملها على عاتقه؟

الأستاذ: عاتقه: هو المكان الذي أعلى الكتف، وتحت الرأس من الخلف.

وعن بريدة رضى الله عنه، قال كان رسولُ اللهِ ﷺ يَخطبُنا. إذ جاء الحسنُ والحُسَينُ عليهما قميصانِ أحْمرانِ يمشيان ويعثُرانِ، فنزل رسولُ اللهِ ﷺ من المنبرِ فحملَهما ووضعهما بين يدَيه، ثم قال صدق اللهُ: إنما أموالُكم وأولادُكم فتنةٌ. نظرتُ إلى هذينِ الصَّبِيَّينِ يمشيانِ ويَعثُرانِ فلم أصبِرْ حتى قطعتُ حديثي ورفعتُهما[1]

فتأملوا عناية النبي ﷺ بالصغار، وهو في صلاته وفي خطبته. فلم يمنعه ذلك من العناية بهم ورحمتهم.

وكان النبي ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم.[2] فكان يدعو للصبيان بالبركة ويمسح رؤوسهم، وعن السائب بن يزيد قال: ذهبت مع خالتي إلى رسول الله صلى لله عليه وسلم. فقالت: يا رسول الله! إن ابن أختي وجع. أي مريض، وقال السائب بن يزيد: فمسح النبي ﷺ رأسي، ودعا لي بالبركة.

فهذه المعاملة اللطيفة والحبيبة من النبي ﷺ تدل على محبته الكبيرة للأطفال والصبيان، فيلاعبهم ويداعبهم ويمازحهم عليه الصلاة والسلام.

الطالب: كلما ازددنا معرفة بسيرة النبي ﷺ زادت محبتنا لنبينا ﷺ.

الأستاذ: فلا نؤمن حتى تكون محبتنا لنبينا ﷺ أكثر من محبتنا لأنفسنا. كيف لا، وقد جعله الله تعالى رحمة لنا، بل رحمة للعالمين، أي رحمة لكل شيء.

---

(١) الترمذي سنن الترمذي. برقم (٣٧٧٤)

(٢) البخاري (١٦٣/٤) برقم (٦٣٥٥)

الفصل الخامس:

غزوات النبي ﷺ

غزوات النبي ﷺ:

الأستاذ: الغزوات: هي قتال العدو التي شارك فيها النبي ﷺ. وأما السرية فهي التي لم يشارك فيها النبي ﷺ، وإنما جعل عليها قائداً من الصحابة (رضى الله عنهم).

ولم يؤذن للنبي ﷺ بقتال الكفار إلا بعد هجرته للمدينة.[1] وهذا هو الجهاد في سبيل الله تعالى.

الطالب: ولماذا الجهاد يا أستاذ؟

الأستاذ: أحسنتم أيها الطلاب: أذن الله تعالى للنبي ﷺ بالقتال لرد الظلم الذي حصل أو يحصل من أعداء الدين، فيدفع الله تعالى بالمجاهدين ضرر الكافرين. كما سوف يتبن لكم إن شاء الله تعالى من غزوات النبي ﷺ وسراياه؛ أنها كانت لرد كيد الأعداء، ولم تكن للاعتداء والظلم.

والإسلام لا يحب الظلم، وينهى عنه. ويمنع المسلمين أن يجاهدوا من أجل ظلم الناس، وأخذ أموالهم وخيراتهم. قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾[2]

الطالب: جميل الإسلام يا أستاذ (إنه لا يحب المعتدين)

الأستاذ: نعم الإسلام جميل في أخلاقه وأوامره ونواهيه، كما سترون ذلك إن شاء الله في الغزوات والسرايا، فهو لا يحب المعتدين والمتجاوزين في أخذ حقوقهم، بأن يتعدوا ويظلموا.

الطالب: وكم عدد غزوات النبي ﷺ؟

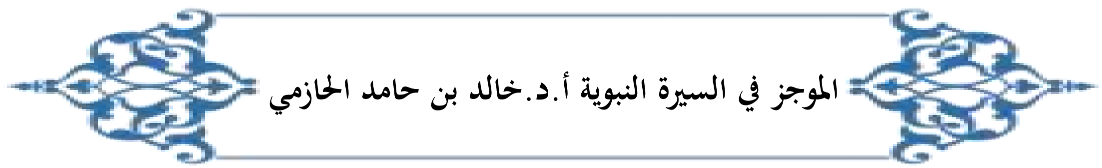
الأستاذ: عدد غزوات النبي ﷺ سبعاً وعشرين غزوة، وأما السرايا التي بعثها النبي ﷺ فكانت سبعاً وأربعين سرية.[3]

ولما أن الغزوات والسرايا كثيرة فسنأخذ بعضها إن شاء الله تعالى.

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد (٣/٧١).

(٢) سورة البقرة، آية (١٩٠).



غزوة بـدر:

الأستاذ: كان القادم من الشام إلى مكة المكرمة يأتي عن طريق المدينة، فيمر بها أو قريباً منها. ولما أن قريشاً آذت النبي ﷺ وأصحابه (رضى الله عنهم)، حتى خرجوا من مكة وتركوا أموالهم وأهليهم وما يملكون من منازل. انتظر المسلمون حتى تمر تجارة قريش من المدينة فيأخذونها لقاء ما حصل لهم.

ولما علم المسلمون بأن قافلة تجارية لقريش قادمة من الشام، قال النبي ﷺ (هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها)[1]

الطالب: ما معنى عير قريش يا أستاذ؟

الأستاذ: العير، معناها الإبل أي الجمال. وكذلك بمعنى القافلة التي هي مجموعة من إبل المسافرين، وما قد تحمله من بضائع وأمتعة.

فانطلق المسلمون نحو منطقة بدر، حيث تمر تجارة قريش في هذا المكان.

وقد كان النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب وأبو لبابة (رضى الله عنهم) يتناوبون على بعير واحد. أي كل واحد منهم يركب مسافة، ثم ينزل، ثم يأتي الثاني فيركب مسافة، ثم الثالث. وهكذا حتى وصلوا منطقة بدر.

الطالب: والله إن فيها لمشقة وتعب كثير يا أستاذ.

الأستاذ: نعم مشقة كبيرة، ولكنه في سبيل الله تعالى، حتى ينتشر الإسلام ويدخل الناس في دين الله تعالى. ولعلنا نستفيد من هذا الأمر أن نعمل جاهدين ونتحمل كل شيء في سبيل هذا الدين، ونتحمل مصاعب التعليم من أجل أن نصبح رجالاً نخدم ديننا وأمتنا في جميع المجالات والتخصصات.

الطالب: وماذا عن قافلة قريشٍ أستاذنا الفاضل؟

---

(١) ابن سعد. الطبقات الكبرى (٢/٥-٦).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/٢٥٧-٢٥٨).

الأستاذ: كان قائد تلك القافلة التجارية لقريش هو أبو سفيان، قبل إسلامه. وكان رجلاً ذكياً، حيث كان يسأل عن أخبار المسلمين في المدينة، حتى علم بأمرهم، من أنهم يريدون أخذ تجارة قريش. فأرسل رجلاً يقال له ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة المكرمة يخبرهم بالأمر، ويطلب منهم أن يأتوا إليه في منطقة بدر.[١]

الطالب: يا أستاذ هل أرسل إلى قريش بعد أن وصل إلى بدر؟

الأستاذ: لا. أرسل إليهم وهو في طريقه للمدينة. حتى تتمكن قريش من أخذ أسلحتهم ويأتوا إلى بدر.

الطالب: وهل علم المسلمون بما حصل من أبي سفيان؟

الأستاذ: لا لم يعلم المسلمون بما حصل من أبي سفيان، من أنه أرسل ضمضم إلى قومه ليخبرهم.

فالنبي ﷺ عندما خرج لم يخرج لقتال ومعركة، حتى يستعد لها، بل خرج لعير قريش يريدونها فقط. وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً.

الطالب: إنه موقف مخيف، وهل ذهب ضمضم بسرعة إلى قريش؟

الأستاذ: نعم؛ سار ضمضم بسرعة إلى مكة؛ وأخبرهم بذلك الأمر، فخرجت قريش بجيش كبير يمثل أشرافهم وكبراءهم، ولم يتخلف منهم أحد إلا أبا لهب. وبالتالي جاء كل من كان يؤذي النبي ﷺ وأصحابه (رضى الله عنهم).[٢]

الطالب: وهل علم المسلمون بخبر قدوم قريش حتى يستعدوا لهم؟

الأستاذ: نعم لقد علم النبي ﷺ بأن قريشاً في طريقها إليهم. فاستشار الصحابة الذين كانوا معه، فقالوا: خيراً.

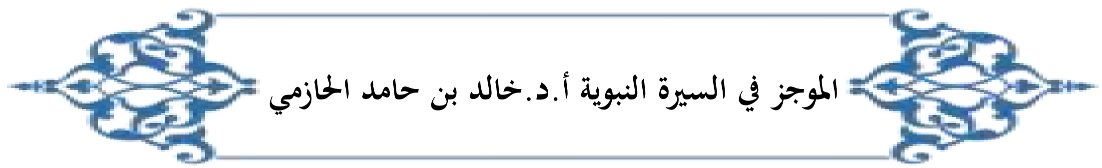
وممن تكلم من الصحابة أبوبكر وعمر والمقداد (رضى الله عنهم). ووافقوا كلهم على مقاتلة قريش إذا جاءت إليهم.[٣]

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/٢٥٨).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/٢٦١).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/٢٦٦).



وعندما وصل النبي ﷺ إلى بدر، أرسل بعض الصحابة إلى ماء بدر، ليتعرفوا على أخبار من وصل من قريش. فوجدوا اثنين من غلمانهم. فعرف منهما النبي ﷺ مكان قريش، بأنهم وراء كثيب. وهو رمل كثير كبير جداً؛ قريب من موقع المسلمين. وهي العدوة القصوى. التي بها المشركون، وهي حافة وطرف الوادي من جهة مكة. والمسلمون بالعدوة الدنيا؛ أي طرف الوادي من جهة المدينة.

ثم سألهما النبي ﷺ عن عددهم، فقالوا: لا ندري، وهم كثير. فسألهم النبي ﷺ! كم ينحرون كل يوم. أي كم يذبحون كل يوم، وكلمة النحر تكون للإبل، وهي مثل كلمة الذبح بالنسبة للغنم. فقال الغلامان: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. فقال النبي ﷺ: القوم فيما بين التسعمائة والألف.[١]

الطالب: وكيف استنتج النبي ﷺ عددهم؟

الأستاذ: سؤال جميل. يعرف النبي ﷺ أن الجمل يُطعم مائة شخص تقريباً. وطالما أنهم ينحرون يوماً عشراً، فمعناه أن العشرة من الإبل تكفي ألف شخص، والتسع من الإبل تكفي تسعمائة شخص. فعددهم إذاً من تسعمائة إلى الألف شخص.

وهذه فطنة من النبي ﷺ. حيث تدبر في الأمر حتى استنتج ما يمكن أن يعرفه. ونستفيد من ذلك أن نقتدي بالنبي ﷺ في التفكير الصحيح؛ الذي نصل من خلاله للحقائق في جميع مجالاتنا. وأن نهتم بتنمية عقولنا وندربها على الخير والمعرفة.

الطالب: وهذا درس جميل وعظيم استفدناه من نبينا ﷺ. ولكن. ألم يخف المسلمون من هذا العدد الكبير، مقابل عدد المسلمين القليل؟

الأستاذ: لا لم يخاف المسلمون من ذلك. لأن النبي ﷺ فتح لهم باب التفاؤل بالنصر.

حيث قال لهم (هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها) [٢]

وكلمة (أفلاذ) هي قطعة الكبد أو اللحمة التي تقطع طولاً. وذكرت الكبد لأنها أطايب الجزور. فكأن الذين أتوا يمثلون أطيب كبرائها. مثل قطعة الكبد التي هي أطيب لحم الجزور.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/٢٦٨-٢٦٩).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/٢٦٨-٢٦٩).

ومعنى (أفلاذ كبدها) أي أنه جاء من مكة أشرافها وكبراؤها. وألقت إليكم أي طرحتهم عندكم، ولعلها تفيد التفاؤل بهزيمتهم. ثم كذلك شجاعة الصحابة (رضى الله عنهم) وثقتهم في ربهم، وأنهم مع نبيهم محمد ﷺ فهذه جعلت قلوبهم مليئة بالإيمان.

الطالب: إذاً التفاؤل مهم جداً.

الأستاذ: نعم التفاؤل مهم جداً، وخاصة في المواقف الصعبة، فالإنسان يتفاءل بالشفاء؛ إن كان مريضاً، حتى ينتفع بالعلاج، ويأمل الشفاء. ويتفاءل الطالب بقدرته على الحفظ وفهم الدروس، فيجتهد، حتى يتشجع بذلك على التحصيل، وأما الذي يَدَّعِي عدم الْفَهم، أو الحفظ. فهذا يُوهِمُ نفسه، وقد يقع له ذلك.

الطالب: وماذا صنع النبي ﷺ بعد أن عرف تلك المعلومات عن قريش؟

الأستاذ: بعد أن تعرف النبي ﷺ على تلك المعلومات عن قريش التجأ إلى الله تعالى بالدعاء. وهكذا يجب علينا مع التفاؤل الدعاء؛ ثم العمل والاجتهاد، كما فعل ﷺ. قال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه): لما كان يوم بدر؛ نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني...) [1]

الطالب: وبالنسبة لعير قريش التي فيها تجارتهم، ماذا حدث منهم عندما جاءت قريش؟

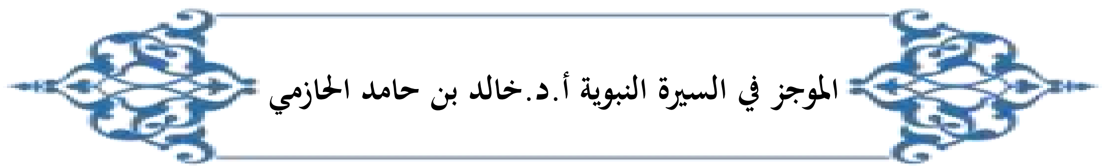
الأستاذ: جيد أنكم متابعون لتفاصيل هذه الأحداث. لما عرف أبو سفيان بتوجه المسلمين للقافلة غَيّرَ طريق القافلة لتتجه نحو الساحل، وفاتت على المسلمين.

ولكن كان في ذلك حكمة عظيمة، ومكسب عظيم من أن تفوت المسلمين تلك التجارة ويحصل لهم لقاء العدو. كما سيتضح لكم إن شاء الله تعالى فيما بعد.

الطالب: جميل هذا! أن يحصل للمسلمين خير في لقاء العدو، أكثر من خير الحصول على تجارة قريش، فالله تعالى يعلم الخير أفضل وأحسن من معرفتنا.

---

(١) مسلم (٣/١٣٨٣-١٣٨٥) برقم (١٧٦٣).



الأستاذ: هذا جميل منكم أيضاً أن تفهموا وتعرفوا هذا الفهم الرائع. ولذلك سأقول لكم ماذا حدث للمسلمين.

لقد أنزل الله تعالى مع المسلمين ملائكة يقاتلون معهم العدو، فأنزل الله تعالى ألفاً من الملائكة.

الطالب: ما شاء الله؟ هذا سيجعل المسلمين ينتصرون بإذن الله تعالى.

الأستاذ: بعد دعاء النبي ﷺ ودعاء المسلمين ربهم تبارك وتعالى أنزل الله عليهم الملائكة. فقال تعالى للمسلمين: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾[1]

الطالب: حبذا لو تشرح لنا يا أستاذ.

الأستاذ: إذ تستغيثون أي: إذ تدعون وتطلبون من الله تعالى النصر، فاستجاب الله دعاءكم بألف من الملائكة مردفين: أي متتابعين، حتى يبشركم وأنتم في هذا الموقف المخيف، فتطمئن قلوبكم. واعلموا أن النصر ليس بقوة المقاتلين، بل إنه من عند الله تعالى؛ وبتوفيقه للمقاتلين.

الطالب: وهل كان المسلمون يرون الملائكة تقاتل؟

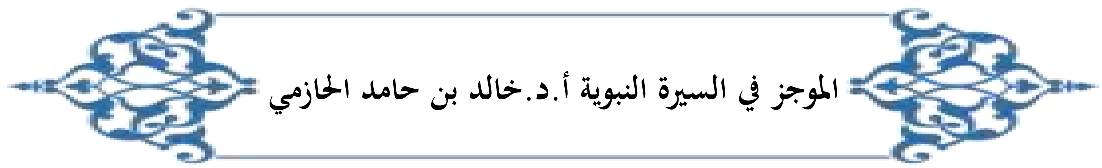
الأستاذ: قد لا يرى المسلمون الملائكة وهم يقاتلون، ولكن يرون أثر وعلامة مقاتلتهم ومشاركتهم في القتال. فالنبي ﷺ يقول في معركة بدر (هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب)[2] فالنبي ﷺ رأى جبريل كما في هذا الحديث. وجاء في حديث آخر أن أحد المسلمين وهو يقاتل في معركة بدر، وكان يريد أن يقتل رجلاً من المشركين أمامه، فإذا به يسمع ضربة سوط، وفارس يقول لفرسه أقدم حيزوم. يعني اسم الفرس حيزوم، فنظر المسلم إلى الكافر فإذا به قد سقط على الأرض أمامه. فأخبر الصحابي النبي ﷺ بذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: صدقت. ذلك من مدد السماء. يعني ملك من الملائكة يقاتلون مع المسلمين.

وبذلك انتصر المسلمون في معركة بدر على المشركين.

---

(١) سورة الأنفال، آية رقم (٩-١٠).

(٢) البخاري (٣/٩٠-٩١) برقم (٣٩٩٥).



الطالب: سبحان الله القدير العظيم، الذي أنزل من السماء ملائكة تقاتل مع رسول الله ﷺ ومع أصحابه (رضى الله عنهم).

الأستاذ: بل إن النبي ﷺ أخبر أصحابه قبل المعركة بمكان مقتل بعض كفار قريش: فيقول لهم: هذا مصرع فلان، ويضع يده على الأرض، وهذا مصرع فلان، ويضع يده على الأرض. فيقول أنس (رضى الله عنه): فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ، فما ماط أي ما تغير أحدهم عن المكان الذي حدده رسول الله ﷺ.(١)

الطالب: الله أكبر. والله هذه معجزة للنبي ﷺ.

الأستاذ: نعم، إن الله تعالى يخبر نبيه ﷺ بالوحي، كما أخبرهم بنزول الملائكة معهم للقتال. ولقد مات في هذه المعركة من كان يؤذي النبي ﷺ وأصحابه (رضى الله عنهم) مثل: أبو جهل، وأمية بن خلف. وكان عدد القتلى سبعين رجلاً.

وقد أمر النبي ﷺ بأربعة وعشرين من أشد أشداء كفار قريش فيلقوا في بئر متهدمة خبيثة. والبقية في أمكنة أخرى.(٢)

وأما الأسرى فقد كان عددهم سبعين.(٣) أسيراً. وأخذ منهم النبي ﷺ الفداء، ومن لم يستطع أن يفدي نفسه يتم إطلاقه بعد أن يعلم صبيان المسلمين القراءة والكتابة.

الطالب: وهل استشهد أحد من المسلمين يا أستاذ؟

الأستاذ: لقد استشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً. فتعتبر هذه المعركة أول غزوة للمسلمين، وكان للانتصار فوائد عظيمة أفضل من حصولهم على تجارة قريش.

ـ إذ تحقق للمسلمين قتل كبار أقوياء قريش الذين كانوا يؤذون النبي ﷺ وصحابته الكرام رضى الله عنهم. فقد قُتِل سبعون رجلاً من قريش.

ـ علمت العرب بهذه النتيجة، فعرفت قوة المسلمين وهابتهم وخافتهم.

ـ علم المسلمون كيف ينصرهم الله تعالى وهم قليل العدد.

---

(١) مسلم (١٤٠٣/٣-١٤٠٤) برقم (١٧٧٩).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٣٠٢/٧).

(٣) مسلم (١٣٨٣/٣-١٣٨٥) برقم (١٧٦٣).

ـ حصل المسلمون على غنائم كثيرة من المشركين.

ـ حصل منهم شهداء، وهذا مكسب عظيم للشهيد.

ـ حصل ثواب عظيم ومنزلة رفيعة للصحابة الذين شاركوا في هذه الغزوة المباركة. فأهل بدر مغفور لهم يوم القيامة.

غزوة أحـــد:

الأستاذ: لما أصيبت قريش بالهزيمة يوم بدر، أرادت أن تستعيد قوتها ومكانتها عند قبائل العرب. فتجهزت بجيش قوامه ثلاثة آلاف رجل.[١]

وحصلت هذه الغزوة يوم السبت السابع من شهر شوال، بعد اثنين وثلاثين شهراً من هجرة المصطفى ﷺ[٢] أي في السنة الثالثة من الهجرة النبوية.

الطالب: وهل علم رسول الله ﷺ بأمر قريش هذا؟

الأستاذ: نعم، علم النبي ﷺ بخروج قريش من مكة إلى المدينة لمقاتلة المسلمين. فشاور النبي ﷺ أصحابه في الخروج للقتال، أو البقاء في المدينة.[٣]

وهنا نلاحظ أن النبي ﷺ شاور أصحابه (رضى الله عنهم)، ولم يتخذ القرار من عنده فقط. حتى يعلمنا كيف نتعامل مع بعضنا البعض في الأمور التي تهم المجتمع. فنتعلم من منهجه ﷺ أن نتشاور في الأمور الجماعية ولا نتخذ القرار منفردين.

الطالب: لقد كان النبي ﷺ متواضعاً، ويقدر أصحابه.

الأستاذ: نعم لقد كان عليه الصلاة والسلام متواضعاً ويقدر أصحابه ويحبهم، وبالتالي علينا أن نتواضع مثله ونقدر أصحابنا ونحبهم ونتعاون معهم.

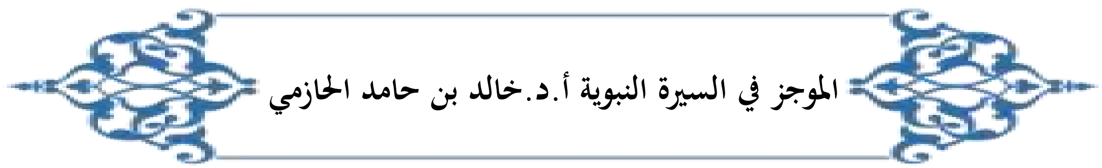
الطالب: ثم ماذا حصل يا أستاذ؟

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٧٠).

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢/٣٦).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٦٧).



الأستاذ: جهز النبي ﷺ جيش المسلمين، وكان عددهم ألفاً من الصحابة.[1] بينما كان عدد المشركين ثلاثة آلاف.

الطالب: إن عدد المسلمين قليل بالنسبة لعدد المشركين؟

الأستاذ: هذا صحيح، ولكن الله تعالى لا ينصر المسلمين بكثرة عددهم، بل ينصرهم بإيمانهم وصبرهم، فقد بين الله تعالى أن العشرين من المسلمين إذا صبروا يغلبوا مائتين. والمائة من المسلمين الصابرين يغلبوا ألفين بإذن الله تعالى. كما جاء في القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾[2]

الطالب: هذا توفيق من الله تعالى للمسلمين، بأن جعل قوتهم في صبرهم. وهذا دليل على أهمية الصبر يا أستاذ! أليس كذلك؟

الأستاذ: نعم. وأحسنتم على هذا الفهم.

الطالب: ثم ماذا حصل؟

الأستاذ: توجه النبي ﷺ بالجيش إلى جهة جبل أحد. وفي طريقهم رجع عبد الله بن أبي بن سلول بِثُلُث الناس إلى المدينة.

الطالب: ولماذا حصل منه هذا الأمر الخطير؟

الأستاذ: كان هناك منافقون. والمنافق هو الذي يُظهر الإسلام، ويبطن الكفر، أي في داخله كفر. ومنهم زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول. ولكن بفضل الله تعالى على المسلمين أن رجع بعضهم إلى جيش المسلمين بإيمانهم وتوفيق الله تعالى لهم.

وكان مع المسلمين بعض الصغار من شباب المسلمين، يريدون المشاركة مع النبي ﷺ وكانت أعمار بعضهم أقل من خمس عشرة سنة.

الطالب: كانوا شجعاناً يا أستاذ؟

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٦٨/٣).

(٢) سورة الأنفال: آية رقم (٦٥).

الأستاذ: نعم لقد كانوا شجعاناً، وكانوا يحبون رسول الله ﷺ حباً كبيراً، ويتمنون أن يعيش هو ﷺ ويموتون بدلاً منه.

الطالب: وماذا صنع النبي ﷺ بهم؟

الأستاذ: أجاز النبي ﷺ من بلغ عمره خمس عشرة سنة. وردّ من كان عمره أقل من ذلك حتى لا يتعرضون للخطر.

فقد أجاز النبي ﷺ سَمُرة بن جندب الفزاري؛ ورافع بن خديج، وهم أبناء خمس عشرة سنة؛ ورد أسامة بن زيد؛ وعبد الله بن عمر بن الخطاب؛ وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب؛ وعمرو بن حزم؛ وأسيد بن ظهير. ولكن أجازهم أي سمح لهم في غزوة الخندق عندما بلغوا خمس عشرة سنة (١)

الطالب: وماذا حصل بعد ذلك يا أستاذنا الكريم؟

الأستاذ: وعند جبل أحد التقى المسلمون بالكفار. وكان هناك جبل مرتفع صغير، قريب من جبل أحد، فجعل النبي ﷺ عليه عدداً من الرماة. وأمرهم أن لا يتركوا هذا الجبل، حتى عند انتصار المسلمين أو انتصار المشركين. (٢) والذي أصبح اسمه فيما بعد: جبل الرماة.

الطالب: هل يمكن لنا أن نعرف السبب يا أستاذ؟

الأستاذ: نعم. لقد كان لهذا الجبل أهمية كبيرة، حيث كان يشرف، أي يطل على المعركة، والجيشان تحت هذا الجبل، ويمكن للرماة أن يرموا المشركين من هذا الجبل؛ لأنه مرتفع عليهم. وكذلك فإن تواجد الرماة عليه يمنع المشركين من هذا الموقع المهم جداً.

الطالب: اختيار ممتاز من النبي ﷺ.

الأستاذ: نعم اختيار موفق من الله تعالى لنبيه ﷺ. وقد انتصر المسلمون في بداية المعركة، ولكن عندما شاهد الرماة انتصار المسلمين نزلوا من الجبل. فقام خالد بن الوليد الذي كان قائداً لجيش المشركين قبل إسلامه، وذهب من خلف المسلمين لذلك الجبل. وأخذوا يضربون

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٧٠).

(٢) البخاري (٣/١٠٢-١٠٣).

المسلمين بالسهام من فوق الجبل. قال ابن عباس (رضى الله عنه): فلما أخلت الرماة تلك الخلة (أي أحدثت الرماة ذلك الحدث. الذي هو ترك الجبل) دخلت الخيل من ذلك الموضع على الصحابة (أي أن خيل المشركين دخلت من ذلك المكان) فضرب بعضهم بعضا، وقُتل من المسلمين ناس كثير. (١)

الطالب: فهذا دليل على أهمية الجبل في سير المعركة.

الأستاذ: نعم كان للجبل أهمية كبيرة كما تبين لكم من قبل. ولذلك نهاهم النبي ﷺ عن ترك الجبل حتى وإن انتصر المسلمون. وهذا يدل على أهمية التمسك بكلام النبي ﷺ، وأن الخروج عنه سبب الهزيمة في كل شيء، في أمور الحياة الدنيا والآخرة. فيلزم المسلم طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ في كل أمر؛ حتى ينجح في حياته كلها. وكذلك على المجموعة طاعة القائد والمدير ومن يتولى أمرها حتى تنجح في أمورها.

الطالب: ثم ماذا حصل يا أستاذ؟

الأستاذ: لقد حصل في هذه المعركة أن شُج النبي ﷺ أي جُرح. وكذلك كُسرت رباعيته. وكان الدم يسيل من رسول الله ﷺ، وتأتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ رضي الله عنها، فتغسل الدم عن أبيها، وكان زوجها علي بن أبي طالب يسكب الماء. أي يصب الماء على جرح النبي عليه الصلاة والسلام،(٢) وكان عدد من الصحابة قد أحاطوا بالنبي ﷺ يردون عنه سهام المشركين، وقد استشهد سبعة منهم، جميعهم من الأنصار (رضى الله عنهم). (٣)

الطالب: والله إنها مصيبة كبيرة أن يحدث للنبي ﷺ هذا الأمر العظيم.

الأستاذ: نعم إنها مصيبة كبيرة قد أصابت النبي ﷺ وأصابت صحابته الكرام. بل قد شاع بين المسلمين أن النبي ﷺ قد قُتل، فكان ذلك هم وغم أصاب المسلمين في المعركة.

فقد اجتمع على المسلمين بلاء كبير مما أصابهم من الهزيمة والقتل وإصابة النبي ﷺ، والإشاعة بموته، فكان أمراً عظيماً. ولكن الله تعالى جعل لهم ولنا دروساً من هذا الأمر الذي حدث،

---

(١) ابن حجر، فتح الباري (٧/٣٥٠-٣٥١).

(٢) البخاري (٣/١٠٩) برقم (٤٠٧٥).

(٣) مسلم (٣/١٤١٥) برقم (١٧٨٩).

فها أنتم تستفيدون اليوم مما حصل في تلك المعركة من دروس، وقد استفاد الصحابة رضي الله تعالى عنهم من ذلك الأمر.

وبالتالي لما علم المسلمون بأن النبي ﷺ حي؛ فرحوا بذلك ونسوا ما أصابهم من القتل ومن الجروح ومن كل أمر. فكانت حياته ﷺ غنيمة عاد بها المسلمون إلى المدينة.

الطالب: نعم إنها مواقف مخيفة ومحزنة ومؤلمة، ومفرحة في نفس الوقت، لأن الله تعالى حفظ نبينا محمد ﷺ وعاد إلى المدينة.

الأستاذ: إن الله تعالى بين للمسلمين في القرآن الكريم أموراً عديدة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾(١)

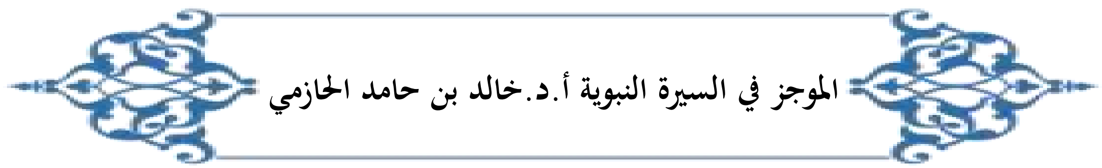
فقد نهاهم عن الحزن والضعف، وأخبرهم أنهم هم الأعلون على الكافرين. وأن ما أصابكم من القتل والجرح قد أصاب أيضاً المشركين قتل وجرح مثل ما أصابكم. وبين تعالى أن النصر والهزيمة تكون مرة ومرة.

وأن الله تعالى يريد أن يتخذ من الصحابة شهداء من خلال ما أصابهم من الموت، فقد استشهد حمزة عم النبي ﷺ ومصعب بن عمير رضي الله عنهما، وغيرهم من الصحابة وكان عدد الشهداء سبعين شهيداً (٢) (رضى الله عنهم) أجمعين.

---

(١) سورة آل عمران: آية رقم (١٣٩-١٤٢).

(٢) البخاري (٢/١١٠) برقم (٤٠٧٩).



غزوة بني النضير:

الأستاذ: كان يوجد بعض اليهود من العرب بالمدينة، ومنهم بني النضير وبني قريظة. وقد كتب النبي ﷺ وثيقة مع اليهود كما سبق وأن عرفنا ذلك. وهي تضمن لهم حقوق الحياة الكريمة والحرية في الدين.

وبالرغم من تلك الوثيقة إلا أنه تكرر منهم ما يخالفها.

الطالب: لماذا يا أستاذ يخالفون الوثيقة والاتفاق الذي حصل لهم من النبي ﷺ.

الأستاذ: لأنهم يحملون في نفوسهم الحسد للنبي ﷺ. ولذلك حاولوا الغدر بالنبي ﷺ. فقد طلب منهم النبي عليه الصلاة والسلام المعاونة والمساعدة في دية رجلين. فقالوا نعينك، وجاء إليهم النبي ﷺ فقعد بجانب جدار من بيوتهم، فاتفقوا على أن يرموا عليه صخرة من فوق ذلك البيت. ولكن الله تعالى أوحى لنبيه بما سيصنعون. فخرج ﷺ من عندهم. [١]

الطالب: الحمد لله رب العالمين الذي أنقذ نبينا محمد ﷺ من غدرهم ومكرهم.

الأستاذ: نعم إن الله تعالى أعان نبيه ﷺ وحفظه بحفظه. وعلينا أن نستعين ونطلب من الله الحفظ، فهو الحافظ لعباده من الشرور.

وفي مرة هددت قريش اليهود بالقتال إذا لم يقاتلوا النبي ﷺ. وكان من الواجب على اليهود إخبار النبي عليه الصلاة والسلام بذلك الأمر. ولكنهم وافقوا على طلب قريش. وأرادوا الغدر بالنبي ﷺ. فعلم النبي عليه الصلاة والسلام بذلك الأمر، فقاتل بني النضير حتى أخرجهم من المدينة.[٢]. وذهبوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام. [٣]

الطالب: وماذا حصل لبني قريظة. هل تركهم النبي ﷺ؟

الأستاذ: لا. لم يتركهم، بل دعاهم أن يعاهدوه بعدم الغدر والقتال، فعاهدوه. وانصرف عنهم[٤] ولكن خانوا ذلك العهد فقاتلهم النبي ﷺ وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

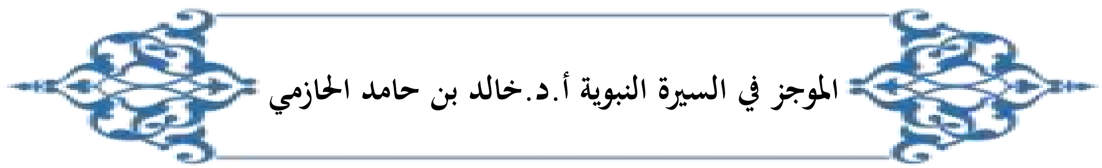
---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/١٩٩-٢٠٠).

(٢) أبو داود (٣/٤٠٤-٤٠٧) برقم (٣٠٠٤) باختصار.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٢٠١)

(٤) أبو داود (٣/٤٠٤-٤٠٧) برقم (٣٠٠٤) باختصار.



الطالب: نهاية سيئة يستحقونها.

الأستاذ: نعم، نهاية يستحقونها، خاصة وأن النبي ﷺ لم يؤذهم في شيء، بل حفظ لهم حقوقهم، ومع ذلك يغدرون بالنبي ﷺ. وتلاحظون كذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يعتد على أحد أبداً، وإنما بداية أسباب الغزوات من الكفار. كما تبين لكم من قبل، وما سيتبين لكم من الغزوات القادمة إن شاء الله تعالى.

غزوة الخندق:

الأستاذ: كانت غزوة الأحزاب سنة خمس من الهجرة النبوية. (١)

وسبب هذه الغزوة أن نفراً من يهود بني النضير الذين أجلاهم النبي ﷺ ونفراً من بني وائل اجتمعوا بقريش وشجعوهم على محاربة النبي ﷺ، وواعدوهم بمساعدتهم ومناصرتهم، ثم خرجوا إلى قبيلة غطفان فدعوهم لحرب النبي ﷺ، فاستجابوا لهم.

فخرجت قريش ومن ناصرهم وتابعهم فأصبح عددهم عشرة آلاف؛ وكان قائدهم أبو سفيان قبل إسلامه. (٢)

وهذا التجمع والتناصر بين اليهود ومشركي مكة وبعض القبائل يُسمى تَحَزُّب، أي اتفاق على مقاتلة المسلمين، ولذلك سميت الغزوة بغزوة الأحزاب.

الطالب: هذا تناصر وتجمع على النبي ﷺ والمسلمين. وهل علم النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الأمر؟

الأستاذ: نعم، علم النبي ﷺ، فاستشار أصحابه عليه الصلاة والسلام كعادته، فأشار عليه سلمان الفارسي (رضى الله عنه) أن يعمل خندقاً على المدينة. (٣)

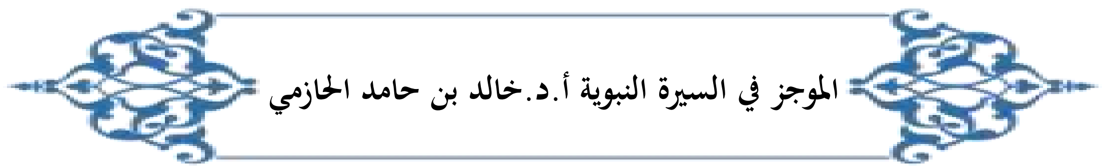
الطالب: وما هو الخندق يا أستاذنا الكريم؟

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٢٢٤).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٢٢٦).

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢/٦٦).



الأستاذ: كانت بالمدينة حِرَار، وهي الأرض الكبيرة التي تكثر فيها الحجارة، فلا يجد الذي يمشي عليها من إنسان أو حيوان موقعاً مريحاً لقدمه. وبالتالي لا يستطيع أن يمشي فيها بسهولة. وكانت هذه الحرار تحيط بالمدينة إلا من الجهة الشمالية الغربية، فكانت المدينة آمنة من جميع الجهات غير هذه الجهة فقط. وبالتالي أقاموا فيها خندقاً. وهو عبارة عن حفرة عميقة وطويلة لتمنع من يريد أن يدخل المدينة من هذه الجهة المفتوحة، لأن ليس بها حِرَار.

الطالب: هذا عمل رائع وفكرة جيدة يا أستاذ من الصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضى الله عنه).

الأستاذ: نعم إنها فكرة رائعة، مما يدل على أهمية المشورة، بأن يستشير الإنسان رفاقه ومن يعملون معه، فربما يكون عند أحدهم فكرة أو أفكاراً تستفيد منها المجموعة. وبالتالي لا بد من أن نتعلم المشورة، ونشاور أهلنا في أمورنا الخاصة، وأساتذتنا، وكذلك في الأمور التي نرى أنها تحتاج إلى أخذ الرأي فيها. وألا نستح من ذلك.

ولذلك لما جاءت قريش انبهرت وتفاجأت بهذا العمل المبدع الرائع.

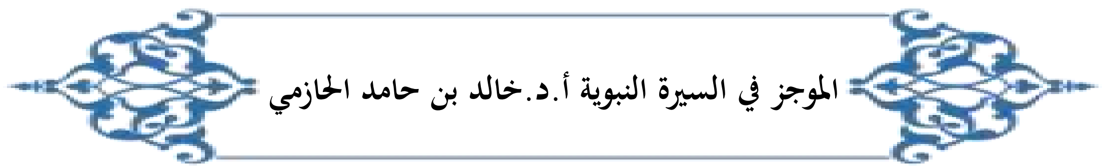
الطالب: وكيف حفروا هذا الخندق يا أستاذنا الفاضل؟

الأستاذ: تعلمون أنه قديماً لم تكن هناك معدات حفر وشركات وعمال يقومون بذلك مثل ما هو موجود اليوم، بل كانوا يعملون بأنفسهم، ويستخدمون الآلات البسيطة؛ مثل: المعاول والفؤوس، التي هي آلات للحفر اليدوي، ويحملون التراب ويخرجونه من الخندق، وكان النبي ﷺ يعمل مع أصحابه في الحفر وحمل التراب حتى غطى التراب جلد بطنه ﷺ، وكان يشجع أصحابه وينشد معهم ويقول: اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا. (١)

الطالب: كم هو جميل يا أستاذ أن يشارك النبي ﷺ الصحابة (رضى الله عنهم) في حفر الخندق. وكم هو جميل أن ينشد معهم بتلك الكلمات الجميلة.

الأستاذ: نعم، جميع ذلك جميل ورائع، مما يفيدنا أهمية أن نقتدي بالنبي ﷺ في العمل الجماعي، وأن نعمل مع الجميع؛ ولا نتكاسل، بل نشارك ونتعب مثل ما تعب النبي ﷺ. وأنه يجوز

(١) البخاري (٣/١١٦-١١٧) برقم (٤١٠٦).



للإنسان أن ينشد وهو يعمل حتى يسلي نفسه عن التعب والمشقة، ولكن بكلمات جميلة طيبة المعنى.

الطالب: وهل كانوا يذهبون لبيوتهم؟

الأستاذ: كانوا يعملون ولا يذهبون إلا لمن كانت له حاجة ضرورية فيستأذن النبي ﷺ، ثم يعود مسرعاً، لأنهم يريدون الثواب والأجر من الله تعالى، فلا يذهبوا عن النبي ﷺ إلا للحاجة. ولكن كان هناك عدد من المنافقين يعملون الأعمال البسيطة ويخرجون إلى أهليهم خفية عن النبي ﷺ.[١]

الطالب: وكيف كانوا يأكلون يا أستاذ؟

الأستاذ: كانت الحياة صعبة جداً في ذلك الوقت، ولكن بإيمانهم القوي كانوا يصبرون على الجوع. فيأتي أحدهم بملء كفه من الشعير، فيصنع لهم به طعاماً. بل كان النبي ﷺ يربط على بطنه حجرة صغيرة من شدة الجوع.[٢]

ولذلك علينا أن نتذكر أهمية الصبر في حالة العمل، ونتذكر كيف كان صبر النبي ﷺ والصحابة (رضى الله عنهم). وعلينا أن نحمد الله تعالى على النعمة، ونشكر الله المنعم على ما أعطانا من خير ورزق وأنواع من الطعام.

الطالب: صحيح يا أستاذ نحن في نعمة كبيرة وعظيمة، وعلينا أن نشكر الله تعالى على فضله وكرمه علينا.

الأستاذ: ولكن هناك معجزة حصلت مع النبي ﷺ، حيث رأى جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما شدة الجوع بالنبي ﷺ وقد مر عليهم ثلاثة أيام لا يأكلون طعاماً. فاستأذن جابر (رضى الله عنه) من النبي ﷺ فذهب إلى بيته، فوجد شعيراً ومعزة صغيرة، أي غنمة صغيرة. فذبحها وطحن الشعير وطبخها. ثم ذهب إلى النبي ﷺ وأخبره. وقال جابر: فقم يا رسول الله ورجل أو رجلان.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٢٢٦-٢٢٧).

(٢) البخاري (٣/١١٥-١١٦) برقم (٤١٠١).

فكان الطعام لا يكفي إلا لثلاثة أو أربعة لأنه قليل. فقال ﷺ (كثير طيب) فقال النبي ﷺ لجميع أصحابه من المهاجرين والأنصار ومن كان معهم، (قوموا.) فذهبوا إلى بيت جابر، فأخذ ﷺ يعطي أصحابه من الطعام حتى شبعوا كلهم. والطعام لا ينقص، وكان عددهم ألف. (١)

فتأملوا هذه المعجزة. معجزة تكثير الطعام من الله تعالى للنبي ﷺ فيأكلون جميعاً ولم ينقص من الطعام شيئاً. ثم إن النبي ﷺ قال (كثير طيب) وهذا مبدأ في التفاؤل. وأن نستكثر القليل طمعاً في البركة من الله تعالى.

الطالب: هذا شيء عظيم جداً يا أستاذ.

الأستاذ: نعم إنه أمر عظيم، ولكنه على الله يسير، ولذلك علينا أن نسأل الله تعالى البركة فيما عندنا، فإذا بارك الله في شيء كان خيراً عظيماً كثيراً. فاسألوا الله البركة في الصحة وفي الوقت والعلم والمال وفي كل شيء، حتى تكون حياة الفرد مباركة من الله تعالى.

الطالب: والله إنها مواقف عظيمة، ودروس كريمة. فقد تحملوا متاعب ومصاعب كبيرة وشاقة. ولكن هل أكملوا الخندق، وماذا حصل من الكفار الذين يريدون محاربة النبي ﷺ.

الأستاذ: نعم أكملوا حفر الخندق، وجاء جيش المشركين فوجد الطريق مغلق أمامهم بالخندق، وكان عددهم عشرة آلاف، وعدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف. فحاصروا المدينة أكثر من عشرين يوماً. أي جلسوا عند الخندق عشرين يوماً، وهم يحاولون دخول المدينة، أو يخرج لهم المسلمون.

وفي أثناء ذلك الوقت، وفي تلك الظروف الصعبة، نقضت بني قريظة العهد والميثاق مع النبي ﷺ وكانوا يسكنون العوالي بالمدينة.

الطالب: وما معنى هذا؟

الأستاذ: المسلمون منشغلون بالمشركين ومحاربتهم، وبني قريظة بداخل المدينة، فاحتمال أن يعتدوا على سكان المدينة من المسلمين، فيعتدوا على نسائهم وأبنائهم وأموالهم. فكان الموقف محرج وصعب جداً. فعدوك من الخارج على أبواب المدينة عند الخندق، وعدوك من الداخل

---

(١) البخاري (٣/١١٥-١١٦) برقم (٤١٠١) ورقم (٤١٠٢).

الذين هم يهود بني قريظة من داخل المدينة. وقد وصف الله تعالى حالة المؤمنين في سورة الأحزاب التي تحمل اسم الغزوة. حيث قال تعالى ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾[1] فالذين جاؤوا من فوقهم الأحزاب، والذين جاؤوا من أسفلهم بنو قريظة. فشعر المسلمون بالخوف والفزع من الموقف الصعب.

وهذا الابتلاء يفيدنا بأن المؤمن قد يُبتلى ويختبر إيمانه، كما ابتلى الله تعالى المؤمنين في هذه الغزوة. ولكن الله تعالى مع المؤمنين فلن يتركهم للكافرين. ولكن النتيجة لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى.

فدعا النبي ﷺ فقال:(اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم) [2]

الطالب: هذا الدعاء هو سلاح النبي ﷺ الأول. فقد تذكرت أنه دعا يوم بدر فانتصر المسلمون.

الأستاذ: نعم الدعاء هو سلاح المؤمن الأول، الذي به ينتصر على الأعداء وعلى الشيطان وعلى كل شيء. فلا نغفل عن الدعاء في كل أمر نريده أو نخاف منه فلا نريده.

وقد عالج النبي ﷺ أمر بني قريظة بأن أرسل سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل، يحرسون المدينة ويُظهرون التكبير. [3]

وأما الأحزاب الذين هم خلف الخندق فقد أرسل الله تعالى عليهم ريحاً شديدة جداً، فما استطاعوا أن يجلسوا، فأصاب قلوبهم الخوف والفزع، وانجفت قدورهم. أي انقلبت، وانطفأت نيرانهم من شدة الريح، واقتلعت الرياح خيامهم. فتركوا المدينة وهربوا عنها. فنصر الله تعالى رسوله والمؤمنين بالرياح التي هي جُند من جنود الله تعالى. وقد بين ذلك تبارك وتعالى في سورة

---

(١) سورة الأحزاب، آية رقم (١٠).

(٢) البخاري (٣/١١٨) برقم (٤١١٥).

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢/٦٧).

الأحزاب، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ (١)

وكان يقول ﷺ: (لا إله إلا الله وحده، أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده). (٢)

غزوة بني قريظة:

الأستاذ: لما عاد النبي ﷺ من غزوة الأحزاب وضع سلاحه واغتسل. فأتاه جبريل عليه السلام فقال للنبي ﷺ: وضعت السلاح؟ والله ما وضعته. أُخرج إليهم. فقال النبي ﷺ فأين؟ فقال: إلى بني قريظة. (٣) فتمت غزوة بني قريظة بعد غزوة الخندق في ذي القعدة، سنة خمس من الهجرة النبوية(٤).

فَقُتِل مَنْ قُتِل منهم، وقسم ﷺ الغنائم بين المسلمين. ولحق بعضهم بالنبي ﷺ فأمنهم وأسلموا. وأجلا اليهود كلهم، أي أخرجهم من المدينة ﷺ. (٥)

الطالب: هذا جزاء خيانتهم للنبي ﷺ وللمسلمين.

الأستاذ: نعم إن الخيانة أمر عظيم، فقد خانوا الله ورسوله والميثاق الذي مع نبيه ﷺ. فأمر الله تعالى بقتالهم مع جبريل عليه السلام.

غزوة الحديبية:

الأستاذ: الحديبية اسم بئر على بُعد اثنين وعشرين كيلًا إلى الشمال الغربي من مكة، وتُعرف بالشميسي. (٦)

---

(١) سورة الأحزاب: آية رقم (٩).

(٢) البخاري (٣/١١٨) برقم (٤١١٤).

(٣) البخاري (٣/١١٩) برقم (٤١٢٢).

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢/٧٤).

(٥) البخاري (٣/٩٧) برقم (٤٠٢٨).

(٦) أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة (٢/٤٢٤).

وفي شهر ذي القعدة من سنة ست للهجرة خرج رسول الله ﷺ للعمرة مع أصحابه. (١)

الطالب: ألا يخافون من قريش يا أستاذ؟

الأستاذ: لا بد أن يخافوا من قريش. ولكن هناك فرق بين أن تخرج للقتال، وبين أن تخرج معتمراً لا تريد قتالاً، ولكن احتمال أن تردهم قريش، واحتمال أن تقاتلهم، واحتمال ألا تصدهم عن البيت. فهذه ثلاث احتمالات ممكنة.

الطالب: وكيف تعرف قريش أنهم قادمون للعمرة؟

الأستاذ: تعرف قريش أن النبي ﷺ وأصحابه قادمون للعمرة من كونهم لابسين الإحرام، ومعهم الهدي، الذي يُهْدَى لفقراء الحرم من الإبل والغنم، فَتُذْبَح وتُوزع.

وخرج المسلمون إلى مكة المكرمة وكانوا ألفاً وأربعمائة أو أكثر. (٢) بقليل.

وبعث عليه الصلاة والسلام عيناً، أي شخصاً يذهب إلى مكة وينظر له ماذا ستصنع قريش. وكان هذا الرجل من قبيلة خزاعة، وهذه القبيلة كانت تساعد النبي ﷺ. واسمه بشر بن سفيان الخزاعي. (٣)

الطالب: جميل هذا الأمر من النبي ﷺ.

الأستاذ: نعم، هذا أمر مهم لأخذ الحيطة والحذر، حتى يعرفوا مدى نية قريش في محاربتهم، وصدهم عن البيت الحرام. مما يؤكد لنا أهمية أخذ الحيطة والحذر في أمورنا خاصة التي نخاف فيها.

وفي الطريق جاء بشر بن سفيان الخزاعي وقال للنبي ﷺ: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. (٤)

أي جمعوا لك الجنود، وسوف يمنعونك من دخول مكة.

الطالب: وماذا صنع النبي ﷺ؟

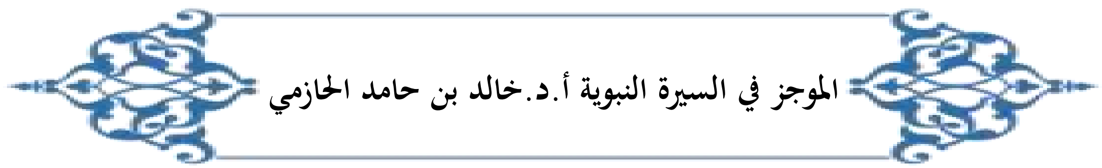
---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى (٢/٩٥).

(٢) البخاري (٣/١٢٧-١٢٨) برقم (٤١٥١).

(٣) البخاري (٢/١٣١) برقم (٤١٧٨، ٤١٧٩).

(٤) البخاري (٢/١٣١) برقم (٤١٧٨، ٤١٧٩).



الأستاذ: توجه النبي ﷺ ومن معه إلى الحديبية. ونزل بها وأصحابه (رضى الله عنهم). ووجدوا هناك ماء، ولكنه كان قليلاً، فاستعمله الناس حتى انتهى. فاشتكوا إلى النبي ﷺ العطش. وحصلت هنا معجزة عظيمة. حيث انتزع عليه الصلاة والسلام سهماً ثم أمرهم أن يجعلوه في المكان الذي كان فيه الماء. فخرج الماء بكثرة من المكان، فشربوا وسقوا. [1]

الطالب: هذه نعمة عظيمة.

الأستاذ: نعم. إنما يقدره الله تعالى من معجزات نعمة عظيمة من الله تعالى، إذ هيأ لهم الماء، وأخرجه لهم من الأرض؛ بمجرد أن وضع الصحابة السهم الذي أمرهم به رسول الله ﷺ. وهذه من بركات الله تعالى على رسوله ﷺ بأن جعله رسولاً مباركاً.

الطالب: وماذا حدث بعد ذلك؟

الأستاذ: بينما النبي ﷺ وأصحابه في الحديبية، إذ جاءه رجل من خزاعة، وهو بُديل بن ورقاء الخزاعي، وأخبر النبي ﷺ بأن قريشاً جاءت أيضاً عند الحديبية، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فأخبره النبي ﷺ أنه ما جاء لقتالهم، بل جاء للبيت يريد أن يعتمر. ثم أخبره النبي ﷺ بأن قريشاً أهلكتها الحرب، أي مات منهم الكثير، وَخَيَّرَهُم بين الهدنة، وأن يتركوه يدعو الناس لدين الله تعالى، فإذا ظهر هذا الدين في الناس، فلهم أن يدخلوا فيه إن رغبوا، وإن لم يظهر فكفاهم غيرهم هذه الحرب. وإن لم توافق قريش على هذا الخيار فإنه ﷺ قال (فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره) [2] فيحلف النبي ﷺ بربه تبارك وتعالى أنه لن يترك دعوته، وسيقاتلهم إن لم يتركوه وشأنه. ومعنى حتى تنفرد سالفتي: أي حتى القتل. لأن القتيل تنفرد مقدمة عنقه عن جسده. وهي: سالفته.

الطالب: هذا كلام جميل، وليس فيه ضرر على قريش.

الأستاذ: أحسنتم. فهذا عرض جميل ومنصف، فلم يأمرهم بالدخول في هذا الدين بالقوة والإكراه. بل أبعدهم عن الحرب. وبين لهم أن لا يفكروا ويعتقدوا أن النبي ﷺ يمكن له أن

---

(١) البخاري (٢/٢٧٩-٢٨٠) برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) البخاري(٢/٢٧٩-٢٨٤) برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

يتنازل ويترك الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ الناس ما أمر الله تعالى به، ولو أدى ذلك لقتله ﷺ. ثم بين لهم أن الله سوف ينفذ أمره الذي أراده تبارك وتعالى.

الطالب: ولعل قريشاً قبلت بهذه الفكرة وهذا العرض من النبي ﷺ؟

الأستاذ: ذهب لهم بُديل الخزاعي، وأخبرهم بذلك.

وفي أثناء ذلك جاء للمسلمين خبرٌ، مفاده أن عثمان بن عفان (رضى الله عنه) قُتل. ذلك أن النبي ﷺ أرسله إلى قريش لبيان موقفه. وهنا حصلت بيعة الرضوان. حيث بايع الصحابة (رضى الله عنهم) رسول الله ﷺ جميعاً، غير رجل واحد من المنافقين كان معهم، وقد اختبأ تحت بعيره. وقال ﷺ بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده الأخرى، فقال: هذه لعثمان[1] أي يعني هذه مبايعة نيابة عن عثمان(رضى الله عنه) مثل مبايعة الصحابة، لأنه ذهب في مهمة.

الطالب: وهل صحيح أن عثمان رضي الله عنه قُتِل؟

الأستاذ: لا، لم يقتل رضي الله عنه، ولكن كانت إشاعة.

فتأملوا كيف اهتمام النبي ﷺ بمن غاب من أصحابه وهو عثمان بن عفان (رضى الله عنه). لأنها بيعة مباركة، قال عنها ﷺ (أنتم اليوم خير أهل الأرض) فهذه منزلة عظيمة، شارك فيها عثمان (رضى الله عنه) وهو غائب في مهمة للنبي ﷺ. ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨﴾[2]

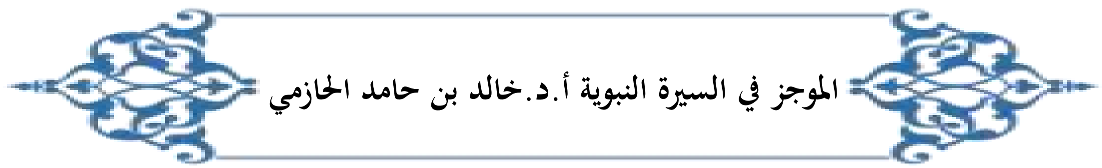
الطالب: ولعل قريشاً قبلت بهذه الفكرة وهذا العرض من النبي ﷺ؟

الأستاذ: يظهر أن قريشاً لم تقبل بذلك العرض، فأوفدت أي أرسلت عروة بن مسعود يتفاوض مع النبي ﷺ. ثم عاد إلى قومه، وطلب منهم أن يقبلوا بما قاله النبي ﷺ. ولكنهم لم يقبلوا بذلك.

---

(١) البخاري (٣/١٩) برقم (٣٦٩٨).

(٢) سورة الفتح: آية (١٨).



فقام رجل منهم وقال: دعوني أذهب إليه. فذهب ثم عاد إليهم، وقال: فما أرى أن تصدوه عن البيت. فلم تقبل قريش بهذا. حتى خرج سهيل بن عمرو إلى النبي ﷺ، وتحدث معه ﷺ، فكتبت معاهدة الصلح بين النبي ﷺ وبين قريش.[1]

الطالب: وما هو الصلح الذي حصل بين النبي ﷺ وبين قريش:

الأستاذ: لقد تضمن الصلح أموراً عديدة:

ـ أن يعود النبي ﷺ ومن معه إلى المدينة دون أن يعتمروا. على أن يعتمروا العام القادم.

ـ لا يأتي رجل إلى النبي ﷺ من قريش حتى ولو كان مسلماً إلا رده إليهم.

ـ من أحب أن يدخل في عقد وعهد رسول الله ﷺ فليدخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

الطالب: ولكن هذه الاتفاقية ليس فيها عدل.

الأستاذ: نعم هذه الاتفاقية لم تكن عادلة. وهذا جعل الصحابة يستغربون منها. وكانت لهم مفاجأة كبيرة، بأن يقبل النبي ﷺ هذا الصلح. وكان عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يراجع النبي ﷺ في هذا الأمر. ويقول له النبي ﷺ (إني رسول الله ولست أعصيه)[2]

ويُستفاد من كلام النبي ﷺ أنه وافق على ذلك بوحي من الله تعالى، فالله تعالى معه يُسدده ويُفَهِمُه تبارك وتعالى. فالله تعالى يعلم مسبقاً أن هذا ليس في صالح قريش، بل إنه في صالح المسلمين، وإن كان فهمنا يقصر دون ذلك، فنرى أنه ليس في صالح المسلمين.

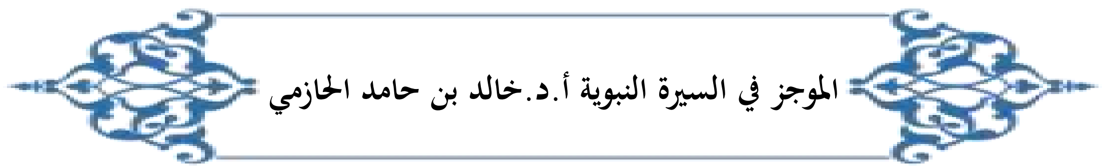
الطالب: كيف في صالح المسلمين؟ لعلك توضح لنا يا أستاذ.

الأستاذ: سيأتي بعد هذا الاتفاق موقف يؤكد ويبين حقيقة ذلك، ويجعل قريشاً تترك وتنقض هذا الصلح. لأنه كلما أسلم رجل هرب من قريش، ولا يستطيع أن يذهب إلى النبي ﷺ بناء على هذه الاتفاقية. فتجمعوا واحداً بعد آخر حتى أصبحوا مجموعة قوية، فأخذوا يتعرضون لتجارة قريش في الطريق بين مكة والمدينة. فانزعجت قريش من ذلك. فذهبوا إلى النبي ﷺ

---

(١) البخاري (٢/٢٧٩-٢٨٤) برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) البخاري (٢/٢٧٩-٢٨٤) برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).



يرجونه ويتوسلون إليه أن يلغي هذا الشرط، الذي هو: إذا خرج رجل من قريش مسلم يريده النبي ﷺ إليهم. فقالوا: لا ترده بل خذه واقبله عندك.

أليس هذا انتصار؟

الطالب: نعم إنه انتصار لمن أسلم، وانتصار للنبي ﷺ حيث جاؤا يطلبون إلغاء هذا الشرط.

الأستاذ: وبعد أن تم الصلح بهذه الشروط. حَلَقَ النبي ﷺ شعره ونحر هديه. وكذلك الصحابة، لأنهم أحرموا من المدينة بعمرة. وعادوا إلى المدينة.

فكان صلح الحديبية نصر للمسلمين، بأن تفكر قريش في الأمر، ويزداد عدد المسلمين، ويأمن النبي ﷺ الحرب. وقد دخل في زمن هذا الصلح مثل عدد المسلمين وأكثر[1] بل وفي الطريق إلى المدينة نزلت سورة الفتح قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾[2] ثم قرأها رسول الله ﷺ على الصحابة. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أهو فتح؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم. (والذي نفس محمد بيده إنه لفتح)[3]

الطالب: جميل ورائع هذا يا أستاذ، أي أصبح عدد المسلمين ضعف عددهم قبل صلح الحديبية.

الأستاذ: نعم أصبح عددهم أكبر بكثير، وهذا دليل على نبوة نبينا محمد ﷺ وأن عقولنا لا تدرك كل شيء، ولذلك علينا أن نطلب من الله تعالى العون والمساعدة، وأن يفهمنا ويلهمنا الصواب.

غزوة خيبر:

الأستاذ: خرج بنو النضير إلى خيبر بعد أن أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة، وبعضهم سار إلى الشام.[4] وخيبر مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع.

الطالب: وما معنى حصون يا أستاذ؟

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٣٣٦-٣٣٧).

(٢) سورة الفتح ، الآية (١).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٣٣٢).

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٢٠١).

الأستاذ: الحصن: عبارة عن جدار أي سور طويل ومرتفع حول المدينة. فيمنع الدخول لها إلا من خلال أبواب مفتوحة، وتغلق في أوقات الليل. وقد يكون للمدينة أكثر من حصن، بحيث يكون لكل جهة منها حصن يحيط بها، فمثلاً: حصن يحيط بجهة منها كشرقها، ثم حصن آخر يحيط بالجزء الآخر، وهكذا.

وفي المحرم من سنة سبع خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر.[1] وكان لليهود فيها أثر في تشجيع المشركين لمقاتلة المسلمين في غزوة الأحزاب التي هي غزوة الخندق.

الطالب: وهل حصلت حرب بين المسلمين وأهل خيبر.

الأستاذ: نعم. وصل المسلمون خيبر، فحاصرهم النبي ﷺ.[2]

الطالب: ما معنى حاصرهم؟

الأستاذ: الحصار معناه أن الجيش يقف عند المداخل أو القرية، فلا يستطيع أهلها الخروج أو الدخول.

ولما كانت خيبر لها حصون متعددة، أخذ المسلمون يحاصرونها حصناً بعد حصن، فكلما فُتح حصن توجهوا للآخر.

وقد استصعب أحد الحصون أكثر من البقية، فقال رسول الله ﷺ (لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يُحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)[3]

الطالب: هذه منزلة عظيمة لهذا الصحابي الذي يحبه الله ورسوله.

الأستاذ: نعم منزلة عظيمة ودرجة رفيعة، وشهادة من رسول الله ﷺ لهذا الصحابي الجليل. ولذلك بات الصحابة في تلك الليلة يفكرون لمن سيكون هذا الحظ وهذا النصيب العظيم، وكل واحد متشوق لأن يكون هو.

الطالب: هيا يا أستاذ! أخبرنا من هو ذلك الصحابي الجليل؟

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٣٤٢).

(٢) البخاري (٣/١٣٤-١٣٥) برقم (٤١٩٦).

(٣) البخاري (٣/١٣٧-١٣٨) برقم (٤٢١٠).

الأستاذ: عندما أصبح الصباح قال ﷺ (أين علي بن ابي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه)[١] وهذا يعني أنه لم يأت بسبب مَرَض عينيه، وبالتالي لا يستطيع أن يقوم بهذه المسؤولية في محاربة العدو.

الطالب: وما الذي حدث يا أستاذ؟ هل أعطيت لصحابي آخر؟

الأستاذ: فقال رسول الله ﷺ: أرسلوا إليه. وعندما جاء علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) إلى النبي ﷺ بصق رسول الله ﷺ في عين علي، ودعا له، فصار صحيحاً، كأنه ما أصابه شيء.[٢]

الطالب: هذه معجزة يا أستاذ.

الأستاذ: نعم، هذه معجزة أجراها الله تعالى لنبيه ﷺ. لأنه نبي كريم يحبه الله تعالى، فيكرمه ويجعل البركة في كل شيء منه ﷺ.

الطالب: وماذا حدث بعد ذلك؟

الأستاذ: ذهب علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) على رأس جيش المسلمين إلى ذلك الحصن، وخرج أهل ذلك الحصن فقاتلهم، وكان هناك باب كبير لا يستطيع أن يحمله إلا الكثير من الرجال، فمسك به علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) وحمله بيده، وأخذ يحتمي به عن سيوف العدو، ويقاتل حتى فتح الله تعالى على يديه ذلك الحصن، ثم ألقاه على الأرض.[٣]

الطالب: يعني أن علي (رضى الله عنه) كان قوياً.

الأستاذ: نعم كان علي (رضى الله عنه) شجاعاً قوياً، ولكن الله سبحانه وتعالى زاد من قوته في تلك اللحظة حتى جعله يحمل باباً لا يستطيع أن يحمله الرجال الأقوياء الكثير. وهذا توفيق من الله تعالى له، لأن الله ورسوله يحبونه ويحبهم. فعلينا بمحبة الله تعالى ورسوله ﷺ حتى يحبنا الله ورسوله، وإذا أحبنا الله تعالى وفقنا في قوتنا وفي سمعنا وبصرنا وفهمنا وحفظنا، وفي كل خير.

الطالب: وماذا حدث يا أستاذ بعد أن انتصر رسول الله ﷺ والمسلمون؟

---

(١) البخاري (١٣٧/٣-١٣٨) برقم (٤٢١٠).

(٢) البخاري (١٣٧/٣-١٣٨) برقم (٤٢١٠).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (٣٤٩/٣-٣٥٠).

الأستاذ: لما انهزم أهل خيبر لم يخرجهم النبي ﷺ منها، بل كان كريماً عليه الصلاة والسلام، فتركهم فيها على أن يزرعوها؛ ولهم نصف ما يخرج منها، والنصف الآخر للمسلمين.

ولما علم أهل فَدَك بما حصل لأهل خيبر، طلبوا من النبي ﷺ أن يعاملهم في الأموال مثل أهل خيبر، فوافق وصالحهم النبي ﷺ على ذلك.

وقد حصل في هذه الغزوة أن أهدت زينب بنت الحارث إلى النبي ﷺ شاة مشوية، ووضعت السم فيها، وأكثرت من السم في الذراع، لأنها عرفت أن النبي ﷺ يحب الذراع.[1]

الطالب: هذا أمر حقير، وقد عاملهم النبي ﷺ هذه المعاملة الكريمة.

الأستاذ: نعم إنه أمر حقير أن تفعل هذه الخديعة برسول الله ﷺ. فلما مضغ من الذراع مضغة كرهها ففضها، أي رماها من فمه. ومعه بشر بن البراء؛ فأكل منها، فقال النبي ﷺ (إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم)[2]

الطالب: الله أكبر. شيء عظيم يحدث للنبي ﷺ بأن يخبره العظم أنه مسموم.

الأستاذ: نعم إن العظم أحب النبي ﷺ، وجعل الله تعالى هذا العظم يخبر النبي ﷺ بذلك، وبأسلوب نحن لا نعرفه. وأما بشرف لأنه أكل منه فقد مات (رضى الله عنه).

الطالب: وماذا صنع النبي ﷺ بالمرأة؟

الأستاذ: دعا النبي ﷺ المرأة، وسألها عن سبب فعلها. فقالت: لأنك حاربت قومي، وقلتُ: إن كان ملكاً استرحت منه. وإن كان نبياً فسيخبره ربه. فسامحها ﷺ.

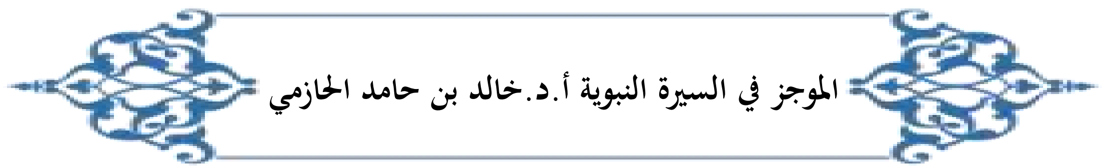
الطالب: سامحها عليه الصلاة والسلام وهي تريد قتله بالسم، هذا خُلُق عظيم.

الأستاذ: إنه صاحب الأخلاق العظيمة ﷺ، فيعفو عمن ظلمه وآذاه. إنه كريم في تعامله ﷺ. فعلينا أن نكون كذلك في أخلاقنا وتعاملنا، فنقتدي برسول الله ﷺ

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٣٥٢-٣٥٣).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٣٥٢-٣٥٣).



مكاتبة النبي ﷺ للملوك والأمراء:

الأستاذ: لما رجع النبي ﷺ إلى المدينة بعد صلح الحديبية أرسل ﷺ بعض الصحابة (رضى الله عنهم) برسائل إلى الملوك والأمراء؛ يدعوهم إلى الإسلام. فمنهم النجاشي ملك الحبشة، وإلى هرقل ملك الروم، وكسرى ملك فارس، وإلى المقوقس حاكم الإسكندرية، وإلى غيرهم من الملوك والأمراء [1]

الطالب: وهل كانوا يتكلمون العربية.

الأستاذ: لقد أرسل النبي ﷺ بعض أصحابه إلى أولئك الملوك والأمراء، وكل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم. ومعناه أنهم قد تعلموا لغة أهل تلك البلاد. بل أن النبي ﷺ عندما أخبروه بأن الملوك والأمراء لا يقبلون رسالة إلا مختومة بختم، اتخذ عليه الصلاة والسلام خاتماً من فضة، ونقش على فصه محمد رسول الله. وذلك في ثلاثة أسطر. [2]

الطالب: هذا رائع جداً أن يعرف بعض الصحابة لغات بعض أهل تلك البلاد.

الأستاذ: عرفتم فيما سبق أن عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة كان قليل جداً، ثم انظروا كيف تطور العلم عند المسلمين في عهده ﷺ حتى تعلموا لغات بعض تلك البلاد. مما يدل على أن الإسلام يشجع العلم؛ وكذلك معرفة لغة الآخرين؛ حتى نُوصِل لهم الدين بلغتهم.

عمرة القضاء:

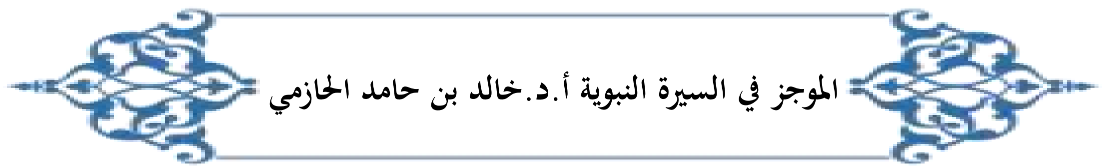
الأستاذ: عندما حصل الصلح بين النبي ﷺ وكفار قريش في الحديبية، واتفقوا على أن يعود النبي ﷺ إلى المدينة دون أن يعتمر؛ وعلى أن يعتمر في السنة التالية وهي السنة السابعة. خرج النبي عليه الصلاة والسلام ليقضي تلك العمرة التي لم تتم، وخرج معه الصحابة الذين صدهم المشركون بالحديبية سنة ست. وخرج معهم آخرون، وكان عددهم ألفين. [3]

---

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢٥٨/١-٢٩١).

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢٥٨/١).

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٢٠/٢) وابن هشام، السيرة النبوية (١٢/٤).



الطالب: سبحان الله تعالى! لقد كان عدد الصحابة (رضى الله عنهم) في صلح الحديبية ألف وأربعمائة، وفي خلال سنة زاد عددهم ليصبحوا ألفين في عمرة القضاء، فهذا توفيق من الله تعالى.

الأستاذ: أحسنتم في هذه النتيجة، مع العلم أن بعض الصحابة توفي والبعض استشهد في غزوة خيبر.

الطالب: وماذا حصل بعد ذلك يا أستاذ؟

الأستاذ: عندما علمت قريش بذلك؛ قالوا عن المسلمين: يقدم عليكم غداً قوم وهنتهم الحمى، أي أضعفتهم الحمى. فجلسوا مما يلي الحجر الأسود. فأمر النبي ﷺ الصحابة أن يرملوا ثلاثة أشواط. أي يسرعوا فيها. وأما بين الركنين فيمشوا.[1]

الطالب: هل هناك سبب يا أستاذ أن يسرعوا ثلاثة أشواط؟

الأستاذ: نعم. حتى تعرف قريش أنهم أقوياء؛ وليس كما يقولون: وهنتهم الحمى. ولذلك من السنة الرمل في الثلاثة الأشواط الأولى من الطواف.

كما يمكن أن نستفيد من ذلك أن نظهر أمام الأعداء بالمظهر القوى، حتى يخافوا منا، ويهابوا جمعنا. وكذلك علينا العناية بقوة أجسامنا. فلا نعرضها للخطر.

الطالب: وهل كانوا أوفياء ولم يؤذوا النبي ﷺ وأصحابه (رضى الله عنهم)؟

الأستاذ: لقد مكث النبي ﷺ ثلاثة أيام بمكة. ثم طلبوا من النبي ﷺ أن يخرج. فخرج عليه الصلاة والسلام.[2]ولم يحدث شيء في تلك العمرة بين المسلمين والمشركين.

غزوة فتح مكة:

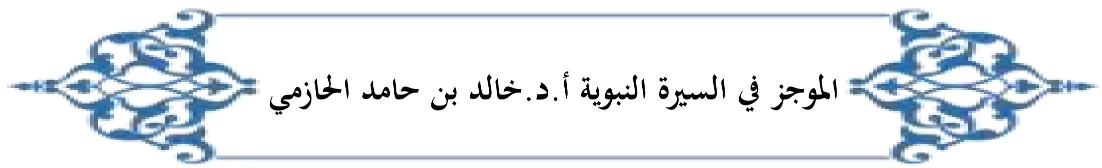
الأستاذ: كان من ضمن شروط صلح الحديبية، أنه من أحب أن يدخل في عقد وعهد رسول الله ﷺ فليدخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

الطالب: وما معنى دخل في عقدهم وعهدهم يا أستاذ؟

---

(1) مسلم (٢/٩٢٣) برقم (١٢٦٦).

(2) البخاري (٣/١٤٤) برقم (٤٢٥٢).



الأستاذ: معنى ذلك: أي أنه من أراد من القبائل أن يكون مع النبي ﷺ وفي صفه ويواليه ويناصره ويقف معه فله ذلك، ومن أراد أن يكون مع قريش فله ذلك.

فدخلت قبيلة بنو بكر مع قريش، ودخلت قبيلة خزاعة مع النبي ﷺ. وفي أثناء الصلح الذي تم بينهم اعتدت قبيلة بنو بكر على قبيلة خزاعة، وقاتل معهم عدد من قريش.

وفي هذا الاعتداء من بني بكر وقريش على خزاعة نقض للصلح. وهنا جاء بُديل بن ورقاء مع وفد من بني خزاعة إلى النبي ﷺ يخبرونه بما حصل من بني بكر ومناصرة قريش لهم.[1]

الطالب: وماذا قال لهم النبي ﷺ؟

الأستاذ: لقد وعدهم النبي ﷺ بمناصرتهم والدفاع عنهم. لأن من أخلاق الإسلام احترام المواثيق، ومنها ميثاق الصلح، وكذلك من أخلاق الإسلام مناصرة من دخل في عهد المسلمين وميثاقهم، ولا يخذلونه أبداً، لأنه دين وفاء. وبالتالي علينا احترام المواثيق التي تعقدها الدولة مع المسلمين ومع غير المسلمين.

الطالب: وهل قاتلهم النبي ﷺ؟

الأستاذ: إن النبي ﷺ لا يحب سفك الدماء، ولذلك أرسل إلى قريش وخيرهم بين ثلاثة أمور. إما أن يؤدوا دية من قتلوهم من بني خزاعة. أو يبرأوا ويتركوا حلف بني بكر. أو يقاتلهم النبي ﷺ؟

الطالب: والله هذه خيارات فيها عدل لهم ولقبيلة خزاعة، بأن يؤدوا دية من قتلوهم. ولعلهم يقبلون بتأدية الدية لأنها تمنعهم من القتال وتحقق لهم السلام.

الأستاذ: هذا رأي جميل منكم. ولكن قريشاً رأت أن تظهر بمظهر القوة، ولم تقبل دفع الدية، ولم تقبل أن تترك معاهدة بني بكر، واختارت القتال.

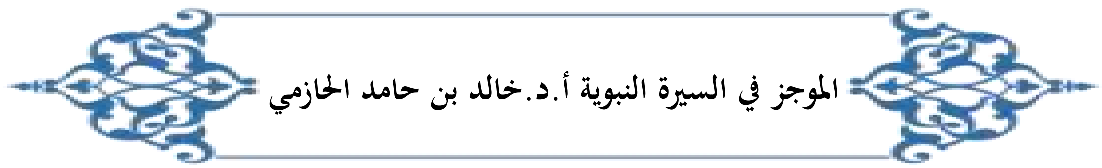
فأمر النبي ﷺ الناس أن يتجهزوا لمحاربة قريش، وسأل الله تعالى قائلاً (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها. فتجهز الناس)[2]

الطالب: وما معنى خذ العيون والأخبار؟

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية (٤/٣١-٣٧) وابن حجر، فتح الباري (٧/٥١٩-٥٢٠).

(2) ابن هشام، السيرة النبوية (٤/٣٩-٤٠).



الأستاذ: معنى خذ العيون والأخبار عن قريش، أي لا تجعل أحداً من قريش يعرف أننا قادمون إليهم، فامنع عنهم العيون التي ترانا فتخبرهم، وامنع أخبارنا أن تصل إليهم، حتى نبغتها، أي حتى نفاجئهم بقدومنا عليهم.

وهذا يدلنا على أهمية الدعاء، لأنه إذا لم يكن من الله عون لنا فلا نستطيع أن نحقق ما نريد أبداً، ولذلك علينا بالدعاء في كل أمر نرغب في تحقيقه أو نرغب في دفعه مما نخافه.

الطالب: ومتى خرج النبي ﷺ لمقاتلة قريش؟

الأستاذ: خرج النبي ﷺ في رمضان من المدينة سنة ثمان سنين ونصف من هجرته ﷺ، أي في وسط السنة التاسعة من الهجرة، وكان معه عشرة آلاف من المسلمين.[1]

الطالب: ما شاء الله كان العدد كبير جداً؛ مقارنة بعدد المسلمين في صلح الحديبية، حيث كان عددهم قرابة ألف وخمسمائة. أليس كذلك يا أستاذنا الكريم؟

الأستاذ: أحسنتم في هذه المقارنة، فقد كان عدد المسلمين ألف وأربعمائة وزيادة. بل وهذه الزيادة خلال سنتين تقريباً. حيث كانت غزوة صلح الحديبية في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة النبوية المباركة. وهذا دليل على أن الناس كانت تدخل في دين الله تعالى أفواجا، لِمَا يرون من صدق هذا النبي ﷺ وجمال وروعة هذا الدين العظيم بمبادئه ومنهجه وتوجيهاته العظيمة. مما يتطلب منا أن نتمسك بهذا الدين؛ ونَظْهَر به كما يجب عند غيرنا حتى يدخلوا فيه بما يرونه علينا من جمال الإسلام في عباداته وأخلاقه العظيمة.

الطالب: ولكن يا أستاذ. خرج المسلمون في رمضان فهل كانوا صياماً أم أنهم مفطرون؟

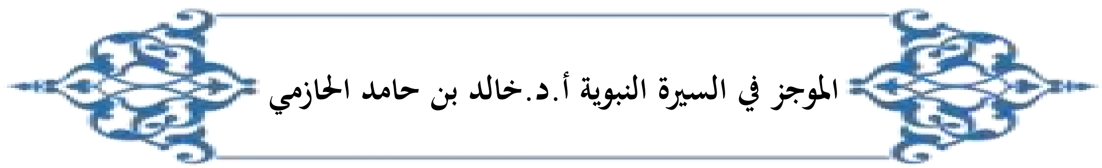
الأستاذ: أحسنتم في هذا السؤال، مما يدل على انتباهكم.

الأستاذ: عندما سار النبي ﷺ والمسلمون معه إلى مكة، ووصلوا إلى الكديد، وهو ماء بين عسفان وقُديد. أفطر عليه الصلاة والسلام، وأفطر معه الناس.[2]

---

(1) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد(٣/٤٣٣-٤٣٤).

(2) البخاري (٣/١٤٨) برقم (٤٢٧٦).



ويخبرنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه (سافر رسول الله ﷺ في رمضان حتى بلغ عسفان، ثم دعا بإناء من ماء، فشرب نهاراً ليراه الناس، فأفطر حتى قدم مكة) [1]

وهذا يفيدنا أن للمسافر أن يفطر، ويقضي بعد ذلك، كما يفيدنا هذا أن دين الإسلام دين رحمة، لا دين مشقة. ولذلك قال العلماء: المشقة تجلب التيسير. فاستخرجوا هذه القاعدة مما وجدوه من نصوص هذا الدين.

الطالب: بالفعل يا أستاذ إنه دين رحمة لا دين مشقة، فأنا أحب دين الإسلام حباً كبيراً.

الأستاذ: وعندما علمت قريش بخبر النبي ﷺ، وأنه قادم عليهم، أرسلوا من يأتيهم بالخبر، فخرج أبو سفيان بن حرب مع نفر، يلتمسون خبر النبي ﷺ. وعلى مقربة من مكة؛ بمنطقة اسمها (مر الظهران) وجد أبا سفيان معسكر المسلمين.

الطالب: وماذا صنع عندما رأى جيش المسلمين، هل رجع إلى قريش ليخبرهم؟

الأستاذ: لا. لقد كان هناك حرس جيش المسلمين، ومهمتهم حراسة الجيش، فقبض حراس جيش المسلمين على أبي سفيان ومن معه. وذهبوا بهم إلى النبي ﷺ.

الطالب: هذا تنظيم جيد؛ بأن اتخذوا الحراسة. ولكن ماذا فعل النبي ﷺ بابي سفيان؟ هل قتله أو أسره؟ أو ماذا فعل به؟

الأستاذ: لقد تعلمنا مما سبق من سيرة النبي ﷺ أن ليس من أهدافه عليه الصلاة والسلام قتل الناس، ولا أن ينتصر عليهم، بل هدفه أن ينقذ الناس من الكفر ومن نار جهنم، ليدخلوا في الإسلام.

ولذلك أسلم أبو سفيان.[2]وأسلم من كان معه وهو حكيم بن حزام، وبُديل.[3]

وقال النبي ﷺ (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن)[4]فلو كان هدف النبي ﷺ قتل الناس لما قال هذا الكلام.

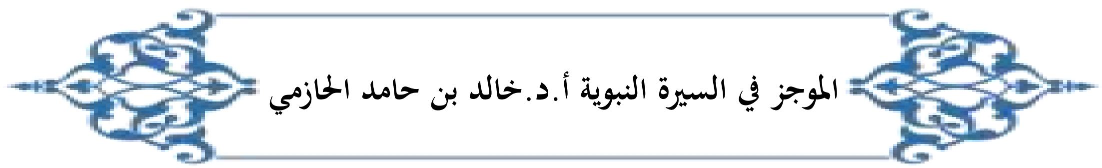
---

(1) البخاري (١٤٨/٣) برم (٤٢٧٩).

(2) البخاري (١٤٩/٣) برقم (٤٢٨٠).

(3) ابن حجر، فتح الباري (٧/٨).

(4) ابن هشام، السيرة النبوية (٤٦/٤).



الطالب: صحيح يا أستاذ. فجميع الأحداث التي تعلمناها تؤكد هذا المنهج النبوي الكريم.

الأستاذ: ثم صدرت التوجيهات النبوية الكريمة بأن تُرْكَز رايته بالحجون[1]ودخل النبي ﷺ عام الفتح من أعلى مكة، من كداء.[2] وهي الجهة الجنوبية الشرقية من مكة المكرمة. وأمر جيشه أن يكفوا أيديهم، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم.[3]

وهذا يؤكد أيضاً أن مراد النبي ﷺ ليس هو القتال ما لم يقاتله أحد، وأن يكون القتال فقط لمن يقاتل المسلمين ليدافعوا عن أنفسهم.

الطالب: جميل هذه الأخلاق العالية للإسلام، ولكن هل اعتدى عليهم أحد وحصل قتال للمسلمين يا أستاذ؟

الأستاذ: لم يحدث قتال حرب كما هو في الحروب، بل إن الله تعالى أرهب قريش بعدد جيش المسلمين، وكذلك نهى النبي ﷺ قادته أن يبدؤهم بحرب، فلما رأى عليه الصلاة والسلام بريق السلاح قال (ألم أنه عن القتال؟ فقيل: خالد بن الوليد قُوتل فقاتل. فقال: قضاء الله خير)[4] ولذلك لم يُقْتَل من قريش إلا أربعة وعشرين رجلاً، ومن هذيل أربعة،[5]وقتل من المسلمين من خيل خالد بن الوليد رجلان فقط[6]

فهذا دليل على أنه ليس من أهدافه ﷺ قتل الناس وسفك الدماء، بل هدفه رحمة الناس بهذا الدين، ليدخلوا فيه، فيدخلوا الجنة.

الطالب: إذاً ماذا صنع ﷺ بقريش عندما دخل مكة؟

---

(١) البخاري (١٤٩/٢) برقم (٤٢٨٠).

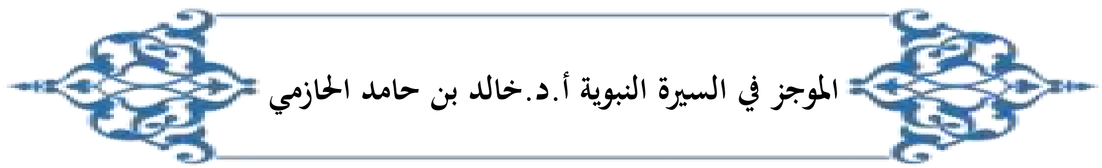
(٢) البخاري (١٥١/٣) برقم (٤٢٩٠) ورقم (٤٢٩١).

(٣) ابن حجر، فتح الباري (١٠/٨).

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٣٦/٢).

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٣٦/٢) وابن حجر، فتح الباري (١١/٨).

(٦) البخاري (١٤٩/٣) برقم (٤٢٨٠).



الأستاذ: لقد عفا عن أهل مكة بالرغم مما فعلوه به وبصحابته عندما كانوا في مكة، ومقاتلتهم له في المدينة. فقال لهم رسول الله ﷺ (يا معشر قريش! ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء). [1]

الطالب: ما معنى أنتم الطلقاء يا أستاذنا الفاضل؟

الأستاذ: أي أنتم أحرار لا أطالبكم بشيء، لأنه يمكن له ﷺ أن يقتل من يريد، ويطلب من المال ما يريد. ولكن ليس هذا من أخلاقه الكريمة ﷺ لأنه نبي الرحمة والهداية.

الطالب: ثم ماذا حدث بعد ذلك يا أستاذ؟

الأستاذ: أقبل الناس على دار أبي سفيان، وأغلق الناس أبوابهم. لأنه ﷺ قال (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن) ثم توجه النبي ﷺ إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثم طاف بالبيت، وحطم صنماً كان بجانب البيت العتيق، وكان يقول عليه الصلاة والسلام (جاء الحق وزهق الباطل) ولما فرغ من طوافه صعد الصفا، حتى نظر إلى البيت، ورفع يديه، فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو [2]

وهذا يدل على أهمية الطواف، وأنه أول ما يبدأ به المسلم إذا دخل مكة. وأهمية الحمد والشكر إذا أصابت الإنسان نعمة من الله تعالى، وأهمية الدعاء. وكذلك خطورة الشرك، حيث حطم ﷺ الصنم الذي كان بجانب البيت، وأنه باطل، وأن دين الله تعالى هو الحق المبين.

الطالب: ثم هل خرج النبي ﷺ من مكة بعد أن فتحها الله عليه؟ أم جلس فيها يا أستاذ؟

الأستاذ: لقد نزل النبي ﷺ في خيمة عند شعب أبي طالب، وهو المكان الذي حاصرت قريش فيه المسلمين مع نبيهم ﷺ.[3] وقد أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً، وكان يقصر الصلاة. [4]

الطالب: هل يعتبرون في سفر حتى يقصروا الصلاة يا أستاذ؟

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٤/٥٥).

(٢) مسلم (٣/١٤٠٥-١٤٠٦) برقم (١٧٨٠).

(٣) ابن حجر، فتح الباري (٨/١٩).

(٤) البخاري (٣/١٥٢) برقم (٤٢٩٨).

الأستاذ: نعم. فالسفر، قد يكون للجهاد، وقد يكون للتجارة؛ وقد يكون للعبادة: كالسفر للحج أو العمرة، وقد يكون لأمور أخرى مباحة، وبالتالي يقصر المسلم الصلاة الرباعية فقط إلى ركعتين.

الطالب: ثم بعد ذلك ماذا صنع النبي ﷺ؟

الأستاذ: بعد ذلك أخذ الناس يأتون للنبي ﷺ يبايعونه ويسلمون، فدخل في دين الله تعالى أفواجاً. أي جماعات كثيرة من القبائل.[1] وهنا نزلت سورة النصر. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[2]

غزوة حنين:

الأستاذ: لما سمعت قبيلة هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف النضري لمحاربة النبي ﷺ واجتمعت معها ثقيف.[3] وغطفان، وغيرهم.[4]

وكان عدد المسلمين عشرة آلاف.[5] ومن الطلقاء ألفين[6] وكان عدد العدو ضعف عدد المسلمين وأكثر.[7]

الطالب: ولماذا تحارب هذه القبائل النبي ﷺ وهو لم يحاربهم؟

الأستاذ: أحسنتم! لما فتح الله تعالى على نبيه ﷺ مكة المكرمة، خافت قبائل الطائف أن يتجه إليهم النبي ﷺ. فأرادت محاربة النبي ﷺ.

الطالب: ولماذا سميت غزوة حنين يا أستاذ؟

---

(١) البخاري (٣/١٥٢) برقم (٤٢٠٣).

(٢) البخاري (٣/١٥١) برقم (٤٢٩٤).

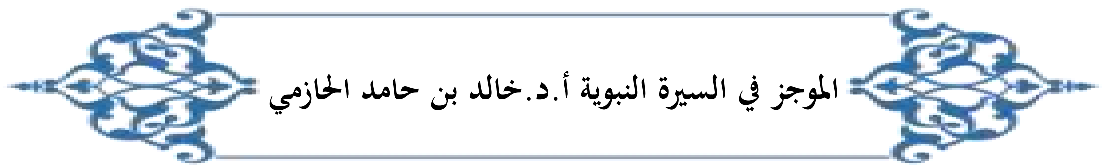
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (٤/٨٠).

(٤) البخاري (٣/١٥٩) برقم (٤٣٣٧).

(٥) البخاري (٣/١٥٩) برقم (٤٣٣٧).

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية (٤/٨٣).

(٧) ابن حجر، فتح الباري (٨/٢٩).



الأستاذ: سميت غزوة حنين لأن المعركة بين المسلمين وتلك القبائل وقعت في منطقة حنين، وهو واد بين مكة المكرمة والطائف.

الطالب: وكيف عرف النبي ﷺ بما اتفقت عليه تلك القبائل؟

الأستاذ: وصلت للنبي ﷺ بعض الأخبار عما ستقوم به تلك القبائل. فأرسل عليه الصلاة والسلام عبد الرحمن بن أبي حدرد الأسلمي، ليتأكد من صحة الخبر. فذهب ومكث يوم أو يومين؛ ثم رجع وأخبر النبي ﷺ بالخبر.[1]

وهذا دليل على أهمية التأكد من صحة الأخبار. حتى لا نعتدي على أحد أو نظلم أحداً. ويكون هذا مع أعدائنا؛ وفي حياتنا الاجتماعية مع المسلمين أجمعين، ومنهم الزملاء والأصدقاء؛ وفي كل أمر، حتى لا نتخذ قراراً فيكون على غير هدى وحقيقة.

الطالب: هذا أمر جيد نتعلمه يا أستاذ! وماذا فعل النبي ﷺ عندما علم بالخبر؟

الأستاذ: خرج النبي ﷺ على رأس جيش المسلمين من مكة، وكان وصوله إلى حنين في العاشر من شوال.[2]

وفي أثناء الطريق قال رجل: لن نُغلب اليوم من قلة. أي لن تغلبنا تلك القبائل لكثرتنا. فشق ذلك على النبي ﷺ.[3] أي أن هذا الكلام الذي ذكره الرجل أزعج النبي ﷺ، وأصبح خائفاً من عاقبته.

الطالب: ولماذا يا أستاذ؟ هل في هذا الكلام شيء خاطئ؟

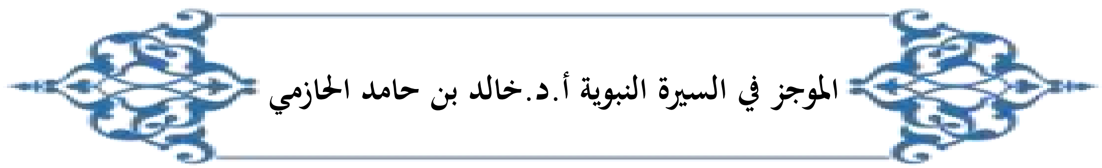
الأستاذ: نعم يا ابنائي! بعض الكلام خفيف على اللسان؛ خطير على الإنسان. لأن هذا الكلام قد يكون فيه شيء من الإعجاب بكثرة جيش المسلمين، والإعجاب بالنفس أمر خطير، لأنه قد يؤدي إلى الكبرياء، والله تعالى لا يحب المتكبرين، أو المعجبين بقوتهم ونعمتهم، بل يحب الله التواضع والمتواضعين.

---

(١) الحاكم، المستدرك (٣/٤٨-٤٩).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٨/٢٧).

(٣) ابن حجر، فتح الباري (٨/٢٧).



ولذلك لما شق ذلك الكلام على النبي ﷺ أخذ يقول: (اللهم بك أحاول، وبك أصاول، وبك أقاتل)[1] ومعنى أصاول وأصول: أي أسطو وأقهر. والصولة: الحملة والوثبة.

وقد قص النبي ﷺ على أصحابه قصة قوم مع نبي لهم، وقد أعجبتهم كثرتهم، فعن صهيب (رضى الله عنه) (أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ أيام حنين يحرِّكُ شفتيهِ بعد صلاة الفجر بشيءٍ لم نكن نراه يفعله. فقلنا يا رسولَ اللَّهِ إنَّا نراك تفعل شيئاً لم تكن تفعله. فما هذا الذي تحرِّكُ شفتيكَ؟ قال إنَّ نبيًّا فيمن كانَ قبلَكم أعجبته كثرة أمته. فقال لن يرومَ هؤلاء شيء. فأوحى اللَّهُ إليهِ أنْ خيِّرْ أمَّتَكَ بينَ إحدى ثلاثٍ: إما أن نسلِّطَ عليهم عدوًّا من غيرِهم فيستبيحَهم. أو الجوعَ. وإمَّا أن أرسلَ عليهم الموتَ. فشاورهم. فقالوا: أمَّا العدوُّ فلا طاقةَ لنا بِهم. وأما الجوع فلا صبر لنا عليه. ولَكنَّ الموتَ. فأرسلَ عليهم الموت. فماتَ منهم في ثلاثة أيام سبعونَ ألفاً. قال رسول الله ﷺ (فأنا أقولُ الآن حيث رأى كثرتهم: اللهمَّ بِك أحاولُ وبِكَ أصاوِلُ وبِك أقاتِلُ)[2]

الطالب: هذه القصة مفيدة جيداً يا أستاذ!

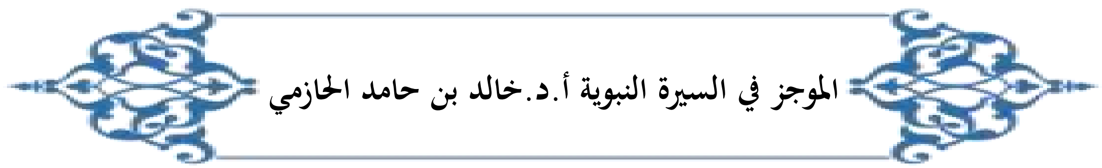
الأستاذ: نعم إن فيها فوائد كثيرة، ففيها التحذير من أن يغتر الإنسان بقوته، أو بماله أو بمنصبه أو بقوة عقله وأصدقائه في تحقيق حاجاته ومطالبه ونجاحه في الدراسة وفي الحياة. بل ليعلم أن قوته والأسباب كلها لا تغني عنه شيئاً مهما كبرت وكثرت. كما أن الذي يغتر بالأسباب ويعتمد عليها دون أن يعتمد على الله سبحانه وتعالى قد يعاقبه الله تعالى بأن لا يحقق له ما يريد، أو أن يحرمه من تلك الأسباب ويزيلها عنه، من مال أو منصب أو قدرة عقليه في الحفظ والذكاء والفطنة، أو غير ذلك من النعم.

كما يفيدنا هذا أن الله تعالى لا يحب من يعتمد على الأسباب، بل يحب من يعتمد عليه مع الأخذ بالأسباب، ويعلم أن الأسباب لا تضر ولا تنفع إلا بمشيئة الله تعالى؛ والتي نطلبها بالدعاء والتوكل عليه سبحانه وتعالى.

---

(١) أحمد، المسند (٣٣٣/٤).

(٢) أحمد، المسند (٣٣٣/٤) وقال محققوا المسند: شعيب الأرنؤوط وآخرون: إسناده صحيح على شرط مسلم (٢٦٢/٣١-٢٦٣)



كما يفيدنا هذا أن الأسباب وإن ضعفت وقَلّت فإن الله تعالى قادر على أن يحقق بها ما لا تحققه الأسباب الكبيرة. وقد درستم ذلك في غزوة بدر من قلة المسلمين وانتصارهم.

وكذلك يفيدنا موقف النبي ﷺ أن نُكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

الطالب: لقد استفدنا كثيراً من هذا الموقف يا أستاذ؛ فجزاك الله خيراً. وكيف كانت المعركة يا أستاذ؟

الأستاذ: لقد تهيأ العدو في وادي حُنين، وفاجأ المسلمين بقوته؛ وصفوفه المرتبة في صباح وقوع المعركة.

ومع بداية نزول المسلمين لمكان المعركة، لم يكن بعض المسلمين متهيئاً بسلاحه للقتال. فانهزم المسلمون في بداية المعركة راجعين. [1]

ولله تعالى حكمة عظيمة في هذا الموقف، ليبين للمسلمين أن النصر ليس بالكثرة، بل هو من عند الله تعالى، فقال تعالى عن وصف المسلمين في بداية غزوة حنين قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [2]

ففي هذه الآية الكريمة يُذكر الله تعالى المؤمنين بفضله عليهم، وأنه نصرهم في غزوات وسرايا كثيرة بفضله تبارك وتعالى؛ وليس بعددهم وقوتهم، وأن النصر من عنده سبحانه وتعالى.

ويوم حنين أعجبتهم كثرتهم؛ ومع هذا وَلّوا مدبرين إلا قليلاً منهم، ثَبَتَ مع النبي ﷺ وهو يقول (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزل نصرك...) [3] ثم أنزل الله تبارك وتعالى نصره للرسول ﷺ وللمؤمنين، لِيَعْلَمُوا أن النصر من عنده لا بالكثرة والقوة.

الطالب: هذا يدل على شجاعة النبي ﷺ حيث ثبت ولم يتول، بل دعا وقاتل.

---

(١) أحمد، المسند (٣/٣٧٦-٣٧٧) البخاري (٢/٣٤٠) برقم (٢٩٣٠).

(٢) سورة التوبة: آية رقم (٢٥).

(٣) مسلم (٣/١٤٠١) برقم (٧٩- ١٧٧٦).

الأستاذ: أحسنتم، لقد كان النبي ﷺ مثالاً في الشجاعة والإقدام، ولما حميت الحرب أخذ ﷺ قبضة من التراب ثم استقبل به وجوه العدو، فقال (شاهت الوجوه) فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فهزمهم الله تبارك وتعالى. وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين.[1]

غزوة الطائف:

الأستاذ: بعد غزوة حنين تعقب جيش رسول الله ﷺ الفارين، وتوجه إلى الطائف عليه الصلاة والسلام؛ حتى نزل قريباً من الطائف، فاقترب العسكر من حائط، أي حصن يمنع الدخول إلى بلدة الطائف، فَقُتِل عنده ناس من الصحابة بالنبل، ولم يتمكن المسلمون من دخول الحصن. فوضع ﷺ عسكره عند مسجد بناه ﷺ عندما وصل هذا المكان من الطائف[2] وقد كان حصار الطائف أربعين ليلة.[3] وقيل عشرين يوماً، وقيل أقل.

الطالب: إنها أيام كثيرة يا أستاذ!

الأستاذ: نعم أيام كثيرة، ولكن الجهاد في سبيل الله تعالى يستحق هذا الجهد، من أجل هداية الناس للإسلام. ولاحظوا أن النبي ﷺ عندما عسكر الجيش على مشارف الطائف بنا المسجد، مما يفيد أهمية المسجد وأهمية المحافظة على الصلاة في الشدة وفي الرخاء.

كما يفيدنا هذا الحصار الطويل أهمية الصبر عند تأدية المهام؛ فلا نستعجل؛ أو يحصل الكسل والإهمال، بل يجب النشاط مع الصبر في أعمالنا كلها. حتى يكتب الله تعالى الأجر والثواب، وقد قال بعض الصحابة لما كثر عليهم نبال ثقيف: يا رسول الله ادع عليهم. فقال ﷺ: (اللهم أهد ثقيفاً)[4]

الطالب: ما شاء الله تبارك الله. هذا خُلُق عظيم منه ﷺ، إذ لم يدع عليهم بل دعا لهم بالهداية، وقد حاربوه.

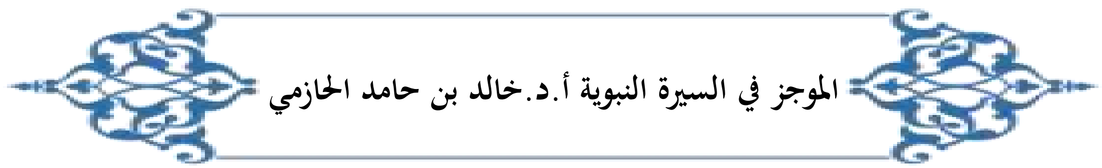
---

(1) مسلم (١٤٠٢/٣) برقم (١٧٧٧).

(2) ابن هشام، السيرة النبوية (١٢٤/٤-١٢٥).

(3) مسلم (٧٣٧/٢) برقم (١٣٦-١٠٥٩).

(4) الترمذي (٦٨٥/٤) برقم (٣٩٤٢).



الأستاذ: جميل هذا يا أبنائي، وأحسنتم أن عرفتم هذه الفائدة والصفة الخلقية الكريمة منه ﷺ. لأن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يكن يهدف إلى الانتصار على أعدائه، بل كان يهدف إلى رحمة الناس بإنقاذهم من الكفر المؤدي إلى النار ليدخلوا في الإسلام المؤدي إلى الجنة والمغفرة من الله تعالى.

وهكذا يجب أن نكون نحن. بأن نحب هداية الناس للإسلام والحق، ونحب هداية العاصي من المسلمين للصواب. ولا نحب الانتصار لأنفسنا، بل نحب أن ننتصر للخير والحق.

الطالب: ثم بعد هذا الحصار، ما الذي حدث يا أستاذنا الكريم؟

الأستاذ: لقد انصرف النبي ﷺ من الطائف إلى الجعرانة، حيث كانت هناك غنائم حنين. وتأخر ﷺ في تقسيم الغنائم رجاء أن تُسْلِم هوازن؛ ويعيد إليهم الغنائم، ولما تأخروا قسمها ﷺ. ثم جاء وفد قبيلة هوازن، فأعاد إليهم السبي، أي ما أخذ من نسائهم وغلمانهم.[1]

الطالب: لقد كان كريماً ﷺ.

الأستاذ: نعم كان عليه الصلاة والسلام أكرم البشر. ولم يكن يهدف إلى أخذ الأموال، بل كان هدفه ﷺ إنقاذ الناس من الكفر وعذابه. فقد تأخر في تقسيم الغنائم؛ لعلهم يأتون إليه مسلمين؛ فيعطيهم ما حصل عليه من غنائم كثيرة جداً، ولكن قدر الله تعالى أن تأخروا وتم تقسيم الغنائم، ثم أتوا بعد ذلك. فرد عليهم ﷺ سبيهم.

كما أن من فوائد هذه الغزوة استجابة دعاء النبي ﷺ، حيث دعا لثقيف، فاستجاب الله دعاء رسوله ﷺ.

غزوة تبوك:

الأستاذ: في شهر رجب من سنة تسع للهجرة النبوية المباركة كانت غزوة تبوك.[2] حيث بلغ النبي ﷺ أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام؛ مع مَنْ والاهم من القبائل[3]وقد سُمِّيَ جيش المسلمين بجيش العسرة.

---

(١) البخاري (٣/١٥٥) برقم (٤٣١٨).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (٤/١٥٩).

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢/١٦٥).

الطالب: ولماذا سُمِّيَ بجيش العسرة؟ وما معنى العسرة؟

الأستاذ: معنى العسرة: الشدة. وكانت هذه الغزوة في وقت شديد الحر، وقلة ما لدى المسلمين من تجهيزات، ولذلك قيل له: جيش العسرة، وقيل: غزوة العسرة. وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال (من جهز جيش العسرة فله الجنة. فجهزه عثمان)[1](رضى الله عنه).

الطالب: رضي الله عن عثمان بن عفان الذي تمكن من تجهيز جيش المسلمين.

الأستاذ: نعم (رضى الله عنه) فقد اشترى الجنة بهذا التجهيز الحربي. ولذلك علينا أن نستفيد من هذا السخاء والبذل من الصحابي الجليل عثمان بن عفان (رضى الله عنه) فلا نبخل من الإنفاق في سبيل الله تعالى؛ وفي أوجه الخير المتنوعة. كما يفيدنا هذا: أهمية المال للدعوة وللجهاد وفي كل عمل خير نريد أن نعمله. مما يدل على أهمية العمل في حياة الإنسان، حتى يستطيع أن يبذل من ماله في أوجه الخير. فقد تبرع عثمان (رضى الله عنه) بمائة من الإبل، مع تجهيزها للحرب، ثم حث النبي ﷺ الناس على التبرع. فتبرع بمائتي، ثم بثلاثمائة من الإبل مع تجهيزها.[2] كما يفيدنا هذا: أن الشدة لا تعني عدم رضى الله تعالى عن المسلم أو عن أمة أو مجتمع مسلم، فقد تكون ابتلاء وزيادة في الأجر والثواب، وقد تكون اختبار من الله تعالى للمسلم أو للمسلمين. فهذا جيش المسلمين في عهد رسول الله ﷺ وتحصل له هذه الشدة من حيث الزمن وشدة الحر وقلة العتاد والمال.

الطالب: وهل تبرع أحد غير عثمان (رضى الله عنه)؟

الأستاذ: نعم كل أحد من المسلمين جاء بما يستطيع. حتى أن بعضهم جاء بنصف صاع. وهو الذي يستطيعه، أي حوالي كيلو غرام بميزان اليوم. ومن لم يجد شيئاً جاء يطلب من النبي ﷺ أن يحمله معهم لمحاربة العدو. ومنهم من لم يجد عليه الصلاة والسلام ما يحملهم عليه من الدواب، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع، يبكون من أنهم لم يجدوا ما يحملهم عليه لشاركوا إخوانهم

---

(1) البخاري (١٨/٣) (٢٩٨/٢-٢٩٩) برقم (٢٧٧٨).

(2) الترمذي (٥٨٤/٥) برقم (٣٧٠٠).

المسلمين.[١] ولصدقهم ومحبتهم لله ولرسوله أنزل الله عذرهم في كتابه تبارك وتعالى.[٢] ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾[٣]

الطالب: وهل لهؤلاء الصحابة أجر؛ وهم لم يشاركوا إخوانهم من الصحابة في الغزوة؟

الأستاذ: لقد قال ﷺ عنهم (إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادياً، ولا سرتم مسيراً إلا شاركوكم فيه، قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: حبسهم العذر)[٤] مما يدل على أن العذر إذا منع الإنسان عن فعل الخير، وهو جاد في نيته؛ فإن الله تعالى يجزيه خيراً على هذه النية الطيبة. فعلينا أن نهتم بنياتنا لتكون مصدر خير لنا عند ربنا تبارك وتعالى.

الطالب: وهل ذهب المسلمون إلى تبوك؟

الأستاذ: في الوقت الذي يتم فيه إعلان النفير، أي الاستعداد ليتحرك جيش المسلمين نحو تبوك، خرج المنافقون يثبطون الناس عن الخروج، أي يشجعون الناس على عدم الخروج. ويعتذرون للنبي ﷺ ويقولون للناس لا تذهبوا في الحر. وقد بين ذلك العليم بالنفوس والنوايا، سبحانه وتعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[٥]

---

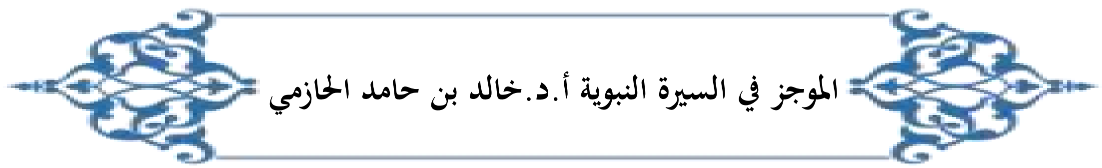
(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١٦١/٤).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣٩٦/٢).

(٣) سورة التوبة، آية رقم (٩١،٩٢).

(٤) أحمد، المسند (١٨٢/٣).

(٥) سورة التوبة: آية رقم (٨١-٨٢).



الطالب: إن المنافقين مشكلة في صفوف المسلمين يا أستاذ.

الأستاذ: نعم إن النفاق والمنافقون مشكلة كبيرة، ذلك أنهم يُظْهِرُون الإسلام ويُبْطِنُون الكفر. وعلى المسلم أن يحذر من أخلاقهم وطباعهم، مثل تثبيط المسلمين عن الخير، وتشجيع المسلمين على التخاذل وعدم التكاتف. أو البحث عن الرخص من أجل التكاسل عن طاعة الله تعالى.

الطالب: وهل تأثر المسلمون بما قاله المنافقون يا أستاذ؟

الأستاذ: لم يتأثر المسلمون بكلام المنافقين، بل تسابقوا إلى النبي ﷺ وذهبوا معه للغزوة، كما وصفهم كعب بن مالك (رضى الله عنه)، حيث يقول: والمسلمون مع رسول الله كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ)[1] أي لكثرتهم لا يمكن كتابة أسمائهم في كتاب.

الطالب: هذا جميل جداً ألا يتخلف أحد عن النبي ﷺ.

الأستاذ: نعم لم يتخلف إلا من كان له عذر مانع، غير أنه تخلف عن الغزوة كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة العامري (رضى الله عنهم) [2]

ولهؤلاء قصة عجيبة، فعندما عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ذهب يعتذر إليه من لم يغزوا مع النبي ﷺ فيقبل أعذارهم، ويستغفر لهم.[3] إلا هؤلاء الثلاثة فقالوا للنبي ﷺ لم يكن لنا عذر يمنعنا من الذهاب معك، حيث يقول كعب (رضى الله عنه) للنبي ﷺ (لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يُسخطك علي. والله ما كان لي عذر...)[4]

الطالب: والله موقف عجيب وعظيم يا أستاذ؟

الأستاذ: نعم إنه يعلم أن الله يعرف عنه كل شيء، فلا ينفعه الكذب على النبي ﷺ. ولذلك ترك النبي ﷺ هؤلاء الثلاثة حتى يحكم الله فيهم من عنده، وهجرهم النبي ﷺ، وأمر الناس بعدم الحديث معهم، حتى ضاقت بهم الدنيا. وبعد أربعين يوماً تاب الله عليهم وغفر لهم وذلك لصدقهم، وأنزل الله تعالى فيهم آيات نتلوها في القرآن الكريم ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ

---

(1) البخاري (٣/١٧٦- ١٨٠) برقم (٤٤١٨).

(2) مسلم (٤/٢١٢٠- ٢١٢٨) برقم (٢٧٦٩).

(3) مسلم (٤/٢١٢٠- ٢١٢٨) برقم (٢٧٦٩).

(4) مسلم (٤/٢١٢٠- ٢١٢٨) برقم (٢٧٦٩).

حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[1]

الطالب: وماذا عن الغزوة؟ وهل حصلت معركة في تبوك؟

الأستاذ: لقد سَلَّم الله رسوله ﷺ والصحابة (رضى الله عنهم). فلم يجدوا عدواً. وعادوا سالمين غانمين ولله الحمد. واستقبل أهل المدينة نبيهم ﷺ وصحابته (رضى الله عنهم).[2]

عام الوفود:

الأستاذ: سمي العام التاسع بعام الوفود، وذلك أنه لما فتح الله مكة على رسوله ﷺ وأسلمت ثقيف، وفَرِغَ من تبوك، جاءت وفود العرب من كل وجه؛ تبايع النبي ﷺ.

الطالب: هل كانت الوفود كثيرة يا أستاذ؟

الأستاذ: نعم لقد كانت كثيرة جداً، فقد بلغت أكثر من ستين وفداً.[3] وهذا يدلل على أهمية الصبر والمثابرة والاجتهاد وعدم استعجال النتائج، فقد كان عليه الصلاة والسلام يقابل الأذى من قومه بالصبر، ثم يهاجر إلى المدينة، ويجد الحروب من قومه ومن غيرهم، فيصبر ويثبت، ويجتهد في دعوة الناس للإسلام، ثم يتحقق النصر، فيأتي إليه الناس في وفود يُسَلِّمُون عليه ويُسْلِمُون ويبايعونه.

فنستفيد من ذلك أن يكون منهجنا هو منهج نبينا ﷺ في الصبر والاجتهاد وفي كل خير نستطيع أن نقوم به.

حجة الوداع:

الأستاذ: في أواخر السنة التاسعة نزل قوله تعالى ﴿فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ

---

(١) سورة التوبة: آية رقم (١١٨).

(٢) البخاري (١٨١/٣) برقم (٤٤٢٧).

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى (/٢٩١-٣٥٩).

ٱلۡعَٰلَمِينَ﴿٩٧﴾﴾[1] فلم يؤخر النبي ﷺ الحج، فبادر إليه ﷺ.[2] فأذن في الناس بالحج في السنة العاشرة، فقدم ناس كثير إلى المدينة؛ يريدون الاقتداء بالنبي ﷺ، فيعملون مثل ما يعمل.[3]

الطالب: لقد كان المسلمون في حرص شديد للاقتداء بالنبي ﷺ.

الأستاذ: نعم! لقد كان الصحابة (رضى الله عنهم) في حرص شديد على متابعة النبي ﷺ في كل ما يقوم به، ولذلك نقلوا إلينا كل شيء رأوه أو سمعوه من النبي ﷺ. وهذا يعني أن واجبنا هو التأسي برسول الله ﷺ، وألا نزيد أو ننقص من سنته أو نبتدع شيئاً لم يكن عليه النبي ﷺ وأصحابه (رضى الله عنهم) أجمعين.

الطالب: وهل هذه هي أول حجة للنبي ﷺ؟

الأستاذ: لم يكن الحج قد فرضه الله تعالى قبل سنة تسع للهجرة النبوية المباركة، وبالتالي لم يحج عليه الصلاة والسلام قبل ذلك. فكانت هذه الحجة هي الحجة الأولى، ولم يحج بعدها[4] لأنه توفي عليه الصلاة والسلام بعدها. فسميت حجة الوداع.

الطالب: وماذا كان في هذه الحجة يا أستاذ؟

الأستاذ: لقد نزل في عرفة قوله تعالى ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴿٣﴾﴾[5] وهذا دليل على أن الله تعالى أنعم علينا بتمام هذا الدين، فلا يحتاج أن نزيد أو نُنْقِص فيه، فهو كامل متكامل في

---

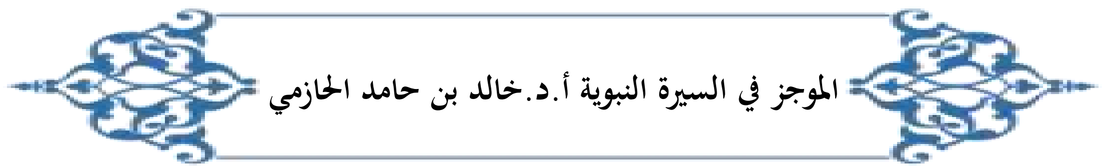
(1) سورة آل عمران، آية رقم (٩٧).

(2) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد (٣/٥٩٥).

(3) مسلم (٢/٨٨٦-٨٨٧) برقم (١٢١٨).

(4) البخاري (٣/١٧٤) برقم (٤٤٠٤).

(5) سورة المائدة: آية رقم (٣).



كل شيء، فما علينا إلا أن نتعلمه ونفهمه ونعمل به. كما أن هذا الدين نعمة عظيمة حيث سماه الله تعالى نعمة، فعلينا أن نشكر الله تعالى على هذه النعمة، وأن هدانا لها بفضله، وأن نحافظ عليها، بالتطبيق والعمل بها، والدعوة إليها. فلله الحمد والشكر.

وقد خطب النبي ﷺ في هذه الحجة، ومما قال عليه الصلاة والسلام (إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا؛ في شهركم هذا؛ في بلدكم هذا.)[١]

وعن الزبير عن جابر قال: (رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: لتأخذوا عني مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه)[٢]وهذه إشارة إلى قرب أجل النبي ﷺ. وفيه الحرص على التعلم من رسول الله ﷺ والتأسي به.

فيجب أن نتعلم هذا الدين ونجتهد في ذلك، وأن نقتدي بالنبي ﷺ.

سرية أسامة بن زيد إلى الشام:

الأستاذ: ندب النبي ﷺ الناس لغزو الروم في آخر صفر. وكان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي ﷺ بيومين. وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار، منهم أبوبكر وعمر وأبو عبيدة. رضي الله عنهم. وكانت هي آخر سرية جهزها رسول الله ﷺ [٣]

الطالب: وما معنى ندب يا أستاذ؟

الأستاذ: ندب بمعنى: دعاهم إلى غزو الروم.

ويلاحظ في هذه السرية عناية النبي ﷺ بأمر أمته؛ والدفاع عنها، وهو مريض ﷺ حيث كان تجهيز السرية قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بيومين. مما يحثنا على أن نعمل ونجتهد لآخر لحظة في حياتنا، لننفع أمتنا، وننفع أنفسنا بمرضاة الله تعالى.

الطالب: هذا أمر في غاية الأهمية يا أستاذنا القدير؟

الأستاذ: وكان أسامة صغير السن.[٤]

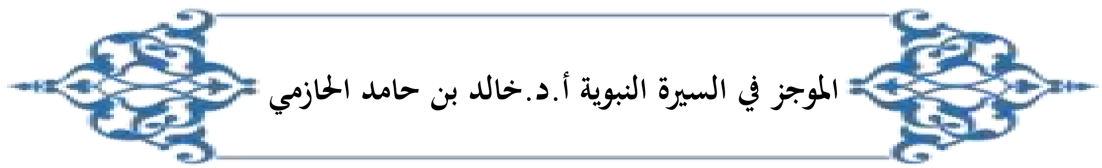
---

(١) مسلم (٢/٨٨٦-٨٩٢) برقم (١٢١٨).

(٢) مسلم (٣/٩٤٣) برقم (١٢٩٧).

(٣) ابن حجر، فتح الباري (٨/١٥٢).

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢/١٩٠).



وهذا يدل على أنه لا يجب أن تكون القيادة في الأكبر سناً، بل في الأقدر والأكفأ، لأنها مسؤولية تعتمد على القدرات التي يتفاوت الناس فيها. وكذلك أن ذلك لا ينقص من قدر الكبير شيئاً.

وهذا يعني أن علينا أن نقبل الأصغر يترأس علينا في أمر من الأمور؛ إذا كان يُحْسِنُ ذلك أكثر من الأكبر. وأن نُتَوِجَهُ ونُعِينَهُ ونسير معه في خدمة ذلك الأمر.

وهذا يعني أن الأصغر قد يكون لديه من القدرات في بعض الجوانب أكثر ممن هو أكبر منه سناً. مما يلزم مراعاة ذلك حتى نحقق الهدف.

الطالب: هذه فوائد رائعة استفدناها من تجهيز هذه السرية. فجزاك الله خيراً يا أستاذنا الفاضل. ولكن ماذا حدث لهذه السرية وقد وافقت موت رسول الله ﷺ.

الأستاذ: لقد عسكر المسلمون بالجُرْف استعداداً للذهاب إلى الشام. فلما توفي النبي ﷺ دخلوا المدينة. لوفاة النبي ﷺ.

وبعد وفاة النبي ﷺ تولى خلافة المسلمين أبوبكر الصديق (رضى الله عنه). حيث أمر بتجهيز هذه السرية وإنفاذ أمر رسول الله ﷺ فكانت أول شيء جهزه خليفة المسلمين أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) هذه السرية. وكان عدد الجيش ثلاثة آلاف.[1]

مما يدل على حرص الخليفة الصديق (رضى الله عنه) على تنفيذ ما أراد النبي ﷺ. وهذا يدفعنا أن نحرص على إنفاذ توجيهات النبي ﷺ فيما أمر. ونبتعد عما حذرنا منه.

كما نستفيد أيضاً أهمية إنفاذ أوامر القائد أو الحاكم إذا كان خيراً حتى بعد وفاته.

الطالب: هذه فوائد جيدة، وهل ذهب جميع الصحابة مع أسامة؟

الأستاذ: عرفتم مما سبق أن في هذه السرية أبوبكر وعمر رضي الله تعالى عنهما. وقد تولى الخلافة أبو بكر الصديق (رضى الله عنه)، فلا يمكن له أن يذهب ويترك أمر المسلمين. وأيضاً حاجته لعمر بن الخطاب كانت قائمة. فاستأذن من قائد السرية أسامة بن زيد (رضى الله عنه)، أن يُبْقِي عمر بن الخطاب (رضى الله عنه). فسمح أسامة بن زيد لعمر أن يتخلف عن السرية.

---

(1) ابن حجر، فتح الباري (١٥٢/٨).

الطالب: هذا جميل جداً أن يستأذن الخليفة من قائد السرية؟

الأستاذ: نعم إن الإسلام دين نظام واحترام، فأبو بكر (رضى الله عنه) أصبح هو الوالي؛ وهو الخليفة؛ وهو الحاكم لجميع المسلمين، وعلى جميع ديارهم، ومع ذلك استأذن أسامة بن زيد في بقاء عمر بن الخطاب (رضى الله عنهم).

مما يفيدنا: أهمية الاحترام والتقدير للآخرين، وإن كنا في مرتبة أعلى منهم، كما يفيدنا أهمية النظام ومتابعته، ولا نتجاوزه حتى وإن كنا قادرين على أن نتجاوزه لمكانتنا أو قدرتنا.

الطالب: وماذا حصل لهذه السرية؟

الأستاذ: ذهبت هذه السرية إلى الشام، وعادة بغنائم كثيرة، وما أُصيب من المسلمين أحد. [1]

---

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢/١٩١).

الفصل السادس:

مرض ووفاة النبيﷺ

مرض ووفاة النبي ﷺ:

الأستاذ: إن من رحمة الله تعالى بأصحاب رسول الله ﷺ أنه أشار إلى قرب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم. لأن الفاجعة بموته ﷺ ليس كمثلها فاجعة. ولذلك قال ﷺ (إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنها أعظم المصائب)[1]

الطالب: صحيح إن وفاة النبي ﷺ مصيبة لأصحابه الذين عاشوا معه وشاهدوه، وهي مصيبة لنا، فكأن حدث وفاته اليوم ﷺ ولكن كيف بين الله تعالى للنبي ﷺ وللصحابة اقتراب أجله ﷺ؟

الأستاذ: لقد عرف الصحابة قُرْب أجل النبي ﷺ من عدة إشارات منها: نزول سورة النصر. جاء في الحديث (...فسال عمر ابن عباس عن هذه الآية (إذا جاء نصر الله والفتح) فقال: أجل رسول ﷺ أعلمه إياه. فقال: ما أعلم منها إلا ما تعلم)[2] وقال صلى الله عليه وسلم في حجته (هذا يوم الحج الأكبر. فطفق النبي ﷺ يقول: اللهم اشهد. وودع الناس. فقالوا: هذه حجة الوداع)[3] وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل (رضى الله عنه) عندما بعثه لليمن وودعه (يا معاذ! إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري. فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله ﷺ)[4]

فهذا من لطف الله تعالى بأهل بيت رسول الله ﷺ وبصحابته الكرام.

الطالب: والله إنها إشارات عظيمة ومؤثرة يا أستاذ.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢/٢٧٥) واللفظ له. مالك، الموطأ (١/٢٣٦) برقم (٤١)
(٢) البخاري (٣/١٨١) برقم (٤٤٣٠)
(٣) البخاري (١/٥٢٩) برقم (١٧٤٢)
(٤) أحمد، المسند (٣٦/٣٧٦) برقم (٣٣٠٥٢)

الأستاذ: نعم. إنها إشارات مؤثرة جداً، فكيف بمن عاشوا معه ﷺ ورأوه؛ وتحدث إليهم وخالطهم وآكلهم ﷺ. ففراقه لهم صعب جداً ﷺ ولكن الله رَحِمَهُم بهذه الإشارات، ثم رزقهم الصبر.

الطالب: وكيف مرض النبي ﷺ؟

الأستاذ: في آخر ليالي شهر صفر، أو في مطلع شهر ربيع الأول كان بداية مرض النبي ﷺ [(١)] تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي، فأذن له، فخرج وهو بين الرجلين، تخط رجلاه في الأرض.)[(٢)]

الطالب: ولماذا استأذن النبي ﷺ من أزواجه؟

الأستاذ: هذا سؤال جيد. كان النبي ﷺ حريص على العدل بين زوجاته، فيخصص لكل واحدة منهن يوماً، فلما اشتد به المرض لم يستطع أن يتنقل بين حجراتهن. وحفظاً على حقوقهن وتطييباً لخواطرهن استأذنهن ﷺ أن يُمَرّض في بيت عائشة رضي الله تعالى عنها، فوافقن جميعاً، رضي الله تعالى عنهن أجمعين.

الطالب: وهل كان هناك مرض محدد أصاب النبي ﷺ؟

الأستاذ: مما كان يشتكي منه صلى الله عليه وسلم أثر السُم الذي وضع له في خيبر. حيث كان يقول عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها في ذلك المرض (ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر)[(٣)]

وكان من شدة المرض أنه طلب ﷺ أن يصبوا فوقه ماء من سبع قرب لعله يخرج للناس فيعهد إليهم، فصبوا عليه ﷺ ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم.[(٤)]

---

(١)ابن هشام، السيرة النبوية (٤/٢٩١)

(٢)البخاري (٣/١٨٣- ١٨٤) برقم (٤٤٤٢)

(٣)البخاري (٣/١٨١) برقم (٤٤٢٨)

(٤)البخاري (٣/١٨٣-١٨٤) برقم (٤٤٤٢)

وكان ﷺ يطرح قميصه على وجهه من شدة المرض، ويقول عليه الصلاة والسلام (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)(١)

الطالب: هل معنى هذا أنه لا يجوز اتخاذ المساجد على القبور يا أستاذ؟

الأستاذ: أحسنتم في هذا الفهم الجيد، فالنبي ﷺ جاء بتوحيد الله تعالى، بأن نعبده وحده، ولا نشرك به شيئاً، وأن المساجد لله تعالى كما قال تبارك وتعالى﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾(٢) ولحرص النبي ﷺ على ذلك نبهنا وهو في أشد المرض، مما يؤكد أنه يحرم ذلك.

الطالب: لقد كان ﷺ حريصاً على أمته من الشرك، أجارنا الله منه، وكذلك حريصاً على أن ينفع أمته وينصح لهم حتى في آخر لحظاته ﷺ

الأستاذ: نعم لقد كان ﷺ حريصاً على أمته كما قال تعالى في وصفه ﷺ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾(٣) بل كان يقول ﷺ في ذلك المرض (الصلاة وما ملكت أيمانكم) (٤) فكان ﷺ يرددها عليهم. مما يدل على أهمية الصلاة، والعناية بها، وكذلك أهمية حقوق المرأة.

وكان صلى الله عليه وسلم (يُدخل يده في الماء، ويمسح بها وجهه. يقول: لا إله إلا الله)(٥) وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (أنها سمعت النبي ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مُسْنِد إليَّ ظهره، يقول: اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق)(٦) وكان يقول (مع الذين أنعم الله

(١)البخاري (٣/١٨٣) برقم (٤٤٤١)
(٢) سورة الجن: آية رقم (١٨)
(٣) سورة التوبة: آية رقم (١٢٨)
(٤) ابن ماجه (١/٥١٩) برقم (١٦٢٥)
(٥) البخاري (٣/١٨٥) برقم (٤٤٤٩)
(٦) البخاري (٣/١٨٣) برقم (٤٤٤٠)

عليهم)[١] (وكان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُخَيَّر. فلما نزل به ورأسه على فخذي غُشِيَ عليه. ثم افاق، فاشخص بصره إلى سقف البيت، ثم قال: اللهم الرفيق الأعلى. فقلت: إذاً لا يختارنا. وعرفت أنه الحديث الذي يُحَدِّثُنا وهو صحيح. قالت: فكان آخر كلمة تكلم بها: اللهم الرفيق الأعلى)[٢] ثم قضى عليه الصلاة والسلام.

الطالب: إنه موقف ليس بالسهل.

الأستاذ: نعم إنه موقف صعب وحدث جلل كبير، ولذلك عندما عَلِمَ الصحابة رضي الله عنهم بموته ﷺ أذهلهم وفجعهم الخبر، واجتمعوا في مسجد رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

وقال (إنك ميت وإنهم ميتون) وتلا قول الله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[٣] فأخذ الناس يبكون.[٤]

فكان مدة مرضه ﷺ ثلاثة عشر يوما تقريباً، وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول. وغُسل في ثيابه يوم الثلاثاء، وغَسَّلَهُ العباس وعلي والفضل وأسامة بن زيد وأوس بن خَولي، وشُقران.[٥] رضي الله تعالى عنهم، وكُفِّن ﷺ في ثلاثة أثواب يمانية، بيض، ثم وضع على سريره ﷺ فكان الناس يدخلون مجموعات فيصلون عليه ﷺ ويخرجون، ولم يؤمهم أحد، ثم

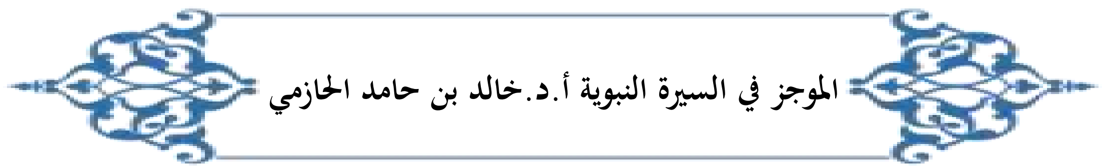
(١) البخاري (١٨٢/٣) برقم (٤٤٣٥)

(٢)البخاري (١٨٧/٣) برقم (٤٤٦٣)

(٣)سورة آل عمرآن: آية رقم (١٤٤)

(٤)البخاري (١١/٣) برقم (٣٦٦٨)

(٥)ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢٧٤/٢-٢٨٠)



حفروا له ﷺ حيث توفي في حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.[1] وكان عمره ﷺ عندما توفي ثلاث وستين سنة.[2] وتوفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين، يعني صاعاً من شعير.[3] وما ترك ﷺ ديناراً ولا درهماً بعده، فعن عمرو بن الحارث قال (ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً، ولا عبداً ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها؛ وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل؛ صدقة)[4]

إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم ارزقنا حبك وحب نبيك محمد ﷺ والعمل بكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ واجمعنا به في أعلى جنة الفردوس. واجعلنا هداة مهتدين، وهادين لكتابك ولسنة نبيك محمد ﷺ.

(١)ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢/٢٩٢)

(٢)البخاري (١٨٧/٣) برقم (٤٤٦٦)

(٣)البخاري (١٨٧/٣) برقم (٤٤٦٧)

(٤) البخاري (١٨٦/٣) برقم (٤٤٦١)

الخـــاتمـــة:

الحمد لله الذي تفضل بمنِّه وتوفيقه على إتمام هذا الكتاب، والصلاة والسلام على نبينا وقدوتنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم.

إن من فضل الله تعالى أن اختار لنا محمد بن عبد الله ﷺ نبياً ورسولاً إلينا، فتمثل بأحسن الصفات وأكمل الأخلاق، وكان رحمة للعالمين، كما أراد ربنا تبارك وتعالى، وأكمل الله تعالى به الدين وأتم به نعمة الإسلام، وتركنا على المحجة البيضاء، وعلَّمَنا المنهج العملي في العبادة والأخلاق والمعاملات في المنشط والمكره. وأصبحت سيرته العطرة زاد المسلم ومسلكه للنجاح والفوز بخير الدنيا والآخرة.

ومن فضل الله تعالى أن حفظ لنا سنته وسيرته ﷺ يتداولها المسلمون من جيل إلى جيل في حفاوة وتكريم، فندرسها ونتعلمها كأنه ﷺ بيننا. فلله الحمد والشكر أن حفظ لنا سيرته ﷺ حتى وصلت إلينا.

وأصبح واجبنا أن نتعلمها ونعمل بها، ونعلمها لأبنائنا وأهلينا وللمسلمين أجمعين، ونسعى في نشرها بين الناس أجمعين حتى يتعرفوا على نبينا الأمين ﷺ فيتأثروا بصفاته وأفعاله ليدخلوا في دين الله تعالى، الذي أنزله الله تعالى لإنقاذ الناس من الشر والفتنة إلى الخير والفلاح، ومن النار إلى الجنة، التي ليس لها طريق إلا طريق ومنهج رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ

اللهم وفقنا للتأسي برسولك محمد ﷺ والاقتداء به، والسير وفق سيرته وسنته ﷺ ومرافقته في أعلى جنة الفردوس، واجعلنا هداة مهتدين، داعين وناشرين لدينك الحنيف، خادمين له بكل ما نستطيع، وفي كل وجه من أوجه الخير يا رب العالمين. واختم بالصالحات أعمالنا. واجمعنا في أعلى جنة الفردوس مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. واجعل اللهم هذا الكتاب مباركاً نافعاً وصدقة جارية إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

فهرس المراجع

ـ القرآن الكريم.

–ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم: أسد الغابة (د.م): الشعب، ١٩٧٠م.

– ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزواوي ومحمود أحمد الطناجي، بيروت: دار لفكر.

ـ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة (د.ت)

ــ الأصفهاني، أبو موسى محمد أبي بكر بن أبي عيسى المديني. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تحقيق عبد الكريم العزباوي، ط١، مكة المكرمة مركز البحث العلمي واحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

– أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

ـ الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي، ط١، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

ـ الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، ط١، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

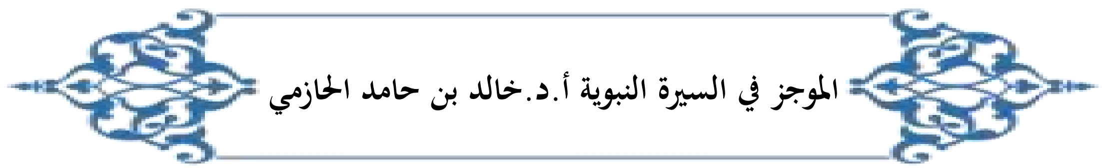
ـ الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن النسائي، ط١، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨.

– الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجه، ط٣، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

ـ البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، شرح وتحقيق محب الدين الخطيب، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، نشر ومراجعة قصي محب الدين الخطيب، ط١، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٤٠٠هـ.

ـ البلاذري، فتوح البلدان

ــ البيهقي، أبو بكر محمد بن الحسين، دلائل النبوة، تعليق عبد المعطي قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م



- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح، تحقيق أحمد محمد شاكر، مكة المكرمة: دار البار (د.ت)

- ابن الجوزي، زاد المسير في عم التفسير، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧هـ

- خالد بن حامد الحازمي، الفوائد السنية من السيرة النبوية، المدينة المنورة، دار الزمان، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م

- الحاكم، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م

- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تعليق عبد العزيز بن باز، تبويب محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة (د.ت)

- أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي: سنن أبي داود، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، ط١، بيروت: دار الحديث،١٣٨٨هـ١٩٦٩م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤط وآخرون، ط٦، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جدة: دار المدني،١٤٠٨هـ١٩٨٨م.

- ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

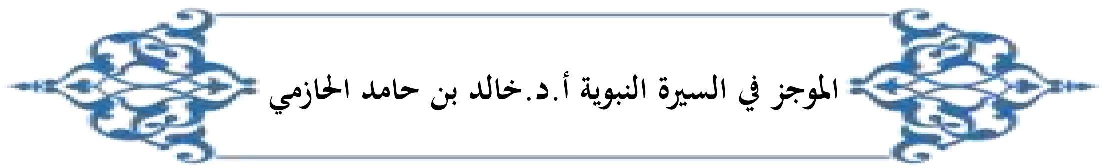
- أبو الطيب أبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، مؤسسة قرطبة، القاهرة: ط٢، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م

- الفيومي، أحمد بن محمد بن على المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرفاعي، بيروت: دار القلم، (د.ت)

- ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط١٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م

- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ط٢، بيروت: دار المعرفة،١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، ط١، القاهرة: دار الريان، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م



ــ ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فـؤاد عبـد الباقي (د. م) دار أحياء التراث العربي، (د. ت)

ـ مالك بن أنس، الموطَّأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

ـ مسلم، ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار الحديث (د.ت)

ـــ ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت: دار صادر (د.ت)

– مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، الرياض: مركز الملك فيصل، ١٤١٢هـ١٩٩٢م

– النسائي، أبو عبد الحمن أحمد بن شعيب، سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام لسندي، ترقيم عبد الفتاح أبو غدة، ط١، بيروت: مكتب لمطبوعات الإسلامية بحلب، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

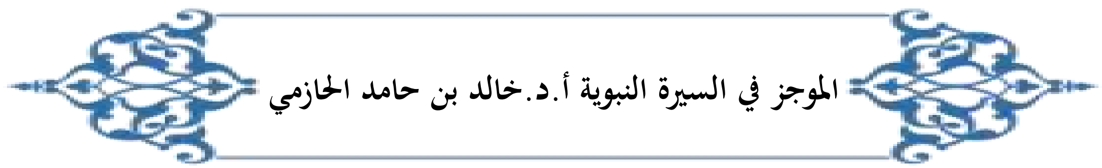
.ـ النووي، محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

– ابن هشام، أبو محمد عبد الملك محمد بن هشام بن أيوب الحميري: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا واخرون، بيروت: دار القلم (د.ت).

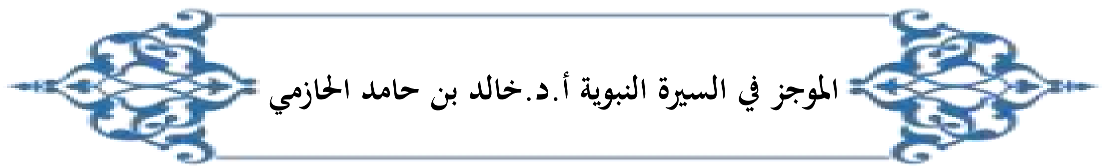
ـ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحير الحافظين العراقي وابن حجر، القاهرة، بيروت: دار الريان، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

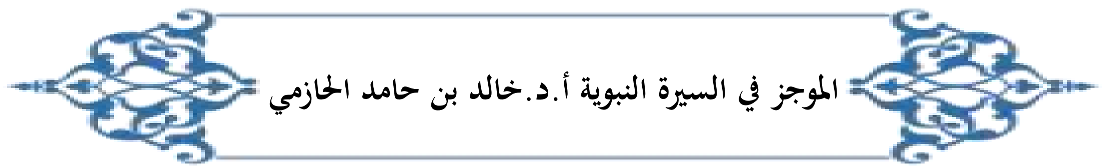
– الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، بيروت: عالم الكتب (د.ت)

– أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي، المسند، تحقيق حسين سليم أسد، ط١، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.



قائمة المحتويات


الموجز في السيرة النبوية أ.د.خالد بن حامد الحازمي



مميزات الكتاب

ـ يتناول سيرة النبي محمد ﷺ بأسلوب ولغة سهلة وممتعة ومختصرة.

ـ يعتمد أسلوب المناقشة التي تفتح الذهن وتنمي القدرة على التدقيق.

ـ يتميز بالتشويق، وتنمية الجانب اللغوي والمعرفي لدى القارئ.

ـ يشحذ الهمة نحو الاقتداء بالنبي ﷺ وهو المطلب من دراسة السيرة.

ـ إبراز وإظهار الفوائد ضمن السرد الموضوعي، بما يحفز على التفاعل الذهني.

ـ للمبتدئين من جميع الفئات.

ـ للطلاب والطالبات في المرحلة المتوسطة.

للمؤلف

الفوائد السنية من السيرة النبوية

الموجز في السيرة النبوية

أصول التربية الإسلامية

أصول الأخلاق الإسلامية

الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية

الهدف التعليمي والثقافي لتقنية المعلومات

السبق التربوي: مفهومه ومنهجه ومعالمه

مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية

المشكلات التربوية الأسرية وأساليبها العلاجية

مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة

التربية الإبداعية في المنهج الإسلامي

من أهداف التربية الإسلامية



مركز الاستشراف للدراسات والاستشارات

التربوية والتعليمية والإدارية

المدينة المنورة

البريد الالكتروني alestshraaf@gmail.com

الموقع الالكتروني www.alestshraaf.sa

حساب المركز في تويتر @alestshraaf

مطابع سفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض

ردمك : ٤ - ٣١١٧- ٠١-٦٠٣ - ٩٧٨